

# الوصايا الأربعون

إن الهدف من ذكر هذه الوصايا المتسلسلة-الوصايا الأربعون- أن تكون لنا خطة، حول هذه العوالم التكاملية.. لأن البعض يحب أن يصل إلى درجة من درجات الكمال، ولكنه-مع الأسف- لا يعلم من أين يبدأ، وكيف يسير، وإلى أين ينتهي.. فمثله مثل من يريد أن يبني بنيانا بغير هندسة، فتراه تارة يشتري رملا، وأخرى حديدا، بلا تخطيط.. فهذا البنيان من الطبيعي أنه لا قوام له بالشكل المطلوب، ولو مع مرور الأيام في بذل الجهد، والعمل المتواصل.. لأن الذي يريد أن يقوم له بنيانا يوما ما ولو بعد جهد جهيد، فلا بد أن يكون له هنالك، تخطيطا صحيحا متكاملًا، ومتناولا لكافة الأبعاد.

فنحن في هذه الوصايا، سنحاول تلمس نقاطا، مستندة إلى الكتاب والسنة، في مجال السير والسلوك؛ لإنارة وتحذير الناس، من أي اتجاه سلوكي أخلاقي عرفاني دخيل، لا يستند إلى الأسس الشرعية الصحيحة.. فإن المزالق في هذا المجال كثيرة على طوال التاريخ؛ وذلك بسبب حب الناس الفطري للكمالات ولما وراء الطبيعة، فهذا يدعوهم إلى السير وراء كل شعار براق جذاب، حتى وإن كان لبعض الحركات والدعاوى الباطلة. ونحن لا ندعي أننا نحن نعرف كل شيء، أو نحن أهل بما للكلمة من معنى.. ولكن نرجو بفضل الله تعالى أن يسد لنا في هذه الحلقات، لما هو أهدى.

## 1- إخلاص النية

إن إخلاص النية في كل قول وفعل، أساس لمرضاة الرب المتعال.. وينبغي البحث عن كل دواعي الشرك الخفي في العبادة، فمن تلك الدواعي الخفية:

- تحقيق الذات.
- الإحساس باللذة بما لا يستند إلى رضى المولى.
- التخلص من المشاكل الخاصة في الحياة، لا رغبة للتفرغ للعبودية، بل لمجرد الدعة والراحة.

ومن المعلوم أن التخلص من الشوائب بجميع أقسامها، يحتاج إلى البصيرة بالنفس أولا، وبتلك الشوائب ثانيا.. وذلك مما لا يوفق له، إلا الذين دخلوا دائرة الرعاية الإلهية المباشرة.

س1/ كيف نعرف دواعي الشرك الخفي؟..

إن الشرك قسمان: **القسم الأول: الشرك الجلي..** وهذا لا كلام فيه، فالمشرك بالشرك الجلي خارج عن الإسلام.. فنحن كلامنا في هذه الحلقات ليس مع المسلمين فقط، بل مع خواص المؤمنين.. ونعتقد أن هذه الحلقات تعني طبقة خاصة، وهم خواص المؤمنين، الذين يتطلعون إلى ما وراء الحركات الظاهرية في الشريعة، وهو الجهاد الأكبر.

ولهذا فإن الحر العاملي صاحب (وسائل الشيعة)، كما تناول العبادات الظاهرية: الصلاة، والصوم، وغيره، أيضا أفرد جزءا من كتابه، بعنوان (باب جهاد النفس)، إشارة إلى ضرورة الجمع بين ظاهر الشريعة وباطنها.

**والقسم الثاني: الشرك الخفي..** ومن المعلوم أنه آفة الخواص.. وهو بمعنى أن يلحظ السالك بعض المكاسب المعنوية.. وإن كانت هذه المكاسب أرقى من المكاسب الدنيوية، ولكنها ليست متصلة بالله تعالى. مثلا: إن البعض يريد أن يتعبد، ليصل إلى مقامات روحية عالية، أو ليعطي بعض الكرامات والمشاهدات، أو تكون له بعض القوى الخفية.. بل حتى لو كان التطلع بحق، أي لهدف سام، كالبعض الذي يريد أن يتقرب إلى الله تعالى، ليكون مستجاب الدعوة، فيشفى المرضى مثلا.

إن الإنسان لأبد -دائما وأبدا- أن تكون عينه على المولى تعالى، وعلى رضاه، وعلى ما يريده منه.. أما ما خاصة هذا العمل، وكم فيه من الأجر، وكم يعطى من الحور والقصور، وغيره من التفاصيل، لا ينبغي أن يشغل باله بها، فالمهم أن يكون لله تعالى عبدا، وأن يكون كله لله تعالى. وإلا فإذا كان الهدف هي هذه الأمور، فإنه لا يؤمن من التراجع والانقلاب.. فالبعض يسير في هذا الطريق، وبعد فترة يقول: لقد قمت بصلاة الليل أربعين ليلة، وذهبت إلى الحج، وصمت شهر رمضان، ولم أر شيئا، فتضعف همته، ويتراجع عن هذا الطريق.

فينبغي أن نفرق في العبادات بين أن تكون الجوارح عابدة، وبين أن يكون الكيان كله عابدا.. فنحن لا نريد جوارح عابدة: عين لا تعصي، لسان لا يعصي... وإن كان هذا جميلا، ولكن الأجل والأهم أن يكون الوجود لا يعصي، بمعنى أن يكون الإنسان بوجوده يرى الله تعالى، وأن يعيش محضرية رب العالمين.. فهذا المعنى الذي نشير إليه، ونريد أن نصل إليه -بفضله تعالى- بعيدا عن الشرك الخفي، وبعيدا عن كل حجاب يحول بين العبد وربيه، ولو كان حجابا نوريا، كما يشير مولانا الأمير علي (ع): **(إلهي!.. هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك؛ حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك).**

**س2/ هل الإحساس باللذة في العبادة ينافي الإخلاص؟..**

بالمعنى الأولي: إن العبادة طبيعيا لها لذة، والإحساس باللذة في العبادة أمر طبيعي.. فالذي يأكل الحلوى يلتذ بأكل الحلوى، لأن هذه طبيعة الحلوى.. ولكن هناك فرق بين أن يكون الإنسان يلتذ بالعبادة كأثر قهري؛ وبين أن يقصد هذه اللذة ويطلبها، بحيث أنها تتحول إلى حجاب ومقصود دون الله تعالى. ولتقريب الفكرة نذكر هذا المثال المتعارف في الفقه:

لو أن إنسانا في فصل الصيف توضأ، وكانت نيته ليستبرد جسمه بالماء، فإن هذا خلاف الإخلاص المشترك لصحة الموضوع.. ولكنه لو توضأ وهو يعلم أن جسمه سوف يستبرد بهذا الماء، فهذا لا إشكال.

وعليه، نحن علينا أن يكون همنا وهدفنا العبودية، وأما هذه اللذائذ فإنها تأتي تلقائيا، فلا ينبغي أن نسعى إليها ونهدفها.

ومن هنا فإن العبد المؤمن إذا قام لصلاة الليل، وأدى ما عليه من الوقفة المطلوبة، فسواء استشعر الخشوع أو لم يستشعر، فلا فرق عنده؛ فهو أدى ما عليه، والخشوع ليس من شؤونه.. فالصلاة الخاشعة ليست بهدف، إنما الهدف أن نحاول الخشوع؛ فإذا جاء الخشوع، فهذا بفضل الله ومنه وكرمه تعالى؛ وإذا ما جاء، فالعبد ما قصر في واجبه.

## 2. وضوح الخطة والجادة

إن وضوح الخطة والجادة أمر لازم للسائرين، فما لم تكن الخطة واضحة في مقدماتها ونهاياتها، وما لم يعلم السائر بالعوائق والموانع، فإن كل شبهة في الطريق، تجعله يتقهقر إلى الوراء، حيث انتقام الشياطين التي تغيظها حركة السائر إلى الله تعالى، فتصادر المكتسبات الماضية، مع عدم السماح لمحاولة جديدة.

وعليه، فإنه يلزم على السائر إلى الحق المتعال، أن يتمثل في نفسه عملية السير التكاملي في الأنفس، كما يتصور عملية السير المكاني في الآفاق، إذ هناك:

- زاد لا بد أن يتزود به قبل السفر.

- منازل لا بد أن يتعرف عليها في سفره.

- رفقة طريق لا بد أن يختارهم على بصيرة.

- عقبات وموانع تعترضه.

- أعداء وقطاع طرق يتربصون به الدوائر.

### س1/ ما هو دور المعرفة النظرية في عالم الترقى والتكامل؟..

هنالك خلاف معروف في عالم الترقى والتكامل، في هذه المسألة: فالبعض يريد أن يعتمد على وارداته الذاتية، حيث يعتقد أنه من خلال التأمل في الصلاة، أو في العبادة، أو وهو مستلق، فما يأتيه من هواجس ولو توحيدية، فهي هواجس مقدسة، ويعول على هذه التوجيهات.

والبعض يتوغل في الجانب النظري، فيقرأ كتباً في هذا المجال، وكأن قضية الحب والعشق الإلهي، تأتي من خلال المطالعة فقط!.. فيقرأ ويقراً، ولكن -كما يقال- كثرة الكتب لا تزيده إلا كثرة الحجب!.

والحل الأوسط هو الجمع بين العالمين: عالم التأملات الباطنية - أو كما تسمى الواردات، أو الهواجس، أو الإلهامات الغيبية - وبين المعرفة النظرية.

هناك قوم سلكوا في طريق القرب إلى الله تعالى، ولكن شدة انشغالهم بعوالم الربوبية، شغلتهم حتى عن التأليف.. لأن التأليف يحتاج إلى توجه والتفات للغير، أي إلى مجاهدة بأن يقطع أنسه برب العالمين.. مع أن التأليف أمر راجح، لأنه يكتب ويؤلف كتاباً، لتحبيب الناس إلى الله تعالى.

ولكن ينبغي الحذر، فليس كل من يكتب يؤخذ بكتاباته!.. الصادقون منهم الذين كانوا على مستوى العطاء، والأخذ بأيدي التائهين إلى الله تعالى، هؤلاء -إنصافاً- كتابتهم جيدة ونافعة، وفيها تجارب مروا بها وينقلونها.

ثم إن مسألة التكامل الإنساني فيها مراحل مشتركة، من زمان آدم أبو البشر (ع)، إلى يومنا هذا.. فكما أن هنالك أمراضاً متعارفة في حياة البشر، أيضاً هنالك عوارض روحية متعارفة، مثل مسألة الهواجس، والخواطر الشهوية والغضب والوهمية، فهذه ملازمة للبشر من أول يوم.. فالإنسان من أول ما خلق مبتلى بالشهوة والغضب والوهم،

ولهذا الملائكة: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}.

وعليه، إن من الضروري مراجعة كتب القوم، ولكن بشرط أن يكون الكاتب والمؤلف في هذا المجال له خاصيتان - وأؤكد على هاتين الخاصيتين:-

**الخاصية الأولى:** أن يكون هو من الصادقين في حركتهم.. لأن بعض الناس يتقمص الأمر تقمصا، ويمثل تمثيلا.. فهؤلاء لاشك غير البعض الذي -كما يقال- اكتوى بنار الحب الإلهية.. وفي دعاء كميل إشارة إلى هذه الحقيقة، إذ يقول: **(يا حبيب قلوب الصادقين!)**.. فإن رب العالمين لا يتحجب إلى كل أحد، إنما يتحجب إلى الصادقين في المحبة.

**والخاصية الثانية:** أن يكون الكتاب المؤلف، متشعبا بالكتاب والسنة، مما ورد عن النبي وآله (ص).

ومن المعلوم أن الآيات الأنفسية المتعلقة بالتكامل، أكثر من الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية، فالآيات المتعلقة بالأحكام هي تقريبا ما جاوز عددها خمسمئة آية، وإلا فالقرآن في غالبه إشارة إلى التوحيد، والتقرب والدعوة إلى الله تعالى.. قال تعالى: **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}**، ما معنى ما استطعتم؟.. **{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}**، ما معنى حق التقوى؟.. ما معنى **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}**؟.. و ما معنى **{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}**؟.. إن هذه آيات أساسية في موضوع التكامل الأخلاقي.. فالذي لا يعلم هذه الآيات، ومدلولاتها وعمقها، ولم يطلع على المنهج النبوي والإمامي؛ أليس هو بعيدا كل البعد عن هذا العالم؟!.. إن أئمة أهل البيت (ع)، هم أدرى الناس بما في البيت.. فما قاله الإمام الصادق (ع) لا يعلى عليه، وعلى اختلاف الفرق، لا يشك في إمامه بقضايا التوحيد والولاية.

**س2/ ما المقصود بقطاع الطرق ومن هم؟..**

إن قطاع الطرق هم ما ذكر في سورة الناس، قال تعالى: **{الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}**.. ونحن عادة نظن بأن الموسوس هو إبليس وجنوده فقط، ولكن في سورة الناس إشارة إلى من هم على خط إبليس أيضا!..

ومن المعلوم أن إبليس لا يأتي بشكل مباشر، ففي عالم الشهوات هو لا يدعو المؤمن للزنا مثلا، بل يدعو للنظر المحرم، فإذا نظر نظرا محرما تفاعل، وإذا تفاعل فإنه يريد الوصال بمن يهوى.

وفي عالم الانحراف الفكري والعقائدي، أيضا الشيطان له هذه الأساليب، ولكن من خلال البشر!.. فالشيطان تارة يوسوس للإنسان مباشرة، وتارة يوسوس إلى بعض البشر، ليكونوا له قادة، أو كما يعبر القرآن الكريم في قوله تعالى: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ}**، فهؤلاء هم تلاميذ إبليس في الدرجة الأولى.

إن قطاع الطرق، هم الذين يستغلون براءة الذين لهم ميول روحية.. والملاحظ أنه مع تقدم المد الحضاري والرفاهية البشرية، أن رغبة الناس في المعنويات تزداد.. حتى في بلاد الغرب التي من المعلوم أنها في قمة الرفاهية والتمدن البشري، ولكن يقال أن المدارس الروحية، هي الأكثر انتشارا أو شيوعا فيها، هذه الأيام.. وعلى رأس هؤلاء

المدارس، قوم لا خلاق لهم، ولا ارتباط لهم بالروح، وإنما هم مجموعة لهم دعاوى وأمور، ويستغلون حب الناس للروحانيات، لكسب المال.

فينبغي الالتفات والحذر من أمثال هؤلاء!.. فالمشكلة ليست في قطاع الطرق، فهؤلاء هم حصب جهنم، ولكن المشكلة في الضحايا!.. ونحن في أربعين حلقة-إن شاء الله تعالى- سنستذكر المعالم الأساسية، على وفق كتاب الله تعالى، وسنة نبيه (ص)، وأوصياء نبيه (ع).. وهذه القواعد إذا تعلمناها، نطبقها على حياتنا، فتكون بمثابة مسطرة أو قانون أساسي، لتمييز الغث من السمين، والجيد من الرديء.

### 3. لزوم التحلي بالصبر

إن الاعتقاد بلزوم التحلي بالصبر في الوصول لبعض مدارج الكمال، تدفع عن صاحبها حالة اليأس.. فالعجول في قطف الثمار، ليست لديه القدرة على مواصلة الطريق ذات الشوكة، ومن هنا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

#### س1/ ما هي حقيقة الصبر وأقسامه؟..

إن حقيقة الصبر هي: توطين النفس على تحمل مشاق المرحلة التي هو فيها.  
إن طبيعة النفس الإنسانية، طبيعة ميالة إلى اللهو واللعب، كما نقرأ في مناجاة إمامنا زين العابدين (ع): **(إلهي!.. إليك أشكو نفسا بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة!..)**. ولهذا فإنها عندما تمر في بعض المشاكل والأزمات والبلاءات، فإنها لا تتحمل، وتصبح عندها حالة من حالات التمرد والإحباط والقلق.

نحن نود أن نسير في طريق غير ذات الشوكة.. ومن المعلوم-كما نفهم من القرآن الكريم- أن رب العالمين بناؤه على أن نسير في طريق ذات الشوكة، طريق الأنبياء والمرسلين، أمثال نبي الله أيوب (ع)، وأصحاب الأخدود، وسحرة موسى (ع)، والنبي الأعظم (ص)، حتى أنه قال (ص): **(ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت)**.. فهذه سنة الله تعالى في خلقه.. فالذي يريد الوصول للمقامات الراقية، شعاره أنه لا بد أن يتحمل الكدح، كما هو مراد المولى تعالى منه، إذ يقول تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ }**، فالصبر من لوازم السير إليه تعالى.

#### أقسام الصبر:

**أولاً: الصبر على الطاعة:** نحن لا ننكر أن بعض الطاعات تحتاج إلى تحمل، وخاصة لبعض الظروف والحالات.. كالبعض الذي هو مبتلى بمرض لا يرفع عنه تكليف أداء فريضة الحج، فإن هذا كم يعاني ويتحمل، لأجل تأدية هذه الفريضة!.. وإن قيام الليل وصلاة الفجر، كم هو ثقيل وشاق على بعض الشباب، ويحتاج إلى مجاهدة، لمغالبة سلطان النوم!.

**ثانياً: الصبر عن المعصية:** لا شك أن بعض المعاصي لها جاذبيتها وإغراؤها.. لك أن تتصور شاباً في بلاد الغرب، بعيداً عن أهله، بلا رقيب ولا حسيب، ويبتلى بإغراء كإغراء زليخا ليوسف (ع).. إن هذا الشاب كم يعيش حالة المعاناة لتجاوز هذا الحرام!.

**ثالثاً: الصبر على المصائب:** من المعلوم أن من أعظم المصائب-ترتيباً الأشد فالأقل-: فقد الأعزة، ثم مصيبة البدن، ثم فقد المال.. فالذي لا يتحمل هذه الوديان الثلاثة من الصبر، فإنه في يوم من الأيام قد يتراجع، ولا يكمل المهمة.

إن الإنسان قد ينوي ويعزم على الصبر، ولكنه في مقام العمل قد تخونه نفسه، فحاله مثل ما يقول الإمام زين



العابدين (ع): (ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالته قلمي؟!).. فكيف يوطن الإنسان نفسه على حالة الصبر؟..

**إن من موجبات الصبر: معرفة عظمة وحلاوة النتيجة..** ما الذي يجعل الشاب الذي كان إلفه اللهو واللعب، في ليلة الامتحان يصبر على الدراسة، ويسهر إلى الصباح؟.. أليس لرغبته في النجاح؟.. إن الرغبة في حياة سعيدة أبدية، في النعيم المقيم، أليست هي أمنية عالية جدا؟..

نحن نقول: إن دخول الجنة ليس بصعب جدا: **{فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}**؛ بل إن المهم هو المنافسة في الدرجات.. وكما هي خسارة أن يبقى الإنسان أبد الآبدين، في رتبة نازله من الجنة!.. ألا يتمنى أن يكون في رتبة قريبة من الأنبياء والشهداء والصديقين، وحسن أولئك رفيقا؟!.. والقرآن الكريم يحثنا على أن نعمل في هذه الدنيا، ما يجعلنا من رفقاء النبي (ص).

فعلية، إن الذي يريد الوصول إلى هذا الهدف، يصعب عليه أن يصبر على حلاوة محرمة، أو نظرة محرمة، أو غناء محرمة؟..

إذن، إن تصور النتائج المذهلة أو الأبدية، قطعاً من موجبات توطين النفس على الصبر على الطاعة، والمعصية، والمصيبة.

**س2/ من المعلوم أن السالك في أول الطريق، قد تتراءى له بعض الثمار، فتأخذه الرغبة الجامحة في طلبها.. فكيف يصبر عن هذه الثمار؟..**

هنالك أبحاث دقيقة في كتب الأخلاق، يعبر عنها بحظوظ وميول النفس، تشير إلى إن الإنسان من الممكن أن لا يعطى حظه النفسي، أي لا يرى شيئاً يتعلق في نفسه.. فهو قد قام بالمجاهدة والعبودية سنوات طويلة من عمره، ولكنه لم ير نتيجة واضحة، وثمره محسوسة، مثلاً: لم ير نورا، لم يستشم رائحة، لم يستجاب دعاؤه...

ونحن نقول: إن الإنسان المؤمن فوق هذا المعنى، فهو عليه أن يقوم بوظائف العبودية، ولا يتدخل في شؤون الربوبية.. فيخطئ-مثلاً- من يقول: أنا شاب وتركت المعاصي والذنوب، وذهبت إلى الحج، لأصل إلى من أهواها، وما وصلت إليها!..

فليس هذا هو الهدف، وإنما الهدف أن نكون لله تعالى عبيداً، والعبد بين يدي مولاه لا يقترح عليه!.. وشعاره - دائماً وأبداً- أنه أعلم بما يصلح له: **(ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور)**.. فإن المؤمن -دائماً وأبداً- عينه على إرضاء المولى تعالى، لا على إرضاء النفس، وكسب المزايا.

ومن الملاحظ أن من أكثر الكتب رواجاً -هذه الأيام- هي كتب الكرامات، والمنامات، والختومات.. فالبعض مولع بمسألة الختومات والأذكار، رغبة في الوصول إلى المقامات، وإن كانت غير مروية عند أهل البيت (ع)، وإن كانت منقولة من كتاب لإنسان غير أهل في هذا المجال، وغير مراقب لنظرة وسمعه!..

فيقال -مثلاً- كتب في الكتاب الفلاني: أن من قال (يا رقيب) ألف مرة في اليوم، فإنه يصبح مراقباً لنفسه.. فيقرأها عشرات الأيام، ولا يصل إلى شيء من درجات المراقبة في مقام العمل!..

فإذن، ملخص الجواب:

إن الإنسان المؤمن لا ينتظر شيئاً ملموساً في سيره إلى الله تعالى، وإنما -دائماً وأبداً- ينتظر العناية الإلهية له، في كل الأفعال والتقلبات.

#### 4. التدبير والتقدير

إن معنى (الحوقة) هو التبرّي من كل حول وقوة إلا بالله العزيز.. وهذا لا ينافي السعي البشري في تحقيق النتائج، فعلى العبد التدبير، ومن الحق المتعال التقدير.. فالإمداد الغيبي خير رفيق في الطريق، ولطالما أخذ بيد السائرين، وخاصة الصادقين الذين لم يدخلوا الدين استمزاجا واختبارا.. ولكنه مع ذلك ينبغي عدم الركون للمدد الغيبي، فذلك من شؤون الحق، ولا يُعلم وقته وسببه بشكل قاطع.. فعلى الزارع أن يعتمد على ما يستخرجه من الماء، لا على ما ينزل من الغيث.

أولا أحب أن أذكر أن هذه الوصايا مترابطة ومتسلسلة، وإن من المناسب لمن أراد أن يأخذ فكرة كاملة وجامعة، بأن يستمع لها جميعا، لئلا ينسى جانبا على حساب جانب آخر.. وكما ذكرنا في الحلقات الماضية أن هذه الوصايا بمثابة الدستور أو القانون الأساسي، حتى يميز الحق من الباطل، والمدعي من الصادق.

#### س1/ ما هي موجبات وضوابط الإمداد الغيبي؟..

إن الإمدادات الغيبية اصطلاح متكرر وموجود، ولا شك أنه شيء مريح!.. ولكن ينبغي أن نتعامل مع هذا الأمر بحذر، لأنه قد يجر صاحبه إلى الوهم، بمعنى ينبغي ألا نخلط بين الوهم والحقيقة!.. لأن الإنسان الذي يتوقع المدد الغيبي، فإنه دائما يكون في حالة ترقب وانتظار لهذا المدد، ومن هنا فقد يفسر أي ظاهرة تفسيراً غيبياً، والواقع بأنه غير كذلك.. كالذي يدعي رؤية الهلال في أول شهر رمضان، فهو لا يكذب بل يتوهم، لأن رغبته في ظهور الهلال، تجعله يتصور أنه رآه.. فالأمر هكذا بالنسبة للبعض، فمثلا يتفق أن يرى في المنزل إضاءة آتية من الشارع، فيظن أن هذه الأنوار هي أنوار الملائكة.

ومن المعلوم أن أهم مدد غيبي هو في عالم الأنفس، لا في عالم الآفاق.. والدليل على ذلك أنه لو سنل العبد: أيهما أفضل عندك: أن نريك نورا حسيا، ورائحة من روائح الجنة، أو أن نربط على قلبك وفؤادك، ونعطيك بصيرة في الأمور، لتمشي في الناس بنور من الله تعالى؟.. فلا يشك عاقل أن الثاني هو الأولى.. فأفضل مدد غيبي للعبد هو التجليات الأنفسية، بأن يعرف سبيله في هذه الحياة.. إذ لا يخفى أن الإنسان كثيرا ما يقع في حالات تحير، في أخذ القرار المناسب، وخاصة في المواقف المصيرية، التي تترتب عليها تبعات كثيرة، فهنا محل حاجته للمدد الغيبي، بأن يعلم كيف يسلك الطريق الصحيح.

ثم إن هذا النوع من المدد-التجليات الأنفسية- له طريقه.. ففي روايات أهل البيت (ع) ورد أن المؤمن إذا التبست عليه الأمور، عليه أن يقوم بصلاة الاستخارة، ويدعو الله تعالى بانقطاع، بأن يسدده ويلهمه ويمده بهذا المدد، ويجعل في قلبه نورا وشرحا، لما هو أفضل له.. بينما لم نر عملا أو دعاء، من أجل أن يشم الإنسان رائحة طيبة من روائح الجنة.

أضف إلى محدودية المدد في حياة الفرد.. وإلا أصبح الناس كلهم يدعون الكرامات وغيره.. ولكنه في حياة الأمة أجلى وأوضح، وخاصة في مواجهة الكفار والمنافقين وأعداء الدين، إذ أن رب العالمين ألزم نفسه بهذا الأمر، كما يقول تعالى: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}**..

فالمؤمن قد لا يرى مددا غيبيا واضحا، في حياته اليومية.. ولكن مع مواجهة الأمة لقوى الكفر والانحراف، فإن رب العالمين كثيرا ما يسدد، كما في معركة بدر، حيث كان التسديد واضحا جدا.. وطول التاريخ في المفصل التاريخية من حياة الأمة، كان الملاحظ تدخل رب العالمين..

وليس بالضرورة أن يكون التدخل على شكل ملائكة مسومة، ولكن بأشكال أخرى: كتصريف أمور، أو هلاك ظالم من الظالمين، أو ولادة مؤمن من المؤمنين.. ومن المعلوم أنه على رأس كل مئة سنة، يهيب رب العالمين من يجدد الدين.. فالبعض عمل إحصائية على طول الزمان، فوجد أنه في كل قرن، يأتي من يجدد النشاط والحيوية في هذا الدين، فهذه صورة من صور الإمداد الغيبي.

**س2/ إن البعض يعول على التوفيق الإلهي دون السعي البشري، فكيف نوفق بين الأمرين؟..**

إن هناك فرقا بين التوكل والتوكل!.. فإن البعض متقاعس، ويهمل عالم الأسباب، ويكتفي بالدعاء على حساب السعي، بدعوى التوكل!.. وإن هذا من الأمور الباطلة جدا!.. فلا ينبغي للمؤمن أن يكون ساعيا من دون دعاء، فيكون كالماديين!.. فالماديون يبذلون قصارى جهودهم، ويرون بأن النجاح مرتبط بعالم الأسباب..

ولا أن يكون داعيا من دون سعي، فيكون متواكلا، ويدخل في دائرة الذين لا يستجاب لهم.. فقد ورد في الروايات ذكر لبعض الأصناف الذين يدعون ولا يستجاب لهم، ومنهم: رجل أعطى دين، ولم يكتب وثيقة بذلك، عملا بما قال الله تعالى: **{إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}**.. ورجل يدعو على زوجته؛ لأن أمر طلاقها والفاكك منها بيده، إن هو ضاق ذرعا من سوء خلقها، وسعى في إصلاحها وما نفع.. ورجل يطلب الرزق، وهو لا يسعى في طلبه.

قال الإمام الصادق (ع): **(أربعة لا تستجاب لهم دعوة:**

**رجل جالس في بيته، يقول: اللهم ارزقني.. فيقال له: ألم أمرك بالطلب؟!..)**

**ورجل كانت له امرأة، فدعا عليها.. فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟!..)**

**ورجل كان له مال فأفسده، فيقول: اللهم ارزقني.. فيقال له: ألم أمرك بالاقتصاد؟!.. ألم أمرك بالإصلاح؟!.. ثم تلا**

**قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}.**

**ورجل كان له مال، أدانه بغير بينة.. فيقال له: ألم أمرك بالشهادة؟!..)**

فعليه، لا بد من الجمع بين السعي البشري، بأعلى صورته الممكنة، وبين الاعتماد على عالم المدد الغيبي.. وهذا هو ما نلاحظه في حياة النبي (ص)، فقد كان في حروبه مع الكفار يتقن الأسباب المادية للنصر، فتارة نراه يحفر خندقا، وتارة يتبع أسلوب تقسيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب وهجوم؛ وبعد ذلك يدعو.. فمع أن دعاء النبي (ص) دعاء بليغا ومجابا، لكنه كان يجمع بين السعي والدعاء.

ثم إن رب العالمين ليس بناؤه على خرق القوانين، في كل صغيرة وكبيرة.. إن هذا الأمر كان لمثل حال إبراهيم (ع) مع النمرود، إذ جعل له تعالى النار بردا وسلاما.. ولموسى (ع) مع فرعون، إذ أوجد له تعالى في البحر طريقا يبسا.. وللنبي (ص) مع مشركي مكة، كما في معركة بدر وغيرها.. فلا ينبغي التعويل على الأسباب غير الطبيعية، لأن رب العالمين بناؤه على الأسباب، إذ جعل العالم عالم الأسباب، وجعل لكل شيء سببا، وهذا القانون العام لا يخرق إلا في موارد محدودة جدا، وليس الأمر متاحا لكل أحد في كل زمان.

## 5. الشمولية والموازنة

ينبغي مراعاة الشمولية والموازنة في العمل بكل حذافير الشريعة، فلإسلام أحكامه: الاجتماعية والفردية، والبدنية والمالية، والعلمية والعملية.. فلا ينبغي التحيز إلى جهة على حساب جهة أخرى، وإلا كان صاحبها ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فينمو عنده جانب بشكل غير متوازن، وعندها يقع في دائرة الإفراط والتفريط، كما وقع لكثير من السائرين في درب الهدى.

### س1/ ما هي مصاديق حالة عدم التوازن، في النمو الروحي؟..

إن مصاديق عدم التوازن الروحي كثيرة، ومنها ما هو مرتبط بجانب النشاط الاجتماعي، مثل: حالة العزلة، أو عدم العزلة.. إن الإنسان الذي لا يعلم أصول فن الطريق، ففي فترة من فترات حياته قد يقبل على الناس، وعلى العمل معهم، والأنس بهم.. وفي فترة أخرى قد ينكمش، لما يرى بعض المزعجات والمحبطات والمنفرات، فيعيش حالة انطوائية.. فهذا انحراف، وذاك انحراف!..

فليس مطلوب أن يكون الإنسان مشغولا بالناس، إلى درجة يذهل عن نفسه وعن ربه، ويعيش مع الناس بكل وجوده، فالمؤمن له وقفة في الليل صلاة ومناجاة، وله ساعات عبادية.. فالمؤمن لا يجعل كل شغله بالناس، حتى مع أقرب الناس إليه، كالأهل والأولاد.. فقد ورد عن علي (ع): (لا تجعلنَّ أكثر شغلك بأهلك وولدك!.. فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله، فإنَّ الله تعالى لا يضيع أولياءه.. وإن يكونوا أعداء الله، فما همك وشغلك بأعداء الله؟!).. أي أعطهم حصتهم ونصيبهم..

فالمؤمن في كل شؤون الحياة، يحاول أن يكون متوازنا في مشيته.. إن الذي ميز عليا (ع) عن غيره، هو جمعه للصفات المتناقضة.. ومن هنا وصفه الشاعر، بقوله:

**جُمعتُ في صفاتك الأضدادُ \* \* \* فلذا عزَّتْ لك الأندادُ**

**زاهد حاكم حلِيم شجاع \* \* \* فاتك ناسك فقير جواد**

فقد كان في الحروب له حالة، ومع الناس له حالة أخرى.. مع أن الإنسان العسكري عادة إنسان خشن، وحاد المزاج، وشكله مهيب لا يبتسم، ومع كونه الشجاع الأول، ذراع رسول الله (ص)، صاحب ذي الفقار، إلا أنه كان يعاب عليه بأن فيه دعابة، لأنه كان طيبا مع الناس ويلطفهم.. والنبي الأكرم (ص) أيضا كان كذلك، فقد كان يجمع بين الهيبة والملاطفة مع أصحابه.

### س2/ كيف يضمن المؤمن حالة التوازن في شؤونه الحياتية، بعيدا عن الإفراط أو التفريط؟..

**أولا: بالمعرفة النظرية..** ومن الكتب الأخلاقية المتميزة كتاب (جامع السعادات) للشيخ النراقي.. إذ في هذا الكتاب اتبع الشيخ-قده- أسلوب ذكر كل فضيلة على أنها وسط بين طرفين: الإفراط، والتفريط، حتى يعلم الإنسان كيف يمشي.. فمثلا لما يذكر فضيلة الكرم، يذكر أيضا ذم البخل-أي جانب التفريط- وذم الإسراف والتبذير-أي جانب الإفراط-.

**ثانياً: بالمراقبة الفعلية للمزاج..** إن البعض يسترسل مع مزاجه على حساب الشريعة، ويحمل هذا الاسترسال على الشريعة.. فمثلاً: هو إنسان انطوائي، ويميل إلى العزلة، فيحمل مزاجه على رضا الله تعالى، ويقول بأن تكليفه العزلة!.. أو هو إنسان اجتماعي، ويميل إلى الخدمات والنشاطات الاجتماعية، أيضاً يقول بأن تكليفه الانشغال مع الناس!..

فمن ضمانات عدم الوقوع في الإفراط أو التفريط، أن يدرس الإنسان مزاجه، ويحذر من طغيان مزاجه؛ لئلا يتداخل المزاج مع ما يوجب رضا الرب تعالى، ويحمله على الشريعة.

## 6. الكذب في التقرب

إن ارتكاب الحرام المتعمد -ولو في أدنى درجاته- يعكس حالة عدم الصدق في التقرب إلى الحق المتعال؛ فكيف يمكن التقرب إلى من نتعرض لسخطه بشكل متعمد؟!.. وخاصة مع النظر إلى مبدأ: لا تنظر إلى صغر المعصية، وانظر إلى من عصيت.

وقد أمرنا أن لا نحترق عبدا، فلعله هو الولي، ولا نحترق طاعة فلعلها هي المنجية، ولا نحترق معصية فلعلها هي المهلكة.

### س1/ ما هي العلاقة بين عدم الصدق في التقرب، وارتكاب الحرام المتعمد؟..

إن بقولنا الحرام المتعمد، يخرج الحرام غير المتعمد.. بل إن الحرام إذا لم يكن متعمدا، فليس بحرام أصلا.. فمثلا: القتل مع أنه أعظم جريمة، ولكنه إذا كان غير متعمد، فإنه يعد قتلًا بالخطأ.. فالحرام يكون حراما، إذا كان فيه عنصر التعمد.. ولكن ينبغي الحذر، لأن بعض الحرام غير المتعمد هو في حكم الحرام المتعمد، من بعض الجهات.. فالجهل في الفقه يقسم إلى: جهل قصوري، و جهل تقصيري، أي أن هناك جاهلا بجهل قصوري، وهناك جاهلا بجهل تقصيري.. فلو ارتكب إنسان جاهل بالجهل التقصيري الحرام وهو غير متعمد، فإنه غير معذور، لأنه قصر في التعلم، وخاصة أن هذه الأيام مع انتشار وسائل المعرفة الحديثة، قل من يعذر!.. حتى أن البعض بسبب تقصيره في التعلم، يتورط في زيجات ممنوعة، مثلا: امرأة لا يجوز له أن يتزوج منها لبعض الموانع المعروفة، وهو لا يعلم، وتزوج وأنجب!.. ففي مثل هذه الحالات حتى يخرج الإنسان من دائرة ارتكاب الحرام إن ارتكب حراما، لا بد أن يكون معذورا.

أما عن العلاقة بين عدم الصدق وبين الحرام، فإن الحرام كما أن له علاقة بالعبد، بأنه: هو المرتكب والفاعل للذنب.. أيضا فإن له علاقة بالرب: بأنه بارتكابه الحرام قد عصى الرب، وتجاوز حدوده، وهتك قانونه.. ولهذا من المعلوم في القانون الجزائي المدني- في المحاكم هذه الأيام- مع أن بعض الناس يتراضون ويتصالحون، ولكن القاضي يأمر بحبس المتعدي، مراعاة لحق العموم، لأنه هتك قانون الدولة، وسبب أذية اجتماعية. فعليه، إن الإنسان العاصي ولو أنه ارتكب معصية صغيرة، فإنه هتك القانون الإلهي.. إن القربة أو البالون إذا ثقب، فقد انتقص وتسرب ما فيه، وما عاد بالونا منفوخا، وما عادت قربة فيها ماء، سواء ثقب ثقبا صغيرا أو كبيرا، واحدا أو أكثر.. كذلك حال الإنسان المرتكب الذنب.. وهنينا للذي يبلغ ولا يرتكب المعصية!.. ويمكن أن نشبه الذي لا يرتكب ذنبا بعد بلوغه، بحالة البكارة في عالم النساء، فنقول بأن روحه بكر، بمعنى أنها لم تنتقص بالتعدي، والتجاوز على حدود الله تعالى.

وقد يقول قائل: أين الرحمة الإلهية؟.. أين القول الوارد بأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له؟..

فنقول: إن هذا في عالم العقوبات صحيح؛ فإن الإنسان عندما يرتكب معصية، ويستغفر رب العالمين، فإنه يغفر له.. ولكن في عالم التقرب، فالأمر يختلف ولو قليلا، فإنه قد يسلب بعض الهبات.. كلنا يعرف قضية وحشي، ذاك الرجل الذي ارتكب ما ارتكب، في معركة أحد.. ولكن يقال بأن النبي (ص) ما قام بعمل يتناسب مع عظمة ما قام به



ذاك الرجل.. فبعض الناس كذلك، فإنه قد لا يعاقب، ولكنه لا يرشح للمراحل العليا، لا يرشح لأن يكون على مستوى روحي عال..

فإذن، لابد أن نحذر المعصية من الطرفين: من جهة العقوبة الإلهية الأخروية، ومن جهة سلب المقامات.. وهناك شاهد يقرب الفكرة: من المعلوم فقها أنه لا يجوز تقديم ابن الزنا، في صلاة الجماعة، مع أن ابن الزنا لا ذنب له، والذنب ذنب أمه أو أبيه.. ولكن لأن الإمامة ترشيح وامتياز لإمام المسجد، والذي وقعت فيه هذه الحالة لا يعطى هذه المزية.

فعلية، إن الإنسان لابد أن يكون صادقا في دعواه، ويترك المعاصي بكل صورها.. ومن المعلوم أن التكليف: هو ترك الحرام، وفعل الواجب.. ولكن المؤمن الذي يريد الهبات الخاصة، لابد أن يضيف إلى ذلك أقارب الحرام وهي المكروهات، وأقارب الواجبات وهي المستحبات.

## س2/ نلاحظ أن بعض العصاة، لهم حالات إيجابية في العبادة.. فكيف نفسر هذه الحالة؟..

إن هذا سؤال مهم وطريف!.. وقد يثير استغراب البعض، فيقول: كيف يكون هذا الإنسان العاصي المنحرف، كما رأيتـ مثلا- في الحج، وهو في الطواف، في حالة خشوع؟!..  
والجواب: أولا إن هذه الحالة قد لا تكون رحمانية من أساسها!.. فالبعض هو في هلاك، ويسير في طريق غير مستقيم، ويحتال عليه الشيطان- كما تشير بعض الروايات- بأن يلقي عليه التخشع والبكاء، فيظن نفسه أنه على خير، ويبقى فيما هو فيه، من الضلال والانحراف.. لأنه يقول: لولا أنني كذلك، لما تفاعلت وبكيت!.. والحال أنه لا تزيده كثرة السير إلا بعدا!..

وهناك احتمال آخر، وهو أن تكون هذه الحالة رحمانية.. فإن الله تعالى لطفًا للبعض، إذ يريد أن يهديه ويرجعه إلى رشده، فيعطيه حالة خشوعية.. وكأنه تعالى يقول له: أنت معرض، ولكن نحن لم نعرض!..  
ونلاحظ أن هذه الخطة الإلهية، قد أثرت أثرها، مع بعض العصاة.. فعندما يعطى حالة خشوعية في شهر رمضان، أو في مشاهد المعصومين، أو عند البيت الحرام؛ يتحرك قلبه، ويلين بعد قسوته، ويقول: يا رب، كم أنت كريم!.. تتحيب إلي تفضلا بقربك، وأتبغض إليك متجرنا بالمعاصي!..

وعليه، فلأن القضية ذو وجهين-رحمانية، وشيطانية- فينبغي للإنسان ألا يعول على بكاء أو خشوع، وإنما التعويل على العمل.. فإذا إنسان من الصباح إلى الليل وهو عاكف على المعاصي، يرتكب معاص مختلفة، ثم في صلاة الليل أخذ يبكي من خشية الله تعالى، فإذا هو لم يكن عازما على التوبة، فليشك في هذا البكاء!.. لأنها قد تكون خطة إبليسية، للتخدير!.. وكأنه يقول له: أنت ابق على ما أنت فيه، اعص نهارا، وأقم صلاة الليل، وابك ليلا!..

## 7. الأُنس بالقرآن

الأُنس بالقرآن الكريم: قراءة وتدبرا وتطبيقا، من سمات الصالحين.. إذ كيف يمكن قطع الصلة بكلام رب العالمين، وفيه تبيان لكل شيء، وشفاء لما في الصدور؟!..

إن الالتزام بالتلاوة الواعية، يوجب انفتاح أبواب المعرفة القرآنية الخاصة، وإن لم يكن صاحبها متوغلا في علوم القرآن، فللقرآن إشارات ولطائفه ورموزه، وكل ذلك يحتاج إلى شرح الصدر، ومن عوامله ما ذكرناه من التلاوة الواعية.

س1/ ما هي العلاقة بين القراءة الواعية للقرآن الكريم، وبين تحقيق الكمال والقرب من المولى تعالى؟!..

إن العلاقة واضحة وبديهية!.. فإن القرآن الكريم كتاب التزكية والتعليم، أنزله رب العالمين، لإخراجنا من الظلمات إلى النور.. ولكن استخراج القواعد من القرآن الكريم، يكون من خلال القراءة الواعية!..

ولذا نحن ننصح أن تكون قراءة المؤمن للقرآن الكريم، كقراءة إنسان لكتاب طبي فيه ذكر لأمراض هو مبتلى بها.. إذ أنه عندما يقرأ وصف المرض وعلاجه، فإنه يقرأه بتلهف وشوق شديد، لأن هذه المعرفة ستعينه على عملية العلاج.

إن قراءة القرآن الكريم بالترتيل مطلوبة شرعا، ولاشك أنه يترتب عليها الثواب الجزيل.. ولكن هنالك فرق بين الترتيل للقرآن الكريم لأخذ الثواب، وبين من يقرأ القرآن الكريم، ليستثير به دواء دائه.. ومن المعلوم أن من صفات النبي (ص) -كما ورد في النصوص المباركة عن أهل البيت (ع) - أنه: **(دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه)..**

ولكن ذلك، بأي وسيلة؟!.. إن النبي (ص) كانت وسيلته القرآن الكريم.. فالذي لا صلة له بالقرآن الكريم تدبرا وتمعنا، فإنه مقطوع الصلة بالبحر الأصلي، وسوف يعيش التخبط في حياته.

ومع الأسف، إن بعض الذين يدعون الكمالات الروحية أو ما شابهه، لا يتقنون حتى القراءة الظاهرية للقرآن الكريم، ولا يعلمون قسما كبيرا من مفرداته!..

لا يشك أحد أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا، هو كتاب رب العالمين!.. فالمؤمن لا يطيق هجر كتاب ربه، بل إن من برامجه اليومية أنه يخصص وقتا للتدبر في كتاب ربه.. فلو أنه يقرأ تفسير جزء واحد في الشهر بتمعن شديد، فيكون في خلال ثلاثين شهرا، قد تمعن في القرآن كله، تمعنا شديدا.. فكيف إذا في كل أسبوع يقرأ، إن هو في ثلاثين أسبوع، يكون قد مر على المعاني القرآنية الراقية.. ومن المعروف أن الذي له صلة بالقرآن: تلاوة، وتدبرا، ومراجعة للتفاسير؛ فإنه بعد فترة يرى شيئا في باطنه.

إلا أن البعض يتكاسل في قراءة القرآن وتدبر معانيه، بعذر أنه مع قراءته الكثيرة، لا يجتمع عنده شيء، وينسى كل ما قرأه!..

والجواب: أن ما يقرأه يكون مخزنا في اللاشعور، وتأتيه المعلومة عندما هو يحتاج إليها..

أضف أن تلاوة القرآن، تعطي نورا باطنيا.. فليس من الضروري أن يتذكر الإنسان المؤمن كل ما قرأه في تفسير القرآن.. فنفس أن يفتح كتاب تفسير القرآن، ويتدبر في معانيه، يعطيه نورا باطنيا، وهذا النور الباطني ينفعه في فهم القرآن.. فهو لما يرجع مرة ثانية يقرأ القرآن، فإنه يقرأ بنور إلهي خاص ومضاعف في هذا المجال.

## س2/ كيف يمكن الوصول للطائف والإشارات في القرآن الكريم؟..

إن هذا بحث حساس وخطير!.. والبعض فسروا القرآن برأيهم!.. فنلاحظ ما يقال في بعض التفاسير، لا ارتباط له بالقرآن أصلا، لا من قريب ولا من بعيد، خاصة بعض التفاسير الباطنية العرفانية الأخلاقية!.. فالبعض يتجاوز الحد إلى حد كبير جدا!.. فينبغي أن نحذر ولا نخلط بين اللطائف والإشارات، وبين القول على القرآن الكريم، بدعوى أنه هكذا يفهم من القرآن هذا المعنى!..

إن الذي يريد أن يصل للطائف وإشارات القرآن، يحتاج أن يصل إلى ما وراء التفسير.. وهذا الأمر لا يتيسر لكل أحد؛ فإن رب العالمين لا يكشف هذه الحقائق إلا لمن كان صادقا، فليس كل من ادعى، هو صادق.. وإن الإنسان إذا كان صادقا بالعبودية، فإنه يصل إلى درجة أنه يفهم كلام الله تعالى، بغير الفهم المتعارف.

وليس بالضرورة إن كل ما فهمه الإنسان ينشره في المأ العام، فقد تكون معان خاصة.. وأحذر البعض ألا يكتب في الدين من أول الأمر، أو يعطي رأي الإسلام في المواقف المختلفة، لأنه-مثلا- قرأ بعض الكتب، أو تعبد فترة من الزمن، فإن هذا يحتاج إلى نضج في هذا المجال.. وخطير جدا أن يتقول الإنسان على الإسلام، أو القرآن الكريم، ويقول: الإسلام يقول هكذا!.. أو القرآن يقول هكذا!.. ثم إن الكتمان من موجبات انفتاح هذا الباب.

فإذن، إن معرفة ملكوت وما وراء الآيات أو حقيقة وجوه القرآن الكريم، يحتاج إلى شرح صدر.. فشرح الصدر من آثاره، أن الإنسان يرى بعض المعاني في القرآن، والتي قد لا يعلمها البعض.

فإذن، علمنا أن هناك علاقة بين الأنس بالقرآن الكريم والقراءة الواعية، وبين تحقيق التكامل والقرب من المولى تعالى.. فإن التدبر في الآيات، وخصوصا الآيات المتعلقة بمجاهدة النفس والتكامل الأخلاقي، لمن موجبات ارتفاع طموح الإنسان في هذا المجال، وضمانة لعدم التخبط في حركته التكاملية إلى رب العالمين.

## 8. عدم الإحساس بالتميز

إنّ النجاح في بعض المراحل يهب صاحبه شعورا بالتميز والتفوق على الآخرين، وخاصة إذا كان يعيش مع من هو دونه في هذا المجال..

ومن هنا لزم أن نستحضر: حقيقة أن الأمور إنما هي بخواتيمها، فكيف لنا إحراز الخاتمة الحميدة؟!..

كما لزم أن نستحضر: حقيقة جهلنا بواقع الآخرين، فكيف لنا إحراز التفوق عليهم؟!..

إنّ هذا الإحساس بالتفوق-الذي لا مبرر له عقلا ولا شرعا- قد يوجب في بعض الحالات منع الهبات المدخرة للعبد، إضافة إلى سلب الهبات الفعلية، وهذا معنى الانسلاخ من الآيات، الذي وقع فيه أمثال بلعم.

بداية، أحب أن أؤكد أن هذه الدورة التي قد تكون في أربعين حلقة، بعدد الوصايا الأربعين، إنما هي حلقات من أجل التزود، والعمل على تغيير الذات والهوية الباطنية.. ولهذا فالذي يحب أن يتابع الحلقات، فرجاؤنا أن يكون الاستماع بهذه النية؛ وإلا فإن المشاهدة العابرة، قد لا تعطي الثمار المرجوة!..

**س1/ إن السالك بعد فترة من سيره في عالم الرقي والتكامل، يجد نفسه متميزا عن الآخرين، وأفضل منهم.. فكيف يدفع هذا الإحساس بالتميز؟..**

إن الإحساس بالتميز والأفضلية آفة متعارفة، في طريق أهل الكمال.. لأن الإنسان الناقص والعاصي، لا كمال له، فلا يخاف عليه من الإحساس بالتميز، لأن التميز منتف منه أساسا، بل إنه دائما يعيش حالة التواضع الباطني، وهذه حالة إيجابية في العصاة!..

إن الإنسان الذي له بعض التوفيقات العبادية، فقد يستشعر بعض أنواع التميز، أو ما يعبر عنه في النصوص، بالإحساس بالعجب.. وإن الإحساس بهذا التميز قاتل ومهلك!.. فالذي يعجب بنفسه، فإن هذا إنسان يهوي ويسقط من عين الله تعالى، لأن الله تعالى خلق الأنبياء والمرسلين والأوصياء، وله ما له من الموجودات المتميزة، فما قيمته وقيمة أمثاله في هذا الطريق!..

ولكن كيف يمكنه أن لا يستشعر هذه الأفضلية، وهو يرى نفسه أنه مطيع ومقبل على العبادة، ويرى غيره غافلا لاهيا عاصيا؟!.. فإن أرضية العجب موجودة، وإن هو أراد التكلف والتظاهر باحتقار نفسه، من باب التعبد؟!..

**الجواب: لدفع هذا الشعور، لابد من الالتفات إلى أمرين مهمين:**

**الأمر الأول: الجهل بخواتيم الأمور:**

إن الإنسان المؤمن كلما ترقى في الإيمان، ازداد وجلا وخوفا، ويرجو من الله تعالى حسن الخاتمة، فحتى لو أنه كان في الوقت الحاضر متميزا، لكنه لا يعلم ماذا يخبئ له المستقبل من مفاجآت الانتكاسات، فإن الشيطان بالمرصاد لبني آدم، ولا يبأس حتى آخر لحظة له في الدنيا.

فمن المعلوم أن الشيطان اللعين إذا كان مستوليا على الشجرة، ودار الأمر بين أن يقطف ثمارها غير الناضجة، أو ينتظرها حتى تنضج، فهو يفضل أن ينتظر حتى تنضج الثمرة، لحسده القديم لبني آدم، فهو يريد أن ينتقم منه شر انتقام..

فبعض الناس هكذا، فشجرة وجوده شجرة شيطانية، مع أن له ثمارا حسنة: عبادة، وتوجهها، وعلمها، وغيرها من الأعمال الحسنة.. فهو بما أنه في يد الشيطان، يصبح في قبضته، فيتركه يتكامل ويتكامل، حتى إذا وصل إلى مستوى من النضج الظاهري، يقتلعه اقتلاعا من جذوره، فينتكس وينقلب ظهرها على عقب!..

والقرآن الكريم ذكر لنا مثلا مخيفا، لرجل كان من الأولياء، وهو بلعم بن باعوراء، الذي وصل إلى مقامات عالية، وإذا به ينتكس إلى أسفل سافلين!..

والتاريخ أيضا يذكر لنا انتكاسة أصحاب الإمام موسى بن جعفر (ع)، وكيف أنهم كانوا وكلاء الإمام والمؤمنين على أمواله، ولكن جرهم طمعهم في الأموال التي كانت بأيديهم إلى هذه العاقبة السيئة، فوقفوا على الإمام موسى بن جعفر (ع)، ولم يعترفوا بالإمام الرضا (ع).. ويا له من خسران مبين!.. إذ باعوا آخرتهم بأخس وأحقر ما في دنياهم!.

إن موضوع الانتكاسة موضوع مخيف، ومن المناسب مراجعة حياة الأنبياء والأئمة (ع)، للتعرف على المنتكسين في كل عصر وزمان، وأسباب انتكاساتهم.

### الأمر الثاني: الجهل بالبواطن:

إن المتعارف بين الناس هو المقارنة الظاهرية بين فرد وآخر، وعلى أساس هذا المقارنة يقيمون الناس، حسنا وسوءا.. ومن الخطأ هذه المقارنة، بأن يجعل الإنسان المقارنة بين الجوارح والجوارح، حتى يقول صاحب الجارحة هذه، أفضل من صاحب الجارحة تلك!..

لأن الإنسان وإن كانت له معصية معينة، ظاهرة على إحدى جوارحه، فأريتها أنت.. ولكن البواطن لا يعلمها إلا الله تعالى، فقد يكون صاحب ملكات راقية، يحبها الله تعالى ورسوله (ص)، فقد يكون كريم الطبع، عطوفا، يتأثر لآلام الآخرين، قد يكون إنسانا يحب الخير للغير..

فالظاهر وإن كان يعكس أفضليتك، لأنك إنسان صاحب طاعات ظاهرية، وذاك العاصي عنده معاص ظاهرية، ولكن من قال أن باطنك خير من باطنه؟.. وقد ورد: (إن الله تعالى قد يحب عبدا، ويبعض عمله).. أي أن الجارحة فيها هفوات، ولكن الذات ذات راقية ومهذبة.. ولطالما رأينا في التاريخ مصاديق لهذا المعنى.

فإن، إننا إذا ضمنا هذين الأمرين، فإنه كاف لدفع العجب، والإحساس بالتميز في هذا المجال.

س2/ إن من الأمور المقلقة والشاغلة لبال الكثير من السائرين في طريق الله تعالى، مسألة سلب الهبات.. فكيف يمكن أن نقي أنفسنا من هذا الأمر؟..

إن معنى الهبة غير معنى التملك.. إذ يمكن لأي إنسان أن يملك شيئا بالشراء مثلا، فيشتري بضاعة فتصبح ملكه، ولا يزاحمه فيها أحد.. ولكن الهبة هي ملك للغير، وأعطيت لإنسان آخر، ويمكن لصاحب الهبة أن يسترجعها منه.

ومن المعلوم أن الإنسان وجوده، وكل ما عنده من نعم مادية ومعنوية، إنما هي هبات له من رب العالمين، فهو المالك الحقيقي لكل شيء، ولا معنى أن يمتلك الإنسان شيئاً في مملكته تعالى.

إن الله تعالى إذا رأى عدم شكر الإنسان لهذه النعم والهبات، فإنه قد يسترجعها ويسلبها منه.. مثلاً: إنسان يعطى حالة من الخشوع والقرب من الله تعالى في المسجد، ولما يرجع لمنزله يعيش حالة الاحتقار والتعالي على الزوجة والأولاد.. وهو لا يدري أنه بسلوكه هذا، قد بدل نعمة الله تعالى كفراً!..

أو إنسان يرزق الحج أو الزيارة لأحد المراقد المشرفة، فيتكئ على مخزونه في الزيارة، ويشعر بالأمان والقرب من رب العالمين، ويفرح بالثواب والمغفرة، فيخفف المراقبة، فيقع فيما يوجب له السلب!.. إن الإنسان وهو عاص قد يشعر بالخوف، ويراقب سلوكه، ولكن -مع الأسف- الملاحظ بعد مواسم الطاعة، العكس!.. فترى في موسم الحج أن الحجاج بعد الموسم مباشرة، لهم بعض الهفوات، لأنهم يقولون على ما كانوا عليه في الموسم.

فعليه، ينبغي أن نلتفت إلى أن هذه الهبات، أعطيت وتسلب، فكما أنها أعطيت بموجب، فإنها تسلب أيضاً بموجب.

## 9. الكدح والمجاهدة

إنَّ السير في الطريق من دون كدح ومجاهدة، ضرب من ضروب الخيال يعيشه أصحاب الأمانى، ممن لا همّة لهم في الحياة..

فالذي يعشق الدعة والراحة، ويهوى موافقة جميع ما يجري لمزاجه وهواه، عليه أن يعلم أن الكدح والمجاهدة هو سنة الله تعالى في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.. ولو كان الإعفاء من ذلك لطفًا، لكان الأنبياء عليهم السلام أولى بهذا اللطف.

س1/ إن من القواعد المهمة في السير إلى الله تعالى الكدح، والمجاهدة في مخالفة الهوى.. ولكن ألا يخشى من ذلك، نفور النفس وتراجعها عن هذا الطريق؟..

لا شك أن الهدف الذي يرجوه السالك في هذا الطريق، هدف راق ومقدس.. ومن المعلوم أن طبيعة الإنسان، أنه يتحفز بمقدار علو ما يهدف إليه.. فمثلاً: إن الإنسان الذي همه في هذه الدنيا أن يعيش حالة الكفاف، فإن سعيه الاقتصادي سيكون بمقدار هذه المهمة.. بينما الذي يحب أن يكون من أثري أثرياء البلد، لا خلاف في أنه لا بد أن يبذل جهده، في السعي بشكل مضاعف..

إن بعض الناس سقّف همته أن يكون مطيعاً، وأن يحقق العدالة الفقهية، فلا يرتكب المعاصي، ويعمل الواجبات.. ولكن البعض له طموح أرقى، فهو يريد أن يصل إلى مرحلة عليا من التميز في طريق العبودية.. وهذا هو مراد الشريعة من الجميع.. فلو تأملنا في القرآن الكريم، نجد كم من الآيات التي تحث على رفع المهمة، في سلوكنا وعلاقتنا مع الرب تعالى، مثل قوله تعالى: **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَنْطَعْتُمْ}**، و**{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}**.. وأمير المؤمنين (ع) في المناجاة الشعبانية لا يطلب الانقطاع، وإنما يطلب كمال الانقطاع.. والانقطاع أو كمال الانقطاع، بمعنى أن يكون الإنسان دائماً عينه على رضا المولى تعالى، ولا ينظر إلى شيء سواه. فعليه، إن من كانت هذه رغبته، فلا بد أن تتناسب همته مع عظمة ما يريد الوصول إليه.. ومن الطبيعي أن هذا الطريق، يحتاج إلى كدح ومجاهدة.

ومن المعلوم أن الكدح والمجاهدة في الشريعة الخاتمة-الشريعة السمحة السهلة- مختلف عن المدارس الروحية المنحرفة، كمدارس الهند وبلاد الغرب.. فإن نظريتهم تقوم على أساس قهر البدن، لتقوية الروح.. وكأنهم يرون بأن البدن والروح ضربتان متعاكستان، وأن الذي يريد أن يرفع بمستوى الروح، لا بد أن يتعب البدن ويهرقه.. فيمارسون بعض الصور الشاقة، مثل: الوقوف في الشمس، والنوم على المسامير، وما شابه.

ولكن الشريعة الإسلامية إنما جاءت لتعطي كلا من العالمين-البدن والروح- حقه، قال تعالى: **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}**.. فإن النظرية الإسلامية تقوم على أساس جعل حالة من حالات

الحكومة والإمارة في الوجود، فالبدن هو الرعية، ولا داعي لقهر الرعية أو تعذيبها، إنما المطلوب أن تتقيد الرعية، وتمتثل لأوامر الراعي أو الحاكم، وهو الجهاز العاقل والشاعر في الوجود، سمه العقل أو القلب أو اللب.. بل إن هنالك حالة من حالات الانسجام والمصالحة، بين العقل-الذي قلنا بأنه بمثابة الحاكم- والبدن- الذي قلنا بأنه بمثابة الرعية- في إعطاء شيئا من الحق للبدن.. فالعقل مثلا يقول للبدن: أنا أسمح لك ببعض التلذذات، ولكن بقيد، كما وكيفاً: فأما كيف، فهو أن تكون اللذة راجحة ومباحة؛ وأما الكم، فهو أن تكون بقدر.

أضف إلى أن هذه الحاكمة للعقل على البدن، لها هادفة، بخلاف المدارس التعذيبية أو الرياضات المنحرفة، فليس هنالك من هدف معين من تعذيب البدن، غير سمو الروح، والاستفادة من قواها الخارقة دنيويا.. ولكن هذا ضمن أي شريعة؟.. وفي أي دين؟.. وما هي المراحل اللاحقة لهذا السمو؟.. وما هي نتيجة وأثر هذا السمو بعد الموت؟.. كل هذه الأمور لا تهتم لها هذه المدارس.

ولكن الإسلام يريد من الإنسان، أن يحقق أعلى درجة ممكنة، من التكامل والقرب من رب العالمين.. فإنه بمقدار انقياد البدن لأوامر الروح، التي تأخذها من الشريعة، يتقرب إلى الله تعالى.. ونتيجة هذا القرب، أنه يعيش في جنة القرب الإلهي في الدنيا قبل الآخرة..

إن الإنسان بطبيعته متلذذ، ويبحث عن اللذة، ويتشوق إلى اللذائذ.. والشريعة الإسلامية جاءت لتفترح عالما جديدا من اللذائذ الباطنية، وكما هو معلوم بأن لذة الباطن لا تقاس بلذة الظاهر..

ولتقريب الفكرة نذكر هذا المثال المتعارف في الحياة الزوجية:

يتفق أن الزوج يدخل المنزل، وفي يده باقة ريحان أو سلة فواكه أو غيره لزوجته، ويعطيها إياها من دون أي كلام.. وقد يدخل المنزل ولا يقدم لها شيئا، ولكنه يعبر لها عن مشاعره، قائلا: أنا أحبك، وراض عنك!.. فأيهما ألد عند الزوجة؟.. إن إحساس الزوجة برضا الزوج عنها، أمر معنوي.. ومع أنه ما أعطاها شيئا ماديا، ولكن هذا الإحساس أرقى بكثير من إعطائه لها سلة الفواكه والعطور وما شابه.

فإن أمنية الأماني، ولذة لا تقاس بها لذة في الوجود، أن يصل الإنسان إلى درجة الرضوان الإلهي!.. قال تعالى: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}**، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي}**.

فعليه، فإذا كان هذا هو الهدف، فإن الكدح سيكون سهلا!..

س2/ إن الكدح والمجاهدة قد يصاحبها شيء من المصاعب والمصائب.. فكيف يقوي الإنسان حالة المقاومة لديه؟..

يمكن ذلك بمجموعة أمور، منها:

**الهدفية وتصور الجوائز العظمى:**



إن الإنسان الذي يصعد الجبل، لا شك أنه يجد ما يجد من العناء والمصاعب، إلا أن تصوره للجائزة التي سيفوز بها لو وصل للقمة، يخفف عليه هذا العناء، بل يزيده همة ونشاطا.

### تقوية النفس وتلقيها بأنها قوية:

إن الفراغة والأكاسرة كانوا يستضعفون الناس، إلا أننا-مع الأسف- نستضعف أنفسنا، فنراها ضعيفة دون قوتها الحقيقية!.. فأحدنا لما ينظر لنفسه، يعاملها دون ما هي فيه وعليه.. والشاهد على ذلك: نحن طوال السنة نتكلم عن إحياء الليل، ونذكر بقوله تعالى: **{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}**، ولكن البعض يستغرب ويستعظم صدور هذا الفعل، ويقول: أيعقل أنه في زمان النبي (ص)، كان البعض يهجع من الليل قليلا؟!.. وكيف يكون ذلك، وهؤلاء بشر، ولا بد لهم من النوم لساعات كافية؟!..

والحال أننا نلاحظ في شهر رمضان، وفي إحياء ليالي القدر بالخصوص، نلاحظ أنه حتى الطفل الصغير يطبق هذه الآية!.. وبعض الناس من الإفطار إلى السحر، وهم في حالة عبادة متواصلة، بين صلاة، ودعاء، وتلاوة للقرآن.. والبعض يحب أن يحيي العشرة الأخيرة، من شهر رمضان..

فلماذا الإنسان بعد شهر رمضان، يستكثر على نفسه لحظات من قيام الليل، وهو الذي كان قبل شهر أو أقل قد أحيا الليل؟!.. نحن نستضعف أنفسنا؛ والشيطان لعل له دورا في تثبيط الإنسان، وتلقيه بأنه دون المستوى المطلوب.

## 10. تقوية البنية العلمية

إن امتلاك البنية العلمية القوية، وخاصة في مجال: العقائد، والفقه، والقرآن، والحديث، والسيرة، نغم المعين لمعرفة ما أراده المولى من عبده.. إذ أن مراد المولى في الجزئيات المرتبطة بالشرعية لا تُدرك بالعقول، بل لا بد من الاتصال بمبدأ الغيب، وذلك لا يتم إلا عن طريق أمناء الله على وحيه، وهم المعصومون من النبي (ص) وأهل بيته (ع)، وما خرج من غيرهم فهو زخرف يصد عن الحق.. أضف إلى أن هذه المعرفة، ضمان لعدم الوقوع في الهفوات المعهودة في مجال المعرفة النظرية، والتي تشكل مقدمة للوقوع في المهالك العملية.

### س1/ كيف يمكن أن يقوي الإنسان بنيته العلمية مع كثرة الانشغالات هذه الأيام؟..

إن تقوية البنية العلمية، أمر ضروري للسالك في طريق الله تعالى.. ونلاحظ أن البعض من الذين يعشقون الجو العبادي والمناجاة مع رب العالمين، يهتمون الجانب العلمي إلى درجة ازدياد العمليات.. والبعض حتى لا يتفقه في الدين، ويعتبر كأن الرسالة العملية، إنما هي لعوام الناس، ولا قيمة لها، وهو صاحب التخشع والسير!.. وهذه ظاهرة خطيرة في هذا المجال!.. فلا بد من وجود برنامج علمي للمؤمن، ليقوي بنيته العلمية، يتضمن عدة مواد، تعينه في تقوية بصيرته، وتجعل سيره إلى الله تعالى على هدى.. والمواد هي: **الفقه، والقرآن الكريم، وسيرة أهل البيت (ع) ورواياتهم، والعقائد.**

وعلى رأس هذه المواد، ما يتعلق بهيكل العبادات، وهي: الرسالة العملية.. فضروري جدا التفقه في الدين، وخصوصا في المسائل الابتلائية.. وإلا فكيف للسالك أن يحرز رضا المولى تعالى، وهو حتى لا يؤدي تكليفه بشكل صحيح؟.. ولهذا لو أنك رأيت إنسانا متميزا في بعض الجهات الروحية، وسألته: من تقلد، فقال: لا أقلد أحدا، فورا تعلم أن هذا الإنسان ليس على شيء، ما دام لا يرجع إلى أهل الخبرة في ظاهر عباداته.

ومن المواد أيضا: تعلم القرآن الكريم تلاوة وتفسيرا.. فإن الإنسان الذي لا يعلم المعاني الظاهرية لهذا الكتاب العظيم، بعيد عن هذا العالم.

وأیضا: الإطلاع على سيرة النبي (ص) وآله.. ومن المناسب قراءة الكتب التي تتناول السيرة مع شيء من التحقيق والتحليل-لأن هناك سيرة سردية تنقل السيرة، كما هي من دون تحليل- فالقراءة التحليلية بليغة ومؤثرة في استلهاهم الدروس والعبر.. وهذه الأيام-بحمد الله تعالى- عندنا كتب كثيرة في هذه المجال.

ومن الملاحظ أن البعض يركز على جانب من جوانب حياة المعصومين (ع)، فيهتم بجانب المصائب أو الفضائل أو الكرامات، ويهمل الجانب العملي!.. وإلا ماذا تقول عن إنسان يعشق أمير المؤمنين (ع)، وهو عديم الصلة بنهج البلاغة، فكيف تفسر عشقه هذا؟!.. أليس هذا يعني أنه فقط يهتم بشجاعة أمير المؤمنين (ع)، ويعول-مثلا- على شفاعته يوم القيامة، وهذه مسألة مسلمة؟.. فأين نحن من نهج البلاغة، هذه الكتاب الذي يمثل تراث علي في

هذه الأمة؟!.. أو كيف تفسر أن إنسانا يتألم لمصائب الإمام زين العابدين (ع)، ولكنه لم يقرأ في حياته مرة واحدة صحيفته السجادية؟!..

ومن المعلوم أن الإنسان كلما زاد علما، زاد تفاعلا روحيا.. ومن هنا نقول: إن من المناسب جدا للذي يريد زيارة المعصوم أن يأخذ معه إلى جانب كتاب الدعاء والزيارة، كتابا عن سيرة ذلك المعصوم، ويقرأ عن حياة الإمام وكرمه ولطفه، وكيف كان تعامله مع الناس ومع من معه من الخدم، ويقرأ الكلمات الأخلاقية ووصايا الإمام؛ حتى يمتلك رصيда فكريا معرفيا، مما يجعله يتفاعل بشكل متميز في الزيارة.

إلا أن بعض الناس يضع الجانب العلمي، في مقابل الجانب الروحي، فلا يهتم إلا بالقضايا الروحية، فهو روحيا متألق، ولكن مستواه العلمي ضعيف.. ولأن هذا نقص، ومن هنا فهو حتى يبرر نقصه هذا في الجانب العلمي، وعدم امتلاكه ثقافة عالية، فإنه ينتقد العمليات إلى درجة الازدراء، فيقول: إن هذا علم صوري، هذا علم في الكتب، ونحن علومنا مستنقاة من عالم الغيب!.. ولكن أي غيب هذا؟!.. وهذه سيرة الذين هم بلغوا أعلى درجات الكمال في هذا المجال، ويقول عليها كذلك!..

فعليه، لا بد أن نؤكد على أن هذه البنية العلمية لا بد من تحقيقها، لكن بشكل متوازن ومعقول.

**س2/ إن بعض الأشخاص يريد أن يعرف أسرار الأحكام الشرعية.. فهل هذا يتنافى مع التعبد الشرعي؟!..**  
لا يتنافى؛ ولكن لا بد أن نلتفت إلى أن البحث عن الأسرار، فيه مشكلتان:  
أولا: أنه قد لا يصل لهذا السر، فيكون عمله بالحكم الشرعي على مضض، ومن دون ارتياح.

ثانيا: أنه قد يتحول إلى إنسان غير متعبد، وإلى إنسان يبحث عن خواص الأحكام: لماذا لا أشرب الخمر؟!.. لماذا لا آكل لحم الخنازير؟!.. فإن التقيد بفهم الأسرار، من موجبات ضعف الإيمان في بعض الحالات.. وإن المؤمن ينبغي عليه أن يعمل بتكليفه الشرعي، متعبدا لله تعالى، سواء علم بعلة الحكم أو لم يعلم.

ومن المعلوم فقها أن هناك فرق بين مصطلحين (علة الحكم) و(حكمة الحكم).. والحكم يدور مدار العلة، لا يدور مدار الحكمة.. وقلما يأتي نص يبين علل الأحكام، بأن علة تحريم كذا هي كذا.. فالذي يرد في النصوص، كثيرا ما يكون الحكمة من الأحكام، والحكم لم يشرع على أساسها، فلو زالت الحكمة، يبقى الحكم قائما كما هو.

فعليه، لا بد أن نلتفت ونحذر من هذه المسألة، لئلا نقع في الشرك الخفي في هذا المجال.

## 11. المزاجية في التعامل

ينبغي الاحتراز عن المزاجية في التعامل مع النفس ومع الغير.. وعليه، فإنه لا يصح الترجيح بين أفراد الواجب، أو أفراد المستحب، أو بين أنواع المستحب، على أساس موافقة المزاج الذي قد يخلقه المرء-من تلقاء نفسه- في نفسه.. فإن الله تعالى يريد أن يطاع من حيث يريد هو، لا من حيث يريد العبد.. ومن المعلوم أن الهوى إذا صار دافعا وسائقا للعبد، انقلب إلى إله يُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ، وإن كان ما أمر به الهوى حسنا في حد ذاته.. وذلك كمن يحترف خدمة الخلق بدوافع ذاتية، فإنه لا يعيش أدنى درجات القرب الشعوري من الحق المتعال، إذ أنَّ الحسن الفعلي شيء، والحسن الفاعلي شيء آخر.

س1/ إن الإنسان المؤمن في حياته كثيرا ما يواجه الكثير من الأعمال التقريبية، وتحصل له حالة من المزاحمة، فيتخير أي الأعمال أفضل قربة لله تعالى.. فكيف يرتب المؤمن سلم الأولويات، بين أفراد العبادات المختلفة؟.. إن الإنسان المؤمن في الآن الواحد، من الممكن أن يقوم بنشاطات مختلفة: عبادية، أو اجتماعية، أو غيرها.. وإن الذي هو في طريق التكامل، وعينه على رضا المولى تعالى، ويريد أن يكون عبدا ذكورا شكورا، لا شك أنه يقع في التحير، ولا يدري يختار أي هذه الأفراد.. فهو الآن مثلا له مزاج لقراءة القرآن، وله مزاج للدعاء، وله مزاج للصلاة، وله مزاج لزيارة أخ مؤمن... فشهيته مفتوحة على كل سبل الطاعة، ومتحير يقدم على أي منها!..

### ويمكن حصر هذا التزامم في ثلاثة احتمالات:

إن التزامم تارة يكون بين واجب وواجب، وتارة بين واجب ومستحب، وثالثة بين مستحب ومستحب. فأما إذا كان التزامم بين واجب وواجب، فهذا له حله الفقهي.. كما يقال: لو دار الأمر بين إنقاذ الغريق وبين الصلاة في أول الوقت، فإن الراجح هو إنقاذ النفس. وأما إذا كان التزامم بين واجب ومستحب، فالقضية محلولة، بأن يقدم الواجب، لأن المستحب لا يزاحم الواجب. فيتعين الاحتمال الثالث، وهو المزاحمة بين أفراد المستحبات، فهنا مورد تحير المؤمن. فمثلا: إنسان مشغول بمناجاة مع رب العالمين، وإذا بأخ مؤمن يزوره، فيتخير ماذا يعمل: أيستقبل هذا المؤمن ويقطع مناجاته- وقد لا يكون هناك أمرا مهما، بل فقط مجرد استرسال في الحديث- أو يستمر ويكمل المناجاة؟..

### ومن الأمور المعينة لقطع التحير في مثل هذه الحالات:

#### الإمام بمذاق الشريعة:

إن مما يعين في مثل هذه الحالات، أن يعلم المؤمن مراد الشارع المقدس، في كل حركاته وسكناته.. وهذه درجة راقية، ويمكن الوصول إلى هذه الدرجة، من خلال المطالعة الكثيرة للروايات والنصوص وسيرة المعصومين (ع)، لمعرفة كيف كانوا يتعاملون في شتى المواقف.. فمثلا: لو أن إنسانا كان في حال عبادة، ودعاه مؤمن لقضاء حاجته، فما هو الموقف المطلوب شرعا هنا؟..

لما نراجع نصوص وروايات أهل البيت (ع)، نجد أنه ورد نصا: أن رجلا كان في حال الطواف، وناداه أحدهم يطلب مساعدة، ولكن الرجل استمر في طوافه؛ فأفهمه المعصوم، أنه الأفضل له أن يجيب أخاه. أيضا ورد في نص آخر: أنه إذا كان المؤمن صائما، ودعاه أخاه المؤمن إلى طعام، فالأفضل أن يجيب الدعوة ويفطر؛ مع أن الصوم له ما له من الأجر العظيم. فنفهم من مجموع النصوص: أن تقديم رغبة الغير على رغبة الإنسان، هو الأفضل.

ولا يخفى أن الإنسان- في بعض الأوقات- يكون انشغاله بالعبادة، لا من باب أنه الأَرْضَى اللهُ تعالى، بل لأنه الأَوْفَى للمزاج!.. فهو يحب أن يتلذذ بالعبادة، وكان تلك اللحظة مستمتعا ومأنوسا بدعاء كميل، إذ جاءه مؤمن- وقد يكون ثقيلًا على قلبه- فيفضل أن يقدم ما هو موافق لمزاجه!.. ولكن لو حكم الرضا الإلهي، فالأفضل أن يقدم استقبال المؤمن، ولو كان ثقيلًا على قلبه: **(أفضل الأعمال أحمرها)**، أي أشقها على النفس.

فعلية، إن الإلمام بمذاق الشريعة أو النصوص الشرعية، لهو خير معين وضمان للسير في الطريق الذي يرضي المولى تعالى.

### الاستفهام الإلهي:

إن المؤمن يصل إلى درجة من تحقق حاله العبودية في نفسه، أنه يكون حريصا على رضا المولى تعالى، في كل حركاته وسكناته.. ويعيش حالة الاستفهام الإلهي، قبل أي عمل يقدم عليه، فيقول: يا رب!.. أنا عبدك، والعبد مطيع لمولاه، أرجو رضاك، فأرشدني إلى ما فيه رضاك!.

ومع الصدق يحصل المراد، كما ورد: **(استفهم الله يفهمك)**.. ويأتيه الجواب إما بالإلقاء في الروح، بأن تتعقد نية ما في قلبه.. أو بالتسديد الغيبي، بأن يضعه الله تعالى في الطريق الذي يريده منه.

ولكن لا يخفى أن هذه مرحلة راقية.. ولهذا لا ينبغي للمؤمن وهو في أول الطريق، التعويل على هذه الإلهامات، لأنها قد تكون شيطانية.. ويمكن الترجيح بأن الإلهام رحماني، إذا وقع الإلهام في روعه أثناء قيامه بعمل صالح، وأيضا قد يكون له مفتاحا.. فمثلا: هو كان مشغولا بدعاء كميل، وجاءه مؤمن، ووقع في روعه أن إجابة المؤمن أفضل، فيقضي حاجته، فتتكشف له الأبواب.. ولكن بعد فترة من صفاء الباطن، يصل العبد إلى مرحلة يقطع أن ما يلقي في روعه، إلهام رحماني.

### مراقبة رُوح الأعمال:

ينفق أن الإنسان بعد بعض الأعمال الصالحة، أنه يعيش حالة من النشوة والارتياح الباطني، وكأن هبة من هبات النسيم الإلهي، هبت على قلبه؛ فالمؤمن بإمكانه أن يرصد مثل هذه الهبات.. فمثلا: لو رأى أنه كلما زار رحمه الغلاني، توفق لصلاة ليل متميزة وخشوع أكثر؛ فإنه يعلم من خلال ذلك، أن هناك نوع من أنواع المباركة الإلهية في هذا العمل بالذات.

س2/ من الطموح الذي يرجو أن يصل إليه السالك، أن يحقق الحسنيين: الفعلي والفاعلي.. ما هو الفرق بين الحسن الفعلي، والحسن الفاعلي؟..

الحسن الفعلي: أي الأفعال الحسنة.. والحسن الفاعلي: أي الذات الحسنة.

فالحسن الفعلي: يتمثل بظاهر الإنسان، أي يتعلق بالجوارح؛ لأن الأفعال تصدر من الجوارح.

والحسن الفاعلي: يتمثل بباطن الإنسان، أي يتعلق بالذوات؛ لأن الذات هي الفاعل، صاحب الفعل.

إن البعض ظاهره حسن، يكثُر من الأفعال الحسنة ومن العبادات، ولكنه يهمل باطنه، فلا يلتفت إلى ما فيه من آفات وخبائث باطنية، فقد يعيش خمسين سنة وهو يعبد الله تعالى، ولكنه لا زال متكبرا، حسودا، حقودا..

فعليه، إن المؤمن لابد أن يعيش الحسنيين، في آن واحد، فيحسن جوارحه بالحسن الفعلي، ويحسن باطنه بالحسن الفاعلي.. وبعبارة واحدة: أن يصل إلى القلب السليم.

## 12. لزوم المشورة

إن المستبد برأيه: سواء في الجزئيات اليومية أو التعاملات السلوكية، أقرب إلى الخطأ والزلل من غيره.. فإن المشورة الواعية مع من يوثق بعقله وأمانته، ضمان لتقليل نسبة الخطأ في السير، وخاصة مع استلهاام الحق في المشورة.. ومشاورة ذوي العقول المستنيرة بالأنوار الإلهية، إنما هي مشاركة لهم في عقولهم، ولطالما وفرت على السالك تبعات تجارب الخطأ والصواب.

### س1/ ما هي الضوابط العامة للمشورة؟..

إن المشورة من الأمور المهمة، التي لا غنى للسالك عنها، والتي تكفيه الكثير من التبعات، التي قد يقع فيها ما لو استأثر واستبد برأيه.. فيخطئ من يظن أنه وصل في حياته إلى مرحلة لا يحتاج إلى المشورة أو رأي الغير، إن هذا تصور غير صحيح.. فالمشورة مشاركة للناس في عقولهم.. والإنسان حسب عمره القصير، وأسلوبه في حياته، له تجارب محدودة.. فمن الراجح الاستفادة من خبرات الغير، الذي بلغ من العمر مبلغا أكثر منه، ومر بتجارب هو لم يمر بها.. والمشورة تعجل له معرفة النتائج، فيتحفز للوصول للنافع من الثمار، وينفر عن كل ما يوقعه في المضار..

ورد في حديث عن النبي (ص): **(رأي الشيخ أحب إلى من جلد الغلام)..** يعني لو دار الخيار بين أن يعطي أمرا لشاب له جلد ونشاط، وبين أخذ رأي من رجل كبير السن؛ فإن رأي الشيخ أفضل لتمام الأمر.

ولا نقصد بقولنا لزوم المشورة، طرق أبواب الاستشاريين بالمعنى العرفي، فهذا راجح في بعض الحقول، كحقل الطب في القضايا الطبية.. أما في القضايا الغيبية، فيما يتعلق بعالم الأنفس، فيحتاج الإنسان إلى مشورة خبراء النفس، الذين تنورت نفوسهم بأنوار عالم الغيب.. فحتى يحصل الإنسان على شيء ينفعه، لابد أن يكون المستشار مسددا بنوع من أنواع التسديد الإلهي، وهو ما يعبر عنه في روايات أهل البيت (ع)، بفراسة المؤمن: **(اتقوا فراسة المؤمن)..** فالمؤمن له فراسة، وهذه الفراسة ما جاءت من فراغ، إنما جاءت من عبادات، ومن خلوات مع رب العالمين.. فإن الذي يختلي مع رب العالمين في جوف الليل، يغشيه بنوره، ومن هذا النور نور معرفة الأشياء، وقد أشار النبي الأكرم (ص) إلى هذا النور في قوله: **(اللهم!.. أرني الأشياء كما هي).**

فعلية، نحن نشترط في المشورة في القضايا الأنفسية، أن يراجع الإنسان عبدا مستنيرا إجمالا بنور الله تعالى.

ومن المعلوم أن مشورة الغير، شكل من أشكال الاستخارة، وذلك بأن يتوسل المؤمن ويدعو الله تعالى، قائلا: **(اللهم!.. اجعل خيريتي فيما يقوله فلان).**

والنصيحة للذي يريد أن يسدي المشورة: أن يتقي الله تعالى أولا، ويطلب من الله تعالى أن يلهمه التسديد.. وخاصة إذا كان مستشارا في قضايا مصيرية، كأن تستشير امرأة، في الانفصال عن زوجها.. أو تكون قضية فيها شيء من الخصومة، وطُلب منه القضاء أو الفصل بين المتخاصمين، وهو قد لا يكون قاضيا اصطلاحيا شرعيا، بل حكما أو

مستشارا بين متخالفين.. فهنا الأمر يحتاج إلى دقة بالغة، لئلا ينحاز إلى أي منهما؛ ويكون في إبداء الرأي مطابقا للمصلحة الواقعية.. فالأمر يحتاج حقيقة إلى استنارة بنور الله تعالى.

## س2/ هل يمكن استشارة رب العالمين؟..

إن القضية ليست فقط ممكنة، بل واقعة وراجحة!.. إلا إنها تحتاج إلى مقدمات كثيرة!.. ونحن علاقتنا برب العالمين، يمكن أن نعبر عنها بأنها علاقة غير نموذجية!.. فهي إما علاقة الحاكم بالمحكوم، أو علاقة المعذب بالمعذب، وبعض الحالات علاقة المكافئ بالمكافئ.. فإن علاقتنا مع رب العالمين علاقة مجردة عن العواطف.. والحال أننا نلاحظ في دعاء الجوشن أو غيره، الكثير من تعابير الحب بين العبد والمولى تعالى: **يا حبيب القلوب!.. يا أحب من كل حبيب!.. يا خير من خلا به وحيد!..** فهذه العبارات العاطفية، تريد منا أن نحول العلاقة بالله تعالى، من علاقة الخوف والطمع، إلى علاقة الإنس والمحبة؛ ومقتضى ذلك: المشورة..

فمثلا: شاب يحب أن يتزوج بفتاة أو العكس، فما المانع أن يستشير رب العالمين، ويطلب منه أن يسدده، قائلا: **يا ربي!.. جعلت أمري إليك!.. خر لي واختر لي!..** ولعل يأتيه الجواب من خلال التسديد العملي، سلبا أو إيجابا.. فمثلا: شاب مقدم على فتاة بكل إصرار، والأرضية مهياة، فلما يناجي ربه بالمشورة، فإن الأمر لا يتم، ولعل هذا معنى من معاني القول الوارد: **(عرفت الله بنقض العزائم وفسخ الهمم).**

ولا شك أن العبد إذا أصبحت علاقته مع ربه بمستوى متميز، فإن الرب يتحجب إلى هذا العبد، ويتولى شؤونه إلى درجة أنه يزوجه أو يطلق زوجته؛ والقرآن الكريم يذكر لنا هذا الأمر، قال تعالى: **{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ}..** وإن كان هذا خاصا بالنبي (ص)، إلا أنه من الواضح أنها درجة ممكنة أيضا لنا، ونحن نتأسى بالنبي (ص)، فيمكن للشباب أيضا أن يقول: يا رب!.. كما زوجت نبيك، أنا أيضا زوجني، فأنت الرب الودود!..

فينبغي أن يحاول الإنسان في حياته، أن يطور علاقته مع ربه، إلى هذا المستوى العاطفي، بأن يصل إلى درجة تجعله يستشير الرب في أموره وما يهمه.. من المتعارف أن الفتاة إذا أهمها أمر، أنها تراجع أمها، وكذلك الفتى يراجع أباه؛ لكون الأب والأم من أرفق وأحن الناس على الإنسان.. ومن المعلوم أن رب العالمين هو الأبر والألطف بالعبء من أبيه وأمه، فإن رب العالمين خير من يستشار، وينقطع إليه، فيما يمر به الإنسان من أزمات في حياته.



### 13. حالات التذبذب

إن حالات التذبذب في الإقبال على الحق المتعال، بحسب الزمان والمكان والبيئة، أمر معهود ومتعارف في حياة العباد.. والمهم في الأمر أن لا ينزل العبد إلى ما دون المستوى المتعارف، حيث حالة الإعراض عن الذكر، بل النفور منه..

والقرآن الكريم يشير إلى حالة المعية بقوله: { وهو معكم أينما كنتم } والتي لو تحققت في نفس العبد، لم يعيش حالة التذبذب الشديد في الخلوة والجلوة.. فعين الرقيب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، لا تدع مجالاً لإهمال تلك الرقابة.. ومن هنا نرى العبد المراقب لا يتغير سلوكه في مواطن الطاعة أو مواسمها بشكل ملفت، وذلك لوحدة الملتفت إليه، وإن اختلف الزمان المكان.

**س1/ هل يمكن أن يصل الإنسان إلى درجة أنه لا يعيش حالة التذبذب، في علاقته مع رب العالمين؟..**

إن من أصعب المراحل أن يصل الإنسان إلى درجة أنه يعيش حالة متساوية مع رب العالمين، بحيث تكون ساعاته من الليل والنهار وردا واحدا، وحاله في خدمة المولى سرمدًا، كما في دعاء كميل. ولهذا نحن نعتقد أن صيغ الاستغفار المنقولة عن المعصومين (ع)، مرتبطة بهذه الحالة التذبذبية، وإلا فالمعصوم لا يعقل في حقه المعصية.. فالنبي (ص) كان يقول: **(لي مع الله حالات)**، وأمير المؤمنين (ع) له غشوات في جوف الليل، وسيدتنا فاطمة (ع) كانت لها وقفات في محراب العبادة ليالي الجمعة.. فإذا كان كبار البشر-النبي وآله (ص)- يعيشون هذه الحالة التذبذبية، وعندهم حالات مختلفة، فكيف بنا نحن؟!.. إلا أن المعصوم اختلاف الحال عنده، من الأعلى للعالي.. بينما نحن من العالي للسافل، أو قد يكون من السافل للأسفل.

فإذن، إن حالة الثبات من الصعب أن نحصل عليها.. وهناك اصطلاحان مرتبطان بهذا الأمر، هما: الحال: وهي الحالات التذبذبية.. والمقام: وهي الحالات الثابتة..

ولكن كيف نجعل لأنفسنا حدا أدنى للتسافل أو التنزل، وهو عدم الغفلة الشديدة؟.. مثلا: إن المؤمن لو تكلم كلاما لا يعنيه، فهو قد تنزل.. أما عندما يصل إلى مستوى أنه يلزم القهقهة، أو الأكل بنهم وشهوة، أو التوغل في الشهوات المختلفة؛ فإنه قد جاوز الحد في التنزل، وهنا نذير خطر!..  
للتقريب نذكر هذا المثال:

هناك نوع من الطيور تهبط من الجو، وتغوص في البحر، لتلتقط الأسماك، وفي الأثناء قد تكون صيدا للأسماك المفترسة.. إن هذه الطيور كانت قبل أن تهبط، تحلق في أعالي الجو في أمان، ولكنها لما تنزلت إلى درجة الغوص كان مصيرها الهلاك!.. وكذلك المؤمن، فعليه أن يحاول قدر الإمكان أن يرفرف في أجواء عليا.. لأنه بمجرد أن ينتزل إلى بحر الدنيا إلى درجة التوغل، فإن مصيره الهلاك، في بطون الشياطين المفترسة!..

وكما قلنا من الصعب أو شبه المستحيل، أن يصل الإنسان إلى حالة لا يكون فيها تذبذب، ولكن ليحاول أن يجعل له حدا أدنى، بأن يكون التذبذب تذبذبا بسيطا، لا تذبذبا بمدى شاسع كبير جدا.. ونعتقد أن الصلاة الموزعة في أوقاتها الثلاثة، تعيد التوازن.. فالإنسان يتسافل عصرا، فصلاة المغرب ترفع من مستواه؛ ويتسافل ليلا، فصلاة الفجر ترفع من مستواه؛ ويتسافل نهارا، فصلاة الظهرين ترفع من مستواه.. فالذي يحافظ على صلاته اليومية في أول الوقت، فمن الممكن أن يقلص هذه الحالة التذبذبية إن شاء الله تعالى.

**س2/ إن من الأمور الضرورية التي يؤكد عليها، تحقيق حالة المعية الإلهية.. فما هو المقصود من المعية الإلهية؟..**

المعية لغة: أي المصاحبة.. إن المعية من جهة الله تعالى للعبد مؤكدة، كما نفهم من قوله تعالى: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}**.. فهو معنا تكوينا وإشرافا ورعاية، والمطلوب أن نبادله هذه المعية.

إن البعض يرى أن المعية الإلهية من جهة العبد لربه، هي أمر تكاملي استحبابي تشرفي تفضلي.. والحال بأن هذا مقتضى الأدب!.. وإلا كيف يعقل أن رب العالمين يلتفت إلى العبد، والعبد لا يلتفت إليه!.. فهو تعالى معه، وهو لا يلتفت إلى هذه المعية!..

ولهذا فإن بعض الأولياء والصالحين-وهم النادرون في كل العصور- يصل إلى درجة من الشفافية الروحية، أنه عندما ينام يستحي من ربه، مع أنه بحاجة إلى النوم، وينام متوضأ متطهرا؛ لأنه يتذكر أن الرب لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو ينام عنه.. ولهذا فإن المؤمن المثالي يحاول أن يقلص من ساعات النوم، إلى أقل حد ممكن؛ لأن النوم انقطاع عن الله تعالى، ورب العالمين عينه لا تنام وهو ينام.. وعندما يستيقظ من النوم، فإنه يقوم ببعض الأدعية، فمثلا يقول: **(الحمد لله الذي رد علي روحي وأحمده وأعبده)**، وكأنه يريد أن يعتذر عمليا مع رب العالمين، عن انشغاله عنه في هذه الفترة.

وإن تحصيل المعية يكون من خلال المراقبة المستمرة، بنوعيتها: مراقبة نفسه: أي في سلوكه.. ومراقبة ربه: بمعنى أن يستشعر نظرة الله تعالى إليه، ويعيش المحضرية الإلهية.

ولهذا فإن الذي تشتد عنده حالة المعية الإلهية، فإنه لا يمكنه أن يعصي.. كنزع الثياب، فهو أمر ممكن، وطبيعي للإنسان في حياته اليومية.. ولكن الإنسان وهو في السوق يستحيل أن ينزع ثيابه؛ لأنه يعيش معية الخلق، وملتفت أن الناس ينظرون إليه، ويلتفتون إليه..

إن الإنسان المؤمن قد يصل في استشعاره للمعية الإلهية هكذا، أنه يستحيل أن يعصي الله تعالى.. ومن المعلوم أن التقوى لباس المؤمن، بصريح الآية الكريمة: **{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ}**.. وعلى ذلك، فإن المعصية من مصاديق التخلي والتعري عن اللباس، والقرآن يشير إلى هذه الحقيقة، في قصة أبينا آدم (ع)، في قوله تعالى: **{فَدَلَّاهُمَا بَغُورٍ فَلَمَّا دَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ}**.

فعليه، إن هذه المعية الإلهية ليست قضية نفسية فحسب، وإنما هي مسألة دخيلة في حياتنا اليومية.

## 14. دور الصلاة

إن الصلاة لها دورها الأساس في عملية إعادة التوازن الذي قد يفترقه العبد، من موعد فريضة إلى موعد فريضة أخرى، إذ أن العبد بين الفترتين عرضة لكثير من الغفلات والخطايا، التي لو تراكمت لأطفأت ذلك النور الذي يتلمس به الطريق.. ومن لا يتقن الحديث مع الرب الودود، بعيد كل البعد عن المراحل الخاصة بالتكامل.. ولو كان للحق التفاتة إلى العبد، لتحققت الالتفاتة من جانب العبد إلى الرب، فهو-على رحمته التي وسعت كل شيء- لا يعابى بغير الداعي؛ وما حال عبد لا يعابى به سيده؟!..

### س1/ كيف نصل إلى مرحلة الصلاة الخاشعة؟..

إن الإنسان الذي لم يصل إلى مرحلة الصلاة الخاشعة، فإنه لم يصل إلى مرحلة من مراحل الكمال.. لأن الصلاة حديث مع الرب، والذي لا يتقن الحديث مع الرب، فهو إنسان فقير جدا كمالا!.. وإن التخويف من عدم تحقيق الصلاة الخاشعة، لأننا نعتقد أن هنالك تلازم بين النظرتين: نظرة العبد، ونظرة الرب، فهذا ما نفهمه من قول الإمام السجاد (ع): **(لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني، أفمن يرى راحم بعده!)**..

إن الكلام الذي يقال في الصلاة الخاشعة، نفس الكلام الذي يقال في آداب الزيارة.. يقال إن أدب زيارة المعصوم - بكلمة واحدة- هو: أن تعيش حياة المعصوم.. فإذا زرت الحائر الحسيني مثلا، فإن عليك أن تعلم أن الشهيد حي مرزوق، فكيف بسيد الشهداء (ع)..

كذلك الصلاة الخاشعة، فإن قوامها أن تستشعر حقيقة الوجود الإلهي، بمعنى الإحاطة الشاملة، ونظرته للعبد المصلي، وقد ورد في الحديث: **(لو يعلم المصلي ما يعيشه من جلال الله، ما انفتل من صلاته!)**.  
فإذن، إن الإنسان الذي يستحضر هذا المعنى، فإنه لا يمكنه صرف النظر عن الله تعالى في الصلاة.. ولتقريب الفكرة نذكر هذا التشبيه:

لك أن تتصور إنسانا أمامه عدة أجهزة تلفاز، وكل تلفاز يبث برنامجا.. فهذا الإنسان ألا ينظر إلى البرنامج الأجل، والأكثر متعة وتسلية لديه؟.. فكيف إذا كان أحد الأجهزة مغلقا، وشاشته مظلمة، لا يبث شيئا؟!..  
إن الذي لا يرى شيئا في الصلاة، فهذا جهازه مغلق، شاشته سوداء، فكيف يطلب منه أن ينظر إلى هذه الجهة، وفي المقابل هنالك ما يبث ما يغريه، إذ تأتيه خواطر تجارية، أو مالية، أو غيرها..

يقول تعالى: **{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}**.. ونقول-بناء على هذا التشبيه-: (وهذا القلب ما جعل الله تعالى فيه من شاشتين).. فإذا كانت الشاشة الإلهية لا تشتغل، فمن الطبيعي أن ينظر إلى الشاشة الأخرى!..  
فإذن، إن الذي يريد أن يخشع في صلاته، لابد أن يشغل الجهاز الآخر، فعندئذ لما هذا الجهاز يبث صور الجمال الغيبي، لن ينظر إلى الجمال المادي، والجمال البشري.. إن هذا هو الحل الأساسي لتحقيق الصلاة الخاشعة.

س2/ إن مما يفهم من مضمون كلام الإمام السجاد (ع): أن العبد لو مال بوجهه عن الرب، لمال الرب بوجهه عنه.. هل عدم إقبال العبد في الصلاة، يلازمه دائما عدم إقبال المولى تعالى عليه؟..

لا ملازمة، وإنما هناك ارتباط بين الأمرين، فالذي لا يقبل على الرب، فالرب لا يقبل عليه.. ولكن هناك استثناء، وهو: أن يكون الإنسان قد بذل جهده للإقبال، ولكنه لم يقبل.. فمثلا: إنسان واقع في أزمة اقتصادية أو اجتماعية خانقة جدا، وأراد أن يصلي صلاة خاشعة، وإذا بالخواطر تترى عليه، وهو في كل آن يدفع الخواطر، إلا أنه يخرج من خاطرة، ويدخل في خاطرة أخرى، وطوال الصلاة وهو يدافع الخواطر، وفي النتيجة لم يخشع.

فإن مثل هذا الإنسان معذور؛ لأنه كان في هيئة المقاتلين، وإن هو ما فتح الميدان.. هناك فرق بين إنسان فار من الزحف، وبين إنسان مقاتل فاتح، وبين إنسان مقاتل غير فاتح.. إن الصلاة حرب مع الشياطين، وإن بعض الناس يصلي ويحارب، ولكنه لا يفتح الميدان، فهذا إنسان رب العالمين يحبه على ما هو فيه، لأنه كان في هيئة المقاتلين، وإن لم يكن في مقام العمل من الفاتحين.

فعليه، إن المصلي عليه أن يجاهد الخواطر الاختيارية.. وأما الخواطر غير الاختيارية والقهرية، فلا يؤاخذ عليها، ولا تضر بالصلاة الخاشعة.

## 15. المراقبة الشديدة

المراقبة الشديدة في القول والفعل، ضمان أكيد لضبط السلوك في المجالين.. ومن لا مراقبة له، لا يؤمن منه صدور الأخطاء الفادحة التي قد تستنزل غضب الرب، بما قد يكون طاردا له عن أصل الطريق.. ولا نعني بالمراقبة المتقطعة العابرة، وإنما المراقبة الدقيقة الدائمة.. إذ أن العدو المتربص لا يحتاج إلى غفلة مطبقة في كل الأوقات، بل تكفيه الغفلة في برهة من الزمان، ليصادر المكتسبات في ساعة اليقظة.. ومن الواضح أن عملية الكرّ والفرّ هذه، لا تدع السالك يتقدم ولو قليلا.

س1/ إن من الأمور الضرورية للسالك: المشاركة، والمراقبة، والمحاسبة، والمعاقبة.. فما هو المقصود من كل منها؟..

**أولا: المشاركة:** هي حالة من معاهدة النفس على أن لا ترتكب ما لا يرضي الله تعالى عموما، وخصوصا في الأجواء التي تغلب عليها الغفلة.. فمن يذهب إلى مجالس الأعراس والأفراح أو مجالس البطالين، فإنه يحتاج إلى مشاركة إضافية عن أصل المشاركة؛ لأنه قد يأنس بهذه الأجواء، فيتجاوز الحدود. من المعلوم في جبهات القتال أن المقاتل قبل الخوض في القتال يدرس أرضية المعركة: هل أنها أرضية قوية أو هشة، جبلية أو غير جبلية.. وإن الحياة حقيقتها عراك مع الشياطين!.. فالشيطان أعدى الأعداء، ويوسوس في صدور الناس في كل لحظة؛ فلا بد للإنسان أن يدرس أرضية نفسه، قبل أن يتورط في مجالس الغافلين!.

**ثانيا: المراقبة:** هي أن يتحول الإنسان-الموجود الواحد الحقيقي- إلى موجودين-حكما لا حقيقة- وهما: المراقب، والمراقب.. وكأن الإنسان وهو في أماكن البطالين، يرى نفسه أنه هو المشارك.. ويرى نفسا أخرى، أنها هي النفس المراقبة والمشاركة، وتحصي الزلات والثغرات.

**ثالثا: المحاسبة:** هي أن يحاسب نفسه، على ما اشترطه عليها، في أول النهار.. فبعد أن ينتهي النهار بصخبه، وبما فيه من أعمال كثيرة، فإن الإنسان يحتاج إلى أن ينظر إلى ما كسبه في ذلك اليوم. إلا إن البعض في عملية المحاسبة، ينظر إلى الجهة السلبية فقط، فيقول أنه في النهار لم يرتكب حراما: العين لم تنظر إلى حرام، والأذن لم تسمع شيئا محرما، واللسان لم ينطق بالحرام...؛ فينام وهو قرير العين!.. ولكن الحقيقة أن المحاسبة أعمق وأشمل، من النظر في عدم السلبيات، بل من اللازم تقديم الإيجابيات أيضا.. فالإنسان عليه أن ينظر إلى ما كسب في هذا اليوم، وإلى ما قدم لآخرته؛ والقرآن الكريم يأمرنا بذلك، قال تعالى: **﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾**.. فالمحاسبة ينبغي أن تكون في حقلين: في حقل الخسائر: هل هو خسر شيئا؟.. وفي حقل المكاسب: هل هو كسب شيئا؟..

**رابعاً: المعاقبة:** هي أن يعاقب نفسه، بشيء مناسب؛ لترويضها؛ لعدم تقيدها بالمشاركة.. وينبغي أن تكون المعاقبة بحذر؛ لأن بعض العقوبات قد تؤدي إلى نفور النفس.. وأن تكون المعاقبة لا تتجاوز دائرة الشريعة.. فمثلاً من المناسب الصيام، فهو عمل عبادي، وفيه شيء من الحرمان والمشقة.. فلو أن إنساناً ارتكب خطأ كبيراً في الليل، أو نظر إلى برنامج محرم في التلفاز؛ فمن المناسب لما يصبح الصباح أن ينوي صيام ذلك اليوم، من باب تأديب النفس على الاسترسال فيما لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

**س2/ ذكر في الوصية هذا المعنى: إن الشيطان لا يتوقع الغفلة المطبقة من الإنسان، إنما تكفيه الغفلة الجزئية.. فما هو المقصود من ذلك؟..**

إننا لو أردنا عمل مقارنة بين كل الموجودات، من حيث الخبرة، فإن الشيطان يأتي في الرتبة الأولى!.. فإن خبرته في الإغواء لها تاريخ طويل، وتجاربه كانت حتى مع الأنبياء والمرسلين، فله سجل حافل بالإغراءات!.. ومن المعلوم أن نبينا آدم (ع)، أول من وسوس له الشيطان اللعين. إن من المتعارف في جبهات القتال أنهم يعتمدون على طريقة للكشف عن الثغرات في الطرف المقابل، وقديماً كان ذلك من خلال الأبراج، وهذه الأيام عبر الرصد بالأقمار الفضائية.. ومن ثم يستغلون هذه الثغرات لتحقيق مآربهم، والقضاء على العدو بسهولة.

إن الشيطان اللعين أيضاً يعتمد على هذه الطريقة، في إغواء الإنسان!.. إذ يقوم بدراسة الثغرات التي في وجود الإنسان، واستغلالها أيما استغلال!.. وغني عن القول أن الشيطان أخبر بالإنسان من نفسه، فهو يعرف أصله وأصل أصله، يعرف سلسلة الآباء والأمهات من لدن أبينا آدم، ويعرف الصفات الوراثية التي يمكن استغلالها، وهل فيه ميل للحدة، أو للغضب، أو للشهوة.. ولا ينتظر منه إلا ساعة غفلة، ليدخل ويعشعش في مملكة وجوده!..

**وإن الشيطان يدخل إلى مملكة الإنسان، من خلال هذه الثغرات الثلاث المعروفة:**

ثغرة الغضب وتوابعه، وثغرة الشهوة وتوابعها، وثغرة الأوهام وتوابعها.. فالإنسان عندما يغضب، عليه أن ينتبه أن هذه ساعة هجوم الشياطين من ثغرة الغضب.. وعندما يشتهي-الشهوة أعم من شهوة البطن والفرج- عليه أن يعلم أن الشياطين على أهبة الدخول والهجوم!.. وغلبة الوهم، وسوء الظن، والوسوسة، هذه من ثغر الوهم وتوابعه.

فعليه، إن الإنسان يحتاج إلى مراقبة نفسه دائماً، وعلى الخصوص في الثغرات الثلاث.

## 16. الشكورية مع الحق والخلق

إن العبد الملتفت إلى نفسه، شكور في التعامل مع الخلق والخالق، تخلّق بأخلاق الرب المتعال، ويتجلى ذلك من خلال تقدير أي إحسان من أي أحد، وفي أي مجال.. ولهذا لا يمكنه التفريط بحقوق الأرحام، (وخاصة الوالدين)، وذوي الحقوق من المؤمنين.. فالتفريط بالحقوق، يعكس حالة الكفران الممقوت عند الرب المتعال، والكفور مع الخلق لا يؤمن منه أن يكون كفورا مع الحق المتعال.

أولا أحب أن أذكر بهذه الحقيقة: إن هذه الوصايا بمجموعها، بمثابة مكونات الدواء الناجع، فلا بد من توفر كل هذه الخصوصيات، لتعمل أثرها في نفس الإنسان!.. فمشكلة البعض أنه ينمو عنده جانب، على حساب جانب آخر، فإما أنه ينشغل مع الناس، في غفلة عن الله تعالى؛ أو يعيش في علاقة روحية مع رب العالمين، وينسى الواجبات الاجتماعية.. وطوال التاريخ معروف هذا الصراع، بين الالتفات إلى الحق، والالتفات إلى الخلق، وقد أخذ ضحايا كثيرين!.. فالبعض منهم بدعوى الانقطاع إلى الله تعالى، ينقطع عن الخلق، وعندما ينقطع عن الخلق، ينقطع عن واجباته الاجتماعية في هذا المجال.. ومن المعلوم أن من انقطع عن واجباته الاجتماعية، فقد هدم ركنا من أركان الدين، ففروع الدين كما أن منها الصلاة والصيام، أيضا منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**س1/ إن من الصفات الملازمة للمؤمن صفة الشكورية.. فما هي طرق التعبير عن الشكورية؟..**

إن الإنسان المؤمن في علاقته مع الغير بطبيعته يلتفت إلى إحسان الغير، وينسى سيئاتهم؛ وينسى حسناته مع الغير، ويتذكر سيئاته.. بمعنى أن المؤمن عندما يحصل على نعمة من أخيه المؤمن، فإنه يرى في نفسه حالة المنة، وأن هذا المؤمن له حق عليه، ويستشعر هذه الحالة: **(أحسن إلى من شئت تكن أسيره)**، ولهذا فهو لا بد أن يرد إحسان أخيه المؤمن بطريقة ما.

**الشكورية تكون بثلاثة طرق:**

**الأول: الشكورية بالفعل برد الجميل بالمثل:**

إن طبيعة بعض المؤمنين، طبيعة جميلة، فعندما يهدى له هدية-مثلا- فإنه يحاول أن يرد هذه الهدية بمثلها أو أحسن منها.. وهذه حالة طيبة، ولا تعد من المجاملة الباطلة، بل إنها مجاملة حسنة.

**الثاني: الشكورية باللسان بإبداء المشاعر والعواطف الجميلة:**

إن من المعلوم ما للكلام الطيب من تأثير بالغ في نفس الإنسان، وكما يدخل على القلب من البهجة والسرور، فلا ينبغي الغفلة عن هذا الجانب..

إن المؤمن مع رب العالمين قد لا يحتاج-في بعض الحالات- إلى ذكر الشكر باللسان، فإن رب العالمين مطلع على قلبه، رآه-مثلا- أنه لما أعطاه مالا، علم أن هذا المال من الله تعالى، وأحس بالخجل والتواضع وبالمنة الإلهية،

وصرفه في سبيل الله تعالى، شكرًا له.. فرب العالمين رأى شكره العملي، وإحساسه الباطني، وإن هو ما تلفظ بذكر الشكر بلسانه.

ولكن الأمر مع المخلوقين يختلف، فقد تحتاج -في بعض الأوقات- إلى إبراز الشكر للطرف المقابل.. لا تقل شكرته بقلبي، وأنا أحس بالممنونية، وأدعو له في جوف الليل!.. لا، بل بين شرك له!..

ولهذا ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: **(إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك، فإنه أثبت للمودة بينكما)..** إنك وإن كنت تكتم في قلبك حبا لأخيك، إلا أن أخاك قد لا يعلم بهذا الحب المكتوم، ولا يبادلك الشعور، بل قد يظنك مبعضا له.. فأخبارك له بأنك تحبه، يوجد ثبات هذه المحبة.

مع الالتفات أنك عندما تقول له: (أحبك)، لابد أن تكون في مقام إبداء الحب القلبي، لا لشيء آخر!.. لا تملقا وتزلفا واستعطافا، طمعا في عطاء المحبوب، ما لو كان مؤمنا ثريا -مثلا- وإن كان هو محبوبا في الحقيقة!..

### **الثالث: الشكورية بالهداية والاستنقاذ من الضلالة:**

وهذا الطريق لا يخفى أنه الأهم والأكثر نفعا للمشكور؛ لأن عليه يتوقف مصيره الأبدي، سعادة وشقاء.. مثلا: مؤمن زار إنسانا في بلاد الغرب، وهذا الإنسان استضافه في منزله، وأكرمه أحسن إكرام.. والمؤمن شكور-كما قلنا- شكره باللسان، وقدم له هدية مكافأة له..

ورأى هذا الإنسان عاكفا على بعض المحرمات، ولا يعلم تكليفه مع ربه.. فهنا مقتضى الشكورية أيضا، أن يأخذ بيده، ويستنقذه من حيرة الجهالة، ويخرجه مما هو فيه من ظلمات الجهل والانحراف.

### **من المزالق والانحرافات المتعلقة بلزوم الجمع بين الشكورية مع الحق والخلق:**

إن البعض بدعوى الفناء في الله تعالى، وإن الله تعالى إليه يعود الأمر كله، وإليه المصير؛ لا يرى وزنا لمن جرى على يديه الخير!.. والحال بأن الله تعالى صحيح هو الخالق، ولكنه خلق الإنسان من خلال رحم الأم، ونطفة الأب.. والإنسان المؤمن يشكر الله تعالى، ويشكر من جرى على يده الخير من قبل الله تعالى..

فليس الانتفاع من المؤمن، كالانتفاع من النهر الجاري!.. فأنا لا أشكر هذا النهر الذي جرى فيه الماء، لأنه موجود صامت، لا يعقل، ولا شعور له.. بينما المؤمن هو موجود عاقل ذو شعور، وقد تحمل من أجل إيصال المنفعة لي، شيئا من المشقة، وفي بعض الحالات يصل إحسان المؤمن إلى درجة الإيثار، على حساب نفسه وأهله وولده.. فبعض أنواع الإحسان المادي، هي من قوت عياله، من قوت أطفاله، من قوت نفسه، من عرق جبينه.. فلا يعقل ألا يشكر هذا الإنسان، بدعوى أن الله تعالى هو المنعم، وأشكر الله تعالى فقط، إن هذا ليس من سمات المؤمن أبدا!..

إن النبي (ص) كان شاكرا، لما قامت به خديجة (ع)، وبعد وفاتها وانتقاله للمدينة، كان لما تذبذب نبيحة، يقدم بعض من تلك النبيحة، لمن كانت على علاقة بخديجة (ع).. فالنبي (ص) بهذه الحركة، أراد أن يبدي شكره لهذا السيدة الجليلة أم المؤمنين خديجة (ع).



س2/ في الوصية هنالك تأكيد ملحوظ على الشكورية بين الأرحام.. فهل هذا التأكيد مطلقا، أي يشمل حتى الأرحام الغافلين والفاستقين؟..

ينبغي أن نلتفت أن الرحمية عنوان شرعي، غير عنوان الإيمان.. فالرحم إذا كان مؤمنا، له حقان: الرحمية، والإيمان.. وإذا انتفى الإيمان، يبقى حق الرحمية.

من هنا نوجه الحديث بالخصوص إلى البعض ممن يشتكي من والديه، لسوء خلقهما، وسوء تعاملهما معه، وعدم رفقهما، وتحكمها به.. والبعض والداه فاسقان، يعملان بعض الأمور المحرمة، ويقول ماذا أعمل معهما؟..

إن الجواب واضح، نفهمه من قوله تعالى: **{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}**.. فهل يوجد أسوء من هذين الأبوين؟!.. إن الأبوين كليهما مشركان، وقد يكونان على رأس حزب إلحادي مثلا، ويدعوان ابنهما بإصرار ليل نهار، لأن يلتحق معهما في ركاب البوار.. ومع ذلك كله، يأتي الأمر الإلهي بما لا يمكن أن تتصور: **{فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}**.. فكيف إذا كان الأبوان مسلمين مؤمنين، طائعين تقيين ورعين، وهما يحسنان إليك؟..

وإن كانا لهما بعض الهفوات، فإن المؤمن-كما قلنا- إنما ينظر إلى حسنات الغير، لأنه يعيش حالة الشكورية لكل إحسان وإن صغر.. فكيف وهذان الأبوان هما السبب لوجوده وخلقته، فضلا عما تحمله من المشقة والعناء لأجله؟!..

من هنا رب العالمين جعل الإحسان إلى الوالدين، قرينا مع التوحيد، قال تعالى: **{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}**.. وجعل **{إِحْسَانًا}** نكرة مبهمة؛ للتعظيم، وليبتكر كل واحد منا طريقا في الإحسان إلى والديه.

## 17. الاستغفار الدائم

الاستغفار ورد دائم للمؤمن، إذ أنه قاطع بأنه لا يؤدي حق المولى كما يريد، في كل لحظة من لحظات حياته.. وبذلك تنقلب لحظات الحياة عنده، إلى لحظات متكررة من التقصير مع الحق أو الخلق أو كليهما.. ومن هنا يتعين الاستغفار المتواصل، مقترنا بالجدية والإنابة، لا إسقاط التكليف فحسب.

### س1/ ما هي أركان الاستغفار؟..

إن الحلقات غير مرتبة ترتيبا منطقيا، الأهم فالأهم، وإلا واقعا حلقة الاستغفار من الحلقات الأولى المهمة في هذا المجال.

إن الاستغفار حقيقة في القلب، وما اللسان إلا يكشف عن هذه الحقيقة، فهو من المعاني القلبية كالتوكل والاستعاذة.. ومن الخطأ التعامل مع هذه المعاني، على أنها مجرد ألفاظا تكرر عددا من المرات باللسان، بدون أن يكون هناك شيئا في القلب!.. فترى البعض يكرر-مثلا-: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ولو كان ساهيا، أو عينه على البشر، ولا يرى في قلبه معنى لهذا اللفظ!.. أو يشاهد في التلفاز منظرا محرما، وهو يقول: (أستغفر الله)!.. إن المعنى إذا لم يكن له وجودا حقيقيا في القلب، لا يتحقق وإن كرر لفظه آلاف المرات.. ولهذا فإن بعض العلماء لا يشترط في تحقيق مفهوم الاستغفار، حتى التلفظ، ويرى بأن الندامة القلبية كافية.

### أركان الاستغفار:

#### أولا: الإحساس بعظمة من يُعصى:

إن الذي يجعل الإنسان يتألم من ارتكابه للذنب، المعرفة بعظمة الذي أذنب في حقه، والمعرفة بكثير آلائه.. فإذا كان التعدي على إنسان من أهل الإنعام والإكرام والتفضل والتودد والتحنن عليه، كالتعدي على الوالدين، ولو كان هذا التعدي سهوا وغفلة؛ كم يكون الألم شديدا؟!.. وكم تكون الندامة عميقة جدا؟!.. بخلاف ما لو كان التعدي على إنسان لا حق له عليه، ولو كان متعمدا لغلبة قوة الغضب عنده.. فإن الندم مختلف في كلا الحالتين، لاستشعار طبيعة العلاقة وعظيم حقه عليه.. فالذي يستشعر العظمة الإلهية، ويخشى الله تعالى، ويرى عظيم إنعامه؛ فإنه إذا وقع في ذنب، يستغفر ويذوب خجلا في استغفاره.

#### ثانيا: الاحتقار الباطني:

إن بعض المستغفرين، رب العالمين يغدق عليهم من نعمه، ويحبهم، كما يقول تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**.. (التواب) كثير الرجوع، والذي يكثر الرجوع لابد أن له أخطاء كثيرة.. ولكن لماذا هذا الحب الإلهي لبعض التائبين؟..

إن هذا الحب الإلهي لبعض التائبين، هو لهذه الحقارة، التي يعيشها التائب لنفسه.. فإن احتقار النفس، مع استشعار عظمة الربوبية-هذان الخطان المتوازيان- يولدان رحمة إلهية، وقوة إلهية هائلة.. لأن هذا العبد التائب

وهو في عالم المغفرة، ينظر إلى الله تعالى فيخشع لعظمته، وينظر إلى نفسه فيعيش الذل لحقارته.. ويا له من معجون فعال!..

### ثالثا: طلب المغفرة بالمعنى الحقيقي:

إن الذي يطلب المغفرة وهو غير عازم على عدم العود، فهذا لا يطلب المغفرة!.. لأن الذي يطلب المغفرة يرى في أعماق وجوده قبح ما فعله، ويعيش التألم والندم.. ولسان حاله، كما يقول الإمام: **(إلهي!.. لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لوعيدك متهاون.. ولكن خطيئة عرضت، وسولت لي نفسي، وغلبني هواي، وأعانني عليها شقوتي، وغرني سترك المرخي علي)..**

فكل من يزني ويشرب، يرتاح إلى فعله.. ولكن رب العالمين إذا رأى أن العبد رأى حقارة نفسه، ودناءة عمله، بعد الفراغ من العمل، لا يؤاخذ به بما كان عليه من الأئس بالمعصية..

وإن التائب الذي يعود إلى الله تعالى بهذه الندامة الباطنية، وبهذه الحالة من طلب المغفرة، لا فقط يرفع عنه كدر العمل، بل يعطى نور التوبة.. وهناك فرق بين أن تذهب الظلمة، وبين أن يأتي النور!..

ومن هنا رأينا كيف أن بعض التوابين تحولوا إلى كبار العباد والأولياء.. لأن هؤلاء أخذوا تطعيما ضد العجب والرياء!.. والذي لا يعجب ولا يرائي، فقد تخلص من فخين عظيمين للشياطين!.. فهو لا يرائي، لأنه يرى عظمة الله تعالى، ويرى حقارة نفسه.. ولا يعجب، لأنه يذكر سالف أيامه وعمله.. ولهذا فهذا الإنسان، حقيقة على طريق السلامة والنجاة.

إلا أنه ينبغي الحذر، فليس كل مذنب يوفق للتوبة!.. فإن البعض تسول له نفسه بالتمادي في المعاصي، ما دام باب التوبة مفتوحا، وأن الله غفور رحيم، يحب التوابين!.. ولكن الله تعالى بصير بالعباد ولا يخادع، **{يَخَادِعُونَ اللَّهَ** **وَهُوَ خَادِعُهُمْ!}**..

أولا: الذنب المتكرر من السنخ الواحد، هذا أمره خطير، وقد لا يغفر، لأنه يعتبر إصرار على المعصية.. ومن المعلوم أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.

وثانيا: إن الله تعالى يحب التائب الذي هو في طريق الطهارة الروحية: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**.. فهناك فرق بين إنسان يرتكب المعاصي، وغافل عن تهذيب نفسه؛ وإنسان آخر يحاول تهذيب نفسه، وإن ضعف يوما وعاود ارتكاب المعصية..

فالإنسان المريض الذي يهمل العلاج، هذا حاله سيزداد سوءا مع الأيام.. أما الإنسان المعترف بأنه مبتلى بأشد أنواع المرض، وأنه فيه خمسون مرضا مثلا، ويذهب كل يوم إلى أطباء مختصين للعلاج.. فهذا إنسان متطهر، وفي طريق سلامة الجسم، أو على الأقل في طريق التقليل من شدة خطر هذه الأمراض..

فكذلك الإنسان الذي يسعى أن يعالج الخطايا والذنوب، فهو في طريق القرب إلى الله تعالى، وقطعا هذا محبوب عند الله تعالى.

## س2/ كيف يجعل المؤمن لنفسه، محطة استغفار ثابتة، في حياته اليومية؟..

هذا السؤال جيد!.. لأنه من المناسب جدا، بعد التكلم عن أي مفهوم من المفاهيم، ذكر بعض الآليات والوصايا العملية، ليعلم الإنسان ماذا يعمل، بعد هذه المعرفة النظرية.

أولا: أن يغتسل الإنسان غسلا بداعي التوبة، ويصلي ركعتين بداعي التوبة-ونقول: (بداعي التوبة)، حتى لا نشرّع شيئا، ويكون العمل برجاء المطلوبة- في جوف الليل باعتبار أنه وقت المناجاة، وساعة السحر أقرب للإجابة.. ثم يسجد، فإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد، ويستغفر سبعين مرة.. ويكرر الاستغفار اليونسي المعروف، والذي وعد القرآن العامل به بالاستجابة: **{لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}**.. وبالنسبة لعدد مرات تكرار الذكر، لم أر نصا روائيا لعدد معين.. ولسنا مضطرين للتنديد بهذه الأرقام الغير الماثورة، ولكن في نفس الوقت لا نروج لها كثيرا.. ولكن يمكن أن نقول: أن يكرر الذكر بمقدار ما يشتهي، ومقدار مزاجه.. ومن المعلوم أن نبي الله يونس (ع) ما ذكره ألف مرة، وقد يكون ذكره مرة واحدة، ولكن بالحالة اليونسية.

إذن، إن من المناسب هذا العمل للتائب: الغسل والصلاة برجاء المطلوبة، ثم السجود والاستغفار سبعين مرة، والذكر اليونسي بحالة تقرب من حالة يونس في بطن الحوت.

ثانيا: بعد هذه الحركة، ينبغي أن يعزم الإنسان على أن تكون له محطات استغفار ثابتة.. **وهناك ثلاث محطات للاستغفار:**

بعد صلاة العصر، الاستغفار -كما هو الوارد- سبعين مرة.  
وفي الصلاة الواجبة، بين كل سجدتين.. فعندما يقول: (استغفر الله ربي وأتوب إليه)، ليكن متوجها بقلبه، لا مجرد لقلقة لسان فحسب.. فهذه محطة جيدة للاستغفار، كونها بين سجدتين، وفي فريضة، وبعدهم الركعات.  
وفي جوف الليل، الاستغفار في صلاة الليل.

فلو أن الإنسان التزم باستغفار صلاة الليل، واستغفار صلاة العصر، والاستغفار بين السجدتين، والاستغفار في الأوقات العامة كلما ارتكب معصية أو رأى قساوة في قلبه؛ فهل يبقى عليه ذنب؟..

البعض يقول: أنه ما الداعي للاستغفار، إذا كان هو ليس له ذنب، ليس بصاحب كبائر، ولا صاحب صغائر.. فيستغفر من أي شيء؟..

الجواب: إن الاستغفار ليس بالضرورة أن يكون من الذنب، وإنما للتقصير في حق العبودية.. لو أن خادما نام زيادة عن اللزوم، ألا يشعر بالخجل من سيده، وعندما يراه يعتذر منه؟.. وإن هو لم يرتكب مخالفة، وإن كان في هذه الفترة لم يأمره بأمر، ولم يحتج إليه في شيء، إلا أنه يرى نفسه مقصرا، وكان من المفروض أن يكون بين يديه.

وعليه، إن الاستغفار أيضا للتقصير، ومن الغفلات، ومن ساعات السهو عن المولى تعالى؛ وهي كثيرة في حياتنا.

## 18. التثاقل من الخلق

إنّ الأنس بالحق-وخاصة في حالاته الشديدة- يهيئ العبد لحالة من التثاقل من الخلق، بداهة أن الألد يُشغل عن اللذيق، فكيف إذا فقد اللذيق لذته؟!.. ولكن ذلك لا يعني حالة النفور والتعالى الذي يفوت عليه واجباته الاجتماعية، إضافة إلى أن نفس هذه الحالة من النفور سلبية في حد نفسها.. والعلاج الجامع لهذه الحالة: هو النظرة الطولية إلى ما سوى الله في جنب الله تعالى، إذ أن تلك الحالة من النفور، نتيجة طبيعية للإحساس بالندية بين المحبوب وما يُشغل عنه، فإذا لم يعد الغير شاغلا ما صار ندا، وإذا لم يكن ندا ما عاد منفورا.

أولا: من المناسب أن نذكر هذه الملاحظة:

إن البعض يستشكل على بعض المصطلحات، مثل: السير إلى الله، أو العارف، أو العرفان، وما شابه ذلك.. والحال أنها ليست مأخوذة إلا من الكتاب والسنة.. نحن عندما نقول بهذا المصطلح: (السائر إلى الله)، ما جئنا بمصطلح لا جذور له من الكتاب والسنة، بل هو المعنى الذي نفهمه من قوله تعالى: **{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}**، فاتخاذ السبيل، هو السير إلى الله.. وهناك الكثير من الآيات التي تطرح هذا المعنى، كقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}**، **{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}**، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}**..

ثم إن دأب العلماء والمحققين، على عدم الدقة في المصطلحات، فهناك سعة في هذا المجال، ولا مشاحة في الاصطلاح، كما يقولون.

إن هناك فرقا بين إنسان له حركة رتيبة في الحياة وفق منهج، وبين إنسان آخر مبعثر، يطبع يوما ويعصي يوما.. كالفرق بين الرياضي في النادي، والرياضي في المنزل.. فالذي يمارس الرياضة في المنزل، لا هدف له أن يصبح رياضيا بارعا، وقد يتدرب يوما، ويترك يوما.. بخلاف الذي يروض عضلاته، ليكون بطلا عالميا، فهذا له خطة وبرنامج مستمر يسير عليه..

كذلك الأمر في عالم الأرواح، فالبعض يروض نفسه ترويضاً مبعثراً متقطعا، فتراه يمارس العبادة في المواسم العبادية، ثم يرجع إلى ما كان عليه؛ ويصوم شهر رمضان، ثم يهمل نفسه إلى موسم الحج؛ ويذهب إلى الحج، ثم يهمل نفسه إلى موسم آخر.. فمن الطبيعي أن مثل هذا الإنسان، لا يصل إلى مرحلة تكاملية!.. وأؤكد أن الكلام في كل هذه الحلقات، هو لمن اتخذ إلى ربه سبيلا!..

س1/ إن هناك ظاهرة متفشية عند السالكين، وهي حالة التثاقل من الخلق.. ما هو منشأ هذه الحالة؟.. وهل هي حالة ملازمة للأنس بالله تعالى؟..

إن السائر في طريقه إلى الله تعالى، لابد أن يبنتلى بعوارض، ومنها حالة الاستثقال من الخلق، وهي من الحالات التي تلازم تقريبا-إن لم نبالغ- كل سائر إلى الله تعالى.. إن الإنسان الذي يتسلق الجبل، قد يسقط في حفرة، ويجرح بحجرة مسنونة.. فهذه من لوازم الصعود للجبال وللقمم، فالذي لا يحاول الصعود، لا يتعرض للسقوط والأذى..

ومن لوازم الحركة الأنفسية-التي هي مقابل الحركة الآفاقية- هو هذه الحالة السلبية.. ومنشؤها: التعرف على جمال ولذائد عالم الغيب.. ونعني بالغيب جميع صورته، الذي يعم جلال الله تعالى ونبيه (ص) وأوصياء نبيه (ع).

فإن النبي (ص) له جمال، مقتبس من جمال الله تعالى.. فلو أن إنسانا ذهب للمدينة، وجلس في الروضة، وأنس بجمال الرسول الباطني، وتجلى في قلبه جمال الحضرة المحمدية، فإن هذا الإنسان-وهو يعيش هذه الحالة- قد لا يمكنه العودة إلى مسكنه في تلك الساعة!..

والبعض لما يذهب لزيارة الحسين (ع)، ويرجع من السفر، تراه يعيش حالة من الشرود الذهني والسرхан، ويحن إلى ما كان فيه، لأنه كان متلذذا بأمور غيبية!..

فهذه حال من تذوق أو رأى شيئا، من جمال النبي (ص) وأوصيائه (ع).. فكيف بمن أنس بالجلال والجمال الإلهي، الذي هو على رأس كل غيب؟!..

ومن الطبيعي أن الذي يتلذذ بالأذ، يغفل عن اللذيق-الأقل لذة- فضلا عن الذي لا لذة فيه!.. ولهذا نلاحظ في عالم الزواج المتعدد، أنه لا يخلو من مشاكل، لأن هنالك نوع من أنواع التشاغل، مما يجعله يميل لواحدة دون الأخرى.. ولهذا الآية أصرت على مسألة العدالة، بينما الميل القلبي هذا أمر لا يمكن!..

إن الإنسان الذي ينشغل، أو يأنس بعالم الغيب، عندما يعود إلى عالم الخلق، يرى الخلق على قسمين: قسم لا يمكنه الأنا معهم أبدا، كالعافلين والفاستقين والمنحرفين.. وقسم يأنس معهم، ولكن هذا الأنا لا يقاس بأناسه بالله تعالى!..

مثلا: إنسان مؤمن كان في صلاة خاشعة، وأنس برب العالمين، ثم بعد ذلك أراد أن يأنس بمؤمن بجانبه-ومن المعلوم-كما في مضمون رواية- أن المؤمن لا يأنس إلا بالله تعالى، أو بمؤمن مثله- ولكنه لا يمكنه!.. إن هذه طبيعة الإنسان، الانشغال بما هو أذ، وخاصة عندما تفتح له بعض الآفاق التلذذية الجميلة، فلا يمكنه تحمل الخلق!..

وهنا لابد من الالتفات، أنه إذا كان هذا التناقل، من موجبات التقصير في الحقوق؛ فمن الممكن أن يوقعه ذلك في المزالق الخطيرة!.. وإلا لماذا هناك انتكاسات؟.. لماذا البعض يبدأ بداية طيبة، ثم يسقط؟.. لماذا الواصلون هم الأقل عددا؟.. المشتاقون لهذه العوالم-هذه الأيام- كثيرة، ولكن أين الأشجار المثمرة؟.. الشجرات الصغيرة كثيرة، والأشجار المورقة أيضا كثيرة، ولكن الأشجار التي تحمل الثمار قليلة جدا، بسبب هذه الآفات!..

والحل في هذا المجال: أن ينظر الإنسان المؤمن إلى المخلوقين بعين إلهية.. وبعبارة أخرى، أن يكون الحب طوليا لا عرضيا.. والحب الطولي هو الحب الذي لا ينافس الحب الآخر، إنما يستخلص منه، ويترتب عليه.. إن رب العالمين أمرنا بحب المؤمنين، فنحن عندما نحب مؤمنا أو نحب رحما، فإننا نحبنا لمحبتنا لله تعالى.. ولهذا

المؤمن-كما في مناجاة الإمام السجاد (ع)- يدعو بهذا الدعاء: **(اللهم!.. ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك)..** إذن، إن القرب والمحبة الإلهية، هما المحوران الأساسيان في هذا المجال.

س2/ ما هي موجبات تعميق الحب الإلهي؟.. وكيف يمكن للإنسان المؤمن أن يجمع بين الحب الإلهي، والحب الفطري للزوجة والأولاد؟..

إن تحقيق الحب الإلهي في النفس، ليس بالأمر الهين!.. فالأمر يحتاج إلى قابلية ولياقة ومسانحة!.. وإجمالاً، هذا الأمر العظيم، له منشأان محددان وواضحان، هما:

الأول: العمل بما أَرَادَهُ الرَّبُّ تَعَالَى: أمراً، ونهياً.. والثاني: ذكره ذكراً مستوعباً لحركة الحياة.. فالذي يطيع ولا يعصي، ويكثر من ذكره في آناء ليله ونهاره، يجره ذلك للحب الإلهي.. والذي لا يطيع ويعصي، لا شك أن هذا بعيد كل البعد.. والذي يطيع ولا يعصي، ولكن لا يذكر ربه كثيراً، كما أمر تعالى: **{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**، فهذا أيضاً قد لا يصل لهذه المرحلة.. فلا بد من الطاعة، والذكر.

إن مهارة السائر إلى الله تعالى، تتجلى في قدرته على الجمع بين الحب الإلهي، والحب الفطري للزوجة والأولاد!.. فهنا العميلة البطولية التي يقوم بها، بأن يضيف على هذا الحب الفطري حبا إلهيا!.. لا بمعنى أن يستخرج هذا الحب الفطري مطلقاً من قلبه، ويستعيض عنه بجعل الحب الإلهي.. لا، ليس بهذا المعنى، بل إن المؤمن يعيش على سجيته، وعلى فطرته، ولكن يجعل هذا الحب الفطري إلهياً، ومصطبغاً بدواعٍ إلهية.. فمثلاً: إن الأب المؤمن عندما يقبل ابنه، فبالإضافة إلى الداعي الفطري-داعي الأبوة- أيضاً هو ينظر إلى مرضاة الله تعالى، وحبه تعالى لهذه الحركة الفطرية، والذي يفهمه مما ورد في روايات أهل البيت (ع)، بأن تقبيل الولد يوجب الدرجات عند الله تعالى..

وكذلك بالنسبة للزوجة، فهو يتعامل معها باللطف والرحمة، ويحبها، لأن الله تعالى، هو الذي جعل في قلبه هذه المودة، فهو القائل تعالى: **{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}**، وأراد هذه المودة، ومرضية عنده تعالى.. والدليل على ذلك: أن هذه المرأة-مهما كان يحبها حبا جما- لو خرجت عن جادة الشريعة، ردة أو فسوقاً، فإن الرجل المؤمن-العبد الإلهي- بمجرد أنها تكفر وتخرج عن الدين، لا فقط تنتهي علاقته بها، وتزول حالة المودة والرحمة، بل إنها تتحول إلى أبغض موجودة على وجه الأرض، لأنها كفرت بريها.

وهكذا المؤمن في كل تعاملاته مع الناس، سواء مع أرحامه، أو غيرهم من المؤمنين، دائماً عينه على رضا المولى تعالى، بالإضافة إلى الدواعي الفطرية.. وهذا معنى قولنا أن يجعل حبه وتعامله مع من حوله، في طول حب الله تعالى ومرضاته، لا في عرضه.

## 19. الانشغال مع الغافلين

إنّ الانخراط في صفوف الغافلين والالتفاء بأباطيلهم، علامة واضحة لوجود حالة مرضية في النفس، جعلتها تألف أجواء الغافلين.. ومن المعلوم أن معاشرة الغافلين، توجب تعدية الرذائل الخلقية بشكل تدريجي من دون التفات.. أضف إلى أن مجالس الغفلة من مظان إعراض الحق بل غضبه، وماذا بعد إعراض الحق إلا القسوة والضلال؟!.

س1/ إن من الأمور المهمة التي يطمح السالك تحقيقها، هي حالة الذكر الدائم أو الغالب، والخروج من عالم الغفلة.. فكيف يمكن تحقيق هذه الدرجة؟..

إن هذا أمر يشغل بال السالك كثيرا!.. فإن الغفلة هي السمة الغالبة، إذ من المعلوم أنه منذ أن خلق الله تعالى آدم (ع) إلى يومنا هذا، أن الغافلين هم الأكثرية.. والقرآن الكريم يصرح بهذه الحقيقة، في آيات عديدة: **{أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}**، **{أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}**، **{كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ}**.. ومن هنا لا يصح أبدا أن نعول على منطق الأكثرية في تقييم الحقائق.

**الذكر:** أن يكون المؤمن بقلبه مع ربه، وإن لم يلهج بلفظ.

**والغفلة:** أن يكون منشغلا عنه تعالى مع غيره، وإن كان لسانه لهجا.

إن الذكر له درجات، وأعلىها ما كان للنبي (ص)، فقد كانت له خلوات يذكر فيها رب العالمين، ويصل إلى درجة لم يصل إليها أحد، كما يصف نفسه (ص) عندما يقول: **{لي مع الله حالات، لا يحتملها ملك مقرب، ولا نبي مرسل}**.. ونبي الله موسى (ع) كانت أيضا له حالات؛ ولكن لما تجلى الله تعالى للجبل، زاد توجهه والتفاتته لموسى (ع)، فكان الذكر ذكرا شديدا، فخر موسى (ع) صعقا..

ومن المعلوم أن ذكر الله تعالى لعبده، هو في رتبة سابقة لذكر العبد لربه: ذكرنا، فذكرناه، فزاد ذكره.. فالذكر الإلهي شبيه بمسألة التوبة، حيث قال تعالى: **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}**.. فالله أولا تاب على العبد، ومقتضى هذه التوبة أن العبد يتوب لله تعالى، ثم الله تعالى يتوب عليه بقبوله توبته.. فالذكر الإلهي أيضا ذكر سابق، ولاحق، ومقارب.

وكذلك الغفلة عن الله تعالى لها درجات، فأعظم الدرجات غفلة فرعون عن الله تعالى إلى درجة ادعاء الربوبية، ثم الكافر الذي لا يعتقد بالله ولا يدعي الربوبية، ثم المشرك الذي يعتقد بالله ويشرك به غيره ليقربه إلى الله زلفى، ثم المسلم، ثم المؤمن، ثم المتقي، ثم الورع جدا الذي يغطي ذكر رب العالمين مساحة كبيرة من حياته.

**ويمكن أن نقسم الغافلين إلى قسمين:**



**الغافل عن الله تعالى غفلة مطبقة:** وهو الذي لا يذكر الله تعالى حتى في الفرض الواجب، تارك للصلاة، وضل ضلالاً بعيداً، كما يعبر عنه القرآن الكريم.

**والغافل عن الله تعالى غفلة نسبية:** وهذا القسم يصدق على عامة المؤمنين.. فأغلب المؤمنين حياتهم بين ذكر وغفلة متعاقبين، يذكر الله تعالى فجراً ويغفل، ثم يذكره في الظهرين ويغفل، ثم يذكره في العشاءين ويغفل، وهكذا هي حياته ذكر فغفلة.. ومنهم من يغلب ذكره على غفلته، ومنهم من تغلب غفلته على ذكره.. فهناك فترة مظلمة بين نورين-ذكر فغفلة فذكر- والمطلوب هو أن يحاول المؤمن أن يقلص من هذه الفترة قدر الإمكان.. فمثلاً: إن نور الزوال-حيث صلاة الظهرين- ونور الغروب-حيث صلاة العشاءين- بينهما فترة مظلمة، فعليه أن يحاول أن يقلص من هذه الفترة، بأن يصيغ أعماله المعتادة فيها، بصيغة الذكر.. فبعد أن صلى الظهرين، فالمعتاد هو الأكل مع العائلة، ثم الارتياح، ثم القيام لصلاة العشاءين في المسجد.. فلما يأكل يستحضر المعنى الداعي للأكل، وهو التقوي للطاعة والعبادة، ويعمل بآداب الطعام بدءاً وختاماً.. ولما يستلقي أو ينام، ينوي بذلك التقوي لصلاة العشاءين وقيام الليل.. ويقوم بأدعية ما قبل الغروب، والتي تأخذ مساحة من وقت العصر.. فبهذه الطريقة يكون المؤمن قد قلص درجة الغفلة، التي بين خشوع الظهرين وخشوع العشاءين.

فالمطلوب أن نقلص هذه الفترات من الغفلة: ما بين الفجر والظهرين، وما بين الظهرين والعشاءين، وما بين العشاءين والفجر.. فإذا قلصناها، فنصل في يوم من الأيام إلى درجة تصبح الغفلة هي خلاف القاعدة، وتحتاج إلى دليل، والأصل هو الذكر، وهذا معنى قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}**.. فالمؤمن ذاكراً، وإذا غفل كان على نحو المس العابر، لا التغلغل الثابت؛ لأن الشيطان لا سلطان له على المؤمن.

## س2/ كيف يمكن أن نخرج الغافلين عن ظلمة الغفلة عن الله تعالى؟..

إن هذا يدخل تحت عنوان كيفية الدعوة إلى الله تعالى، والمسألة تحتاج إلى تفصيل.. ولكن-إجمالاً- لمن يريد الأخذ بأيدي الغافلين، هناك طريقتان:

### الأول: الإلزام بالرسالة العملية فقط:

إن بعض الناس يحتاج إلى من يخرجهم، من ظلمة المخالفة الشرعية، إلى نور الطاعة، أي إلى من يلزمهم بالعمل بالرسالة العملية قدر الإمكان، ويكفي هذا المقدار.. إذ أن قابليات الناس درجات في التحمل والقدرة، فينبغي أن لا نحمل أحداً فوق طاقته، بدعوى الدعوة إلى الله تعالى..

فمثلاً: إن الشاب المراهق-الذي في مقتبل العمر- غاية ما يطلب منه أن يكون مصلياً وصائماً، ولا يرتكب المعاصي والذنوب.. لا أن نقحمه في عوالم هو ليس أهلاً لها، مثل بعض المعاني الدقيقة، والرياضة الشديدة، والمستحبات الثقيلة، والدعوة إلى الذكر الدائم، والالتزام بالذهاب إلى المسجد في كل الفروض.. فينبغي أولاً أن يُدرس الطرف المقابل، وتُرى قابليته، ثم يُحمل ما له طاقة به..

ويتفق أن بعض العباد الصالحين، ممن وصل إلى درجة الولاية الإلهية-أي صار وليا من أولياء الله تعالى- يتزوج امرأة دونه بكثير، في المستوى الروحي والثقافي والعلمي.. أيضا لا ينبغي أن يحملها فوق طاقتها، أو يتوقع منها أكثر مما هو المفروض أن تفعله، ومما يمكنها.. فالمؤمن دائما لا يحمل من تحت يده فوق طاقتة، وأساسا رب العالمين لا يحمل الناس فوق طاقتهم، ولهذا المؤمن يدعو بقوله تعالى: **لَرَبِّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}.**

### والثاني: الإرشاد الدقيق:

إن بعض الناس تتناهم حالة من حالات اليقظة، وطلب الكمال، وعشق عالم الغيب، ويعيش في داخله هاجسا، إلى درجة أن هذا الهاجس يزعجه ولا يدعه يتهنأ بطعام ولا شراب ولا عمل.. فمثل هذا الإنسان، يحتاج إلى مرشد، ذي مستوى متميز عال، يأخذ بيده.

وعموما، لا بد لمن يريد أن يأخذ بيد الغير، أن يكون على مستوى-على الأقل- أعلى منه.. وإلا فمثله مثل من يرى غريقا، فيمسكه بيده، فيسحبه ذاك الغريق إلى الدوامة، ويغرق معه!.. فالذين ينقذون الغرقى هم فئة متميزة ومتخصصة بهذا العمل!..

كذلك في عالم الأمور المعنوية، فالذي يجب أن يكون ماسكا بأيدي الغير ومخلصا لهم، لا بد أن يكون-على الأقل- في مستوى أعلى، من مستوى ذلك الذي يريد إنقاذه.. فالزوج الذي يرتكب المعاصي، وينام عن صلاة الفجر، لا ينبغي أن يتوقع أنه يؤثر في زوجته، ويجعلها في مستوى متميز.. بل ينبغي أن يسعى لأن يكون هو متميزا أولا، ثم يطلب التميز للغير.

## 20. الابتلاء من السنن

إن من سنن الله تعالى في عباده، هو الابتلاء في الأبدان والأموال والأنفس.. فمن ليست له القدرة على تحمل الصعاب برضى وتسليم، فإنه سيعيش- شاء أم أبى- حالة السخط من قضاء الله وقدره، وهو كاف لشقاء العبد.. بل لا بد من ترقى العبد من مرحلة التسليم والرضا، إلى مرحلة المحبة لما اختاره المولى الحكيم، وذلك بضم صغرى قرآنية مفادها: {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا}، وكبرى وجدانية مفادها: (وما كتب الله لنا فيه صلاحنا)، فالنتيجة البديهية هي: أنه لن يصيبنا إلا ما فيه صلاحنا.

س1/ من المعلوم أن البناء الإلهي قائم على الرفق بالعباد.. فكيف نجمع بين ذلك، وبين البلاءات والتي يبدو أنها خلاف الرفق؟..

إن الحديث عن البلاءات وأنها سنة إلهية، حديث مهم.. لأن البعض يتوقع أنه إذا دخل في عالم القرب من الله تعالى، كأنه دخل في عالم القرب من السلاطين، فالذي يقترب من السلطان يأخذ منه المزايا والامتيازات!.. والأمير ليس كذلك!.. فلو كان الإعفاء عن البلاء مزية، لكان الأنبياء والمرسلين أولى بهذا الإعفاء.. والحال أنهم أشد الناس بلاء، فهذا نبي الله أيوب مسه الضر، إلى درجة أنه شكا أمره إلى الله تعالى.

### السبب في كون البلاءات من العناصر الأساسية في حركة السائرين إلى الله تعالى:

أولاً: إن قسما من البلاء ناتج من ظلم وتعدي البشر على الغير.. ومن المعلوم أن الله تعالى ليس بناؤه على خرم القوانين، أو التدخل في عالم السنن.. والتاريخ بنقل صورا من أبشع وأشد صور الظلم، كأصحاب الأخدود الذين ابتلوا بقوم أحرقوهم، والنمرود وفعله مع إبراهيم (ع)، وما فعله فرعون مع سحرة موسى (ع).. فالبلاء الناتج من ظلم البشر وتعدي البشر على الغير، هذا لا يمكن خرمه وإيقافه.. وإلا لزم التدخل في عالم الوجود، ولزم أن رب العالمين كلما قام ظالم بعمل أهلكه فورا.. فليس هذا هو البناء، بل إن رب العالمين يملئ للظالمين أكثر، كما نقرأ في القرآن الكريم، حتى يأخذهم أخذاً شديداً زيادة في عذابهم.

وثانياً: إن قسما من البلاء يأتي من قبل الله تعالى لطفاً بالعباد.. وهذا اللطف تارة يكون رفعا لدرجة، وتارة يكون تكفيرا لسيئة.. فكل بلاء لا دور للإنسان فيه، وليس من الآخرين، كالأمرض والحوادث والكوارث الطبيعية، فهو قضاء وقدر من رب العالمين، الخالق والخبير بعبادة وبما يصلح لهم.

ومن هنا قد يرد هذا التساؤل في ذهن البعض، وهو:

### كيف يعلم المؤمن أن ما أصابه من بلاء من قبل الله تعالى بلاء تكفير للسيئات، أو بلاء رفع للدرجات؟..

والبعض يرى أن أشد من البلاء، هو عدم علمه بنوع البلاء؛ لأنه لا يعلم إن كان الله تعالى راضيا عنه، أو لا؟.. فإذا كان هذا البلاء يكشف عن رضا المولى تعالى، وعن عنايته، وعن تربيته، فإن المؤمن يطمئن قلبه، مهما عظم

البلاء.. فإذا كان البلاء بلاء تكامليا، كبلاء نبي الله أيوب (ع)-لأنه نبي معصوم عن الزلزل- فأنعم به وأكرم!.. أو لا، هو بلاء يكشف عن غضب الرب وتعجيله للعقوبة؟..  
يمكن التمييز بأن هذا البلاء تكاملي أو غير تكاملي، من خلال مراجعة السلوك اليومي، فإن لم ير خطيئة كبيرة أو زلة معتد بها، فإن ما أصابه بلاء رفع درجة، وإلا فهو تكفير سيئة..  
مثلا: إنسان وهو راجع من المسجد، أصابه حادثا، وقبله بأيام أو أشهر لم يرتكب خطيئة من الخطايا؛ فهنا الاحتمال القوي جدا، أن هذا البلاء رفع للدرجة.

ولكن شتان بين البلاء الذي فيه رفع للدرجة، وبين البلاء الذي فيه حط للسيئة!..  
وهذا مثال يوضح الفرق: لو وقع إنسان في بئر، وبذلت الجهود المضنية لإنقاذه وإخراجه من البئر.. فهذا صحيح أنه نجا من الموت والهلاك، ولكنه عاد كباقي الناس إلى ما كان عليه، من المستوى المتعارف على سطح الأرض.. ولو بذلت الجهود لإنسان آخر، يراد له التحليق بمنطاد مثلا.. فإنه بعد هذه الجهود، ارتقى من المستوى المتعارف الذي كان فيه، إلى الدرجات العليا..  
ففي كلا الحالتين، هنالك جهد مبذول، ولكن الأول ما كان نصيبه إلا العناء والمشقة؛ أما الثاني فإنه قد ظفر بثمرة جهوده، وحقق مراده.

**س2/ في الوصية هناك ذكر لمعادلة مكونة من مقدمتين، وإن ثمرة الاعتقاد بنتيجتها الإحساس بالرضا والتسليم.. ما هي هذه المعادلة مع التفصيل؟..**  
إن الذي يحقق هذه المعادلة في حياته، فإنه من أسعد الناس، لأنه يعيش في جنة الرضوان الإلهي!.. فالجنة فيها النعيم المادي: الحور، والقصور، والغلمان.. وهذا لا يمكن الاستمتاع به إلا في الجنة، أما في الدنيا فليس فيها هذا النعيم.. وفي الجنة أيضا ما هو أرقى، وهو النعيم المعنوي، الذي يشير إليه قوله تعالى: **{وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}**.. فالرضوان الإلهي أكبر من الحور والقصور، والذي يعيش الرضوان الإلهي، فقد نقل لباب الجنة إلى الدنيا، ومستمتع برحيق الجنة وهو في الدنيا!..

وهذه المعادلة هي بضم صغرى قرآنية مع كبرى وجدانية، لنحصل على نتيجة بديهية بحذف الوسط، بالشكل التالي:  
صغرى قرآنية: **{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا}**.  
كبرى وجدانية: (وما كتب الله لنا، فيه صلاحنا).  
النتيجة البديهية: (قل لن يصيبنا، إلا ما فيه صلاحنا).

**بيان المقدمة الأولى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا}:**

إن الله تعالى علمه محيط بكل شيء في الوجود، فليس هنالك مكتوب وراء الإرادة الإلهية، أو بلا العلم الإلهي، قال تعالى: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}**.. فإذا كان علم الله تعالى يتعلق بسقوط ورقة يابسة لا قيمة

لها، فكيف يسقوط مؤمن من جبل؟.. قطعا إن ما يصيب المؤمن، عند الله تعالى أعظم من سقوط الورقة، فلا يُبتلى مؤمن إلا وهو يعلم تعالى.

### بيان المقدمة الثانية: (وما كتبه الله لنا، فيه صلاحنا):

هل من شك أن الله تعالى الأرفق بعباده المؤمنين، والأرفق بهم من الآباء والأمهات؟.. إذن، إنه عندما يبتلى عبده المؤمن ببلاء، إنما يبتيه به لما فيه الصلاح له.. فهناك كنوز لا توجد إلا في البلاء، وإن الرب لشدة رأفته وحنانه يحب لعبده المؤمن هذه الكنوز، فيتحفه ببلاء تلو الآخر، ليلبغ ويحقق ما في هذه البلاءات من مزايا.. لو رأيت أما تدمي طفلها بوخزه بإبرة، ألا تقطع عقلا أن هذه الإبرة فيها فائدة له؟.. فإن الأم الحنون بطبعها لا تتحمل أن يصيب طفلها أقل الأذى، فكيف بالقيام هي بنفسها بهذا العمل المؤلم والمزعج، وهي التي تتألم لتألمه أشد الألم؟!..

ولذا فإن المؤمن في كل ما يجري عليه، يعتقد أن فيه صلاح له.. بل إن المؤمن يصل إلى درجة يتساوى عنده البلاء والرخاء، لاعتقاده أن كليهما لطف من الله تعالى.. وذلك هو تحقيق للغرض الإلهي من البلاء للمؤمن، حيث قال تعالى: **{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}..**

نحن ندعي الإسلام والإيمان والعمل بالقرآن، ولكن كم من إنسان على وجه الأرض وصل إلى ملكوت هذه الآية؟.. مثلا: هناك مؤمن لو أنه يوما كسب ألف دينار، لا يفرح؟.. ولو يوما آخر خسر ألف دينار، لا يحزن؟.. فلا فرق يجده في نفسه بين الألف الذي كسبها، والألف الذي خسرها.. هل هناك مؤمن يدعي أنه وصل لهذه الدرجة؟..

إن البعض يقول: دعنا عن هذه الأمور!.. هذه لرجال الحوزات، ولها رجالها في الأزمنة القديمة، ونحن الآن في عصر الذرة والفضاء.. أين يمكن العمل بهذه الأمور، في عصر العولمة، وانتشار الفساد العالمي؟!.. ولكن ماذا نعمل إذا كان القرآن يطلب منا ذلك؟.. وهذه ليست من صفات الأنبياء، ولا من صفات الأوصياء، إنها من صفات المؤمنين، ورب العالمين يطلب منا أن نصل إليها.

ولا يخفى أن هذه المقامات لا تنال بليدة أو ليلتين، إنما هي نتيجة لمراحل.. ونحن عندما نقول عليكم بهذه النتيجة، يعني عليكم بالمراحل التي قبلها، من المراقبة، والمحاسبة... وكل هذه الوصايا الأربعون، حتى نصل لهذه النتيجة.

## 21. لحظات الخلوة

لابد وأن يكون للعبد لحظات من الخلوة يختلي فيها لنفسه مع ربه، بعيدا عن زحمة الحياة والأحياء.. وجوف الليل من أفضل الساعات التي يمكن أن يحقق فيها هذه الخلوة، ليستعيد كتابة جدول حياته اليومي والفصلي والسنوي.. فإن الوصول إلى الله لا يدرك إلا بامتطاء الليل.

إن هذه الخلوات لمن أعظم موجبات تحقق التجليات الإلهية، التي تقتلع العبد من عالم الملك إلى عالم الملكوت.

س1/ من المعلوم أنه لابد أن يكون للسالك من لحظات الخلوة.. ولكن البعض قد يقع في فخاخ الشياطين، من هذه الناحية.. فكيف نفرق بين الخلوة المحمودة، والخلوة المذمومة؟..

**الخلوة المذمومة، هي:** التي تكون بداعي الفرار من الخلق، والتقاعس عن أداء الواجب؛ ليعيش الراحة والدعة، بعيدا عن مشاكل الناس.. ولهذا ترى أن من يميل إلى هذه الخلوة، يترك حتى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.. فهو عندما يعتزل لا لأجل الخلوة مع الله تعالى والتقرب إليه تعالى، إنما لأجل التخلص من تبعات الخلق.. ومن هنا فهذه الخلوة، خلوة غير مقدسة.. والبعض قد تكون عزلته سببها حالة نفسية مرضية، فهذا المرض معروف عند علماء النفس، فالشخص عندما يميل إلى العزلة، يحس أن هنالك شيئا ما في باطنه قد تغير.

**بينما الخلوة المحمودة، هي:** الخلوة الاختيارية، التي تكون بداعي طلب القرب من الله تعالى؛ وصاحبها ليس عنده مشكلة مع الناس، بل إنه قد يكون في حالة من الأنس مع الناس، وله طبيعة اجتماعية، ولكنه يقطع هذا الأنس، طلبا لما هو أكمل وأعمق..

كخلوة الشاب المؤمن-الذي اعتاد في كل الليالي على الخلوة مع ربه- في ليلة الزفاف.. فعادة في تلك الليلة الشاب يبتلى بالغفلة، إلا أنه لا يفوت على نفسه هذه الخلوة، ولذتها أيضا. إن اللذائذ المعنوية-لأهلها- أدوم وأعمق من اللذائذ الحسية.. فالخلوة المحمودة، هي تلك الخلوة التي يريد فيها الإنسان أن يختلي مع معنى عميق، أعمق مما يظنه الناس، وذلك هو الخلوة مع مصدر كل أنس في الوجود.

س2/ من المعلوم أن الذي يخلو مع ربه ليلا، يأنس بما يجده من التجليات الإلهية.. والبعض لا يرى هذه التجليات، وتراه يسعى للوصول إليها.. فما هي النصيحة لهؤلاء؟..

إن المؤمن موجود متعبد، لا لمزية من مزايا القرب من الله تعالى.. إن مثل الذين يهدفون هذه المزايا، والتجليات، والمكاشفات، مثل ندماء السلاطين.. فنديم السلطان ملازما له، لا يفارقه، ولكن هذه الملازمة لا حبا له، وإنما حبا للمزايا!.. ولهذا-كما نسمع في قصص الدول البائدة- عندما يموت السلطان، أو يزول ملكه، وإذا بالندماء يتفرقون من حوله، إن لم يتحولوا إلى أعداء له!..

إن الهدف من القيام في الليل، هو الظهور بمظهر العبودية لله تعالى، سواء أعطينا تجليات ومزايا، أو لم نعط.. فإن المؤمن عينه ليست على هذه الأمور، والمؤمن لا يعبد ربه حتى يعطيه شيئاً.. فهذه من شؤون الرب، فهو الذي يريد أن يعطي عبده شيئاً، فالعطاء من صفات رب العالمين، وعطاؤه عطاء واسع، لا ينقطع أبداً.. إنما العبد يقوم بوظائف العبودية، والله تعالى أعلم بوظائف الربوبية، وكيف يتعامل مع عبده.

### س3/ كيف يمكن أن تكون للمؤمن خلوة في النهار، وخاصة مع زحمة الحياة؟..

إن الخلوة في الليل، حسية، ومعنوية.. فالذي يصلي صلاة الليل-حيث الظلام يعم الكون، والناس نيام- يعيش في جو هادئ، بعيداً عن زحمة الحياة والناس.. ولهذا البعض مع أنه في النهار يعيش بعض اللذائذ الحسية، إلا أنه ينتظر قدوم الليل، حتى يحصل على هذا الموقف في آخر الليل.

ولكن الخلوة في النهار، خلوة معنوية فقط.. فالمؤمن قلبه مع الله تعالى، حتى وهو في قمة التشاغل في عمله، والانشغال مع الغافلين، فتراه-مثلاً- يبيع، أو يشتري، أو يدرس... وكذلك المرأة المؤمنة، وهي في المنزل تطبخ، وتغسل... ولكن القلب له عالم آخر، ومشغول بالله تعالى، فهو بالقلب في خلوة، وإن كان ظاهراً مشغولاً مع الناس، أو بأي أمر آخر.

ومن المناسب ذكر هذه القصة:

أحدهم سمع عن أحد التجار، أنه من أولياء الله تعالى، ومن العباد المراقبين، فأراد أن يرى هذا الولي، فذهب إلى محل عمله.. ولكنه لما رأى هذا الإنسان التاجر، في حالة من الانشغال الحثيث مع المراجعين، ما بين ذاهبين وآتين، خابت آماله، وقال في نفسه: كيف يكون هذا كما قيل عنه، مع هذا العمل والانشغال؟!.. إن هذا متى يجد وقتاً للخلوة والمناجاة مع رب العالمين؟!.. فإذا بهذا التاجر-وقد عرف بما نفسه- يجيبه: أنا وإن كنت بشخصي الظاهري مشغول جداً، ولكن قلبي قلب فارغ.

فإذن، إن المؤمن له فراغه الباطني حتى مع انشغاله بالناس، وفي الليل تجتمع الخلوتان: حسية، ومعنوية.

## 22. الرفق بالنفس

إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.. فإن القسوة في التعامل مع النفس والبدن وإجبارهما على بعض الطاعات من دون رغبة-ولو متكلفة- قد تحدث ردة فعل في النفس، تجعلها تنفر من ثقل الطاعة، لتستذوق حلاوة المتع الرخيصة والفانية.. إن الالتزام بأوراد عبادية-سواء في عالم المناجاة أو التوسل- أمر مطلوب ولكن بشرط عدم التحميل الإجباري المنفر للنفس.

نرجو-إن شاء الله تعالى- بمجموع هذه الوصايا، أن يبارك الله تعالى لنا فيها، بحيث نخرج بما قلناه في أول الأمر، بما يشبه القانون الأساسي في هذا المجال.. لأن المشكلة عند البعض، ليست مشكلة الهمة، إنما مشكلة وضوح الجادة والطريق.. وأردنا بهذه الكلمات-إذا رب العالمين قبل منا- أن نلقي الضوء على أصول السير في هذا المجال.

س1/ إن من الضروري للسالك-كما هو الوارد في الروايات- الرفق بالنفس، وعدم إكراهها بفعل الطاعات.. ولكن ذلك ألا يوجب التفاعس والتكاسل، وخاصة مع طبيعة النفس التي تميل إلى الراحة، والتمتع باللذائذ الحسية؟.. إن البعض يرى أنه لا بد أن يثقل على نفسه، ويكرهها على عبادة ربه.. لأنه إذا أراد أن يتبع هوى نفسه، ولا يرهقها بالعبادات، فإنه لن يحقق التكامل، وسيبقى على ما هو عليه.. ولكن ليُعرف المقصود بالقول بضرورة الرفق بالنفس، لا بد أن نفرق بين هذين النوعين للمشقة والثقل على النفس:

### الأول: وجود إعراض وثقل على الجوارح، مع ارتياح للجوانح:

هناك بعض العبادات الثقيلة والشاقة، على الجوارح.. فقيام الليل-مثلا-لأولياء الله، لا يخفى أنه مخالف للطبع، بأن يترك الإنسان لذيق النوم في الفراش.. ولهذا فالله تعالى يركز على هذه الحالة، في قوله تعالى: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}**.. فالبعض كم يجاهد حتى يستيقظ، وإلى أن يقوم ويتوضأ ويصلي، وهو لا زال يعيش في حالة من حالات سكر النوم.. وكذلك الحج، فإنه أيضا من العبادات الشاقة، المخالفة لطبيعة النفس، التي تحب الدعة والراحة..

فإذا كانت المشقة على الجوارح، ولكن الجوانح منسجمة ومرتاحة لتعب الجوارح، عندئذ من الممكن أن نقول بأن التعب الجوارحي، لا يؤثر في سير العمل.. كما قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارا \*\*\* تعبت في مرادها الأجسام

وقد ورد: (ما ضعف ما بدن، عما قويت عليه النية).. فالنية إذا كانت قوية، والهمة عالية، فإن ضعف البدن لا يعد مانعا في البين.

والثاني: وجود إعراض وثقل على الجوارح، مع عدم تشجيع من الجوانح:



وهذا الذي هو فيه عامة الناس، فترى إنسانا نفسه لا تميل أساسا للعبادة، فيقرأ القرآن بتثاقل، ويصلي بتثاقل... ولكن ينبغي الحذر أيضا، لأنه يخشى مع استمرار هذه الحالة، الإدبار والنفور لاحقا بشكل مطلق من العبادة الواجبة، فضلا عن المستحبة.

فإذن، ملخص الإجابة عن هذا السؤال:

إن التعب البدني إذا كان مع وجود رصيد جوانحي مشجع، وموجه لتعب الأبدان، فإنه يرجى أن يكون ذلك التعب في طريق التكامل، وإلا فلا.

**س2/ من المعلوم أن اللذائذ المعنوية، لا تقاس بها لذة في الوجود.. إلا أن طبيعة النفس أنها تميل إلى الاستمتاع باللذائذ الحسية.. فكيف يمكن الوصول إلى درجة الاستمتاع باللذائذ المعنوية؟..**

إن الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى مقدمات، وإلى حديث مفصل؛ لأن هذا من الفصول المهمة للتكامل الأنفسي.. ولكن نقول إجمالاً:

**أولاً: البلوغ الباطني:** إن المؤمن يصل إلى درجة يكون تلذذه بالمتع المعنوية اللاحسية، أكثر من تلذذه بالمتع الحسية؛ وذلك لوجود حالة من حالات البلوغ الباطني عنده..

إلا أن البعض وجوده الباطني، لم يصل إلى مرحلة البلوغ، فهو لا زال يعيش المراهقة الباطنية، وإن بلغ به العمر ما بلغ.. فتراه في سن الستين أو السبعين أو الثمانين، وهو يعلم أن انتقاله للنشأة الأخرى أضحى قريباً، ولا زالت متعته في هذه العوالم المادية المحسوسة!..

فمن الطبيعي أن الروح إذا لم تبلغ، أنها لا تصل لمستوى تذوق اللذائذ المعنوية.

**وثانياً: طلب المدد الإلهي:** إن المؤمن يطلب من الله تعالى أن يذيقه حلاوة قربه، إلى درجة -كما علمنا إمامنا زين العابدين (ع) - أنه يستغفر من كل لذة بغير قربه، ومن كل لذة بغير ذكره، ومن كل سرور بغير قربه.. أي يستغفر إليه، من اللذائذ التي هي دون لذة المناجاة مع رب العالمين.

**س3/ إن الالتزام بورد ثابت مأثور، من الأمور المهمة للسالك.. ما هي الإيجابيات والسلبيات في ذلك؟..**

**إن من السلبيات: الذكر المجرد من التوجه:**

إن الالتزام بذكر معين، من الممكن أن يسلب من صاحبه الخشوع والتوجه، فتراه بعد فترة من الالتزام بذكر معين، أنه يتمتم، وكأنه لا يلتفت.

**ومن إيجابياته: شغل أوقات الفراغ بالذكر:**

إن الإنسان الذي يلزم نفسه بذكر معين، فإن هذا الالتزام مدعاة له بأن يفرش ليله ونهاره، بهذه الحالة من ذكر الله تعالى.. مثلاً: إنسان ملتزم بالصلاة على النبي وآله، ألف مرة في اليوم، فهو لما يحصل على لحظات فراغ في الطريق، أو في الدابة، أو وهو في انتظار أحد، فإنه يراها فرصة مؤاتية لقضاء ما هو ملتزم به..

فالتزام بورد بعدد معين، ينظم ساعات الفراغ عند الإنسان.. ولكن بشرط أن يكون هذا الورد ماثورا، وأن يكون بتوجه؛ فعندئذ من الطبيعي أن هذه الأوراد وهذه الأذكار، تؤتي أكلها بإذن الله تعالى.

## 23. حلية المكسب والمأكل

إن حرص السالك على حلية مكسبه ومأكله-وخاصة في زمن فشا فيه الحرام في كل أبعاده- ضروري لتحاشي الآثار السلبية للحرام الظاهري على الأقل، وإن كان السعي-قدر الإمكان- للتخلص من آثار الحرام الواقعي مطلوباً أيضاً.. فكما أن للغيبة ملكوتها (وهو أكل الميتة)، وللمرء ملكوته (وهو التخبط من المس، ولأكل مال اليتيم ملكوته (وهو أكل النار)، فكذلك للحرام المأكل والملبوس ملكوته الذي يعرفه أهله.

س1/ من المعلوم أنه لابد للسالك من المبالغة في الحرص على حلية المأكل؛ ضماناً لسلامة الروح من آثار الطعام الحرام.. ولكن كيف يمكن للمؤمن أن يوفق بين ذلك الاحتياط، وبين ما جاء في الشريعة من حلية الطعام المشكوك فيه، وجواز تناوله؟..

إن الإيمان على درجات، وطموحات الناس تختلف من فرد إلى فرد.. إن الذي يريد أن يكون بدنه سليماً خالياً من الأسقام، فإنه يحتاط احتياطاً طبياً، إلى درجة معينة.. ولكن الذي يريد أن يكون من ذوي كمال الأجسام وقوة العضلات، فهذا يحتاج إلى برنامج زيادة عن حفظ الصحة، وهي التمارين، والابتعاد عن ما يأكله عامة الناس، فيحتاج إلى رقابة وحمية غذائية خاصة..

وكذلك في عالم الأرواح، فالبعض يمشي على حافة الشريعة، وعنده كل شيء لك حلال، كل شيء لك طاهر.. ونحن لا ننكر أبداً أن هذا من الشريعة، وأن الذي يتبع هذه الطريقة، يستفيد من المجوزات الشرعية، وصاحبه عادل يصلح خلفه.. ولكن الكلام في من يريد-كما قلنا في مثال حفظ الصحة- تكاملاً متميزاً، ومن يريد قريباً متميزاً؛ فمن الطبيعي، أن هذا الإنسان يجتنب عن الشبهات.

إن أمير المؤمنين (ع) عندما أوتي له بطبق من فالودج لم يأكله، ولم يحرمه.. ولكن كأنه-كما نفهم من الرواية- لا يحب أن يعود نفسه، ما تتوق إليه.. وأراد الإمام بذلك، أن يعلمنا أن المؤمن إذا عرض عليه طعاماً شهياً، وهو اشتهى هذا الطعام، فإن مقتضى المجاهدة، أن يرفع يده عن الطعام الشهوي.. ولكن هذا في موارد، لا أن الإمام يدعونا لترك الطيبات دائماً وأبداً.. فمثلاً: إذا إنسان تاققت نفسه إلى قطعة حلوى في مورد، فهنا من المناسب للمؤمن الذي له هدف تكاملي، أن يعود نفسه على ترك بعض ما يشتهي؛ ولكن من دون عقده في البين، أو وجود ردة فعل، أو انعكاسات سلبية.

وعليه، بالنسبة للمأكل والمشرب، نقول:

إنه بالإضافة إلى الحدود الشرعية، علينا بالاحتياط، وقد ورد (أخوك دينك، فاحتط لدينك)، وخاصة هذه الأيام الذي كثر فيه الحرام.. صحيح، إن سوق المسلمين من أمارات الحلية، ومن موجبات جواز الأكل.. ولكن الإنسان-بعض الأوقات- كأنه يغطي على نفسه الحقائق، فقد تكون له بعض القرائن القطعية على أن هذا مثلاً حرام واقعي، أو حتى حرام ظاهري، ولكنه يحاول أن يلبسها بعض العناوين المجوزة!..

إن الذي يريد أن يكون متميزًا في سيره إلى ربه، فعليه أن يجتنب الحرام، بشكل أكيد قطعي: الحرام الواقعي، والحرام الظاهري.. أي يحاول أن يجتنب حتى موارد الشبهة، بقدر الإمكان.. ونحن نأتي بقيد (قدر الإمكان)، لئلا نحمل الناس فوق طاقتهم.

### س2/ بقطع النظر عن الطعام الحرام، هل أن الإكثار من الطعام والشراب، أيضا له أثر سلبي على الروح؟..

بلا شك أن الطعام الزائد عن الحاجة، مؤثر على الروح!.. وهذا المضمون يتكرر كثيرا في الروايات، فإن الذي يملأ جوفه من الطعام، لا يعطى الحكمة.. وكأن هنالك ندية أو اثينية بين الحكمة، والإكثار من الطعام والشراب.. فالحكمة التي هي ضالة المؤمن، الحكمة التي أوتيت للقمان، كثيرا ما نرى أن الموجب لها، هو الصمت والجوع.. وكأن الصمت والجوع، سبيلان أساسيان من سبل حيازة الرتب الكمالية العالية.

وبالمعنى الدقيق، إن الذي يأكل فوق الشبع- لا نقول إن هذا المعنى الدقيق حقيقة، فرب العالمين أكرم الأكرمين.. وإنما بمنظار أخلاقي، بمنظار فيه شيء من المراقبة والمحاسبة- كأن هذه الزيادة، يأكلها من دون إذن صاحبها.. فرب العالمين أذن له أن يأكل هذا الطبق، ولكن الزيادة عن هذا الطبق، كأن الله تعالى لا يرضى بذلك.. فالأكل على الشبع منهي عنه، لا بنحو الحرام البين، بل بمعنى النهي العام.. والمؤمن كما أنه يتحسس من الحرام البين، أيضا يتحسس مما لا يرضى الله تعالى، ولو كان في قالب المكروه، ولو كان في قالب ما لا يرضى به الشارع.. هكذا مستوى المؤمن المتميز.

### س3/ ما هي صفة المؤمن المتميز، في طعامه وشرابه؟..

القاعدة العامة: (لا تأكل حتى تجوع، وإذا أكلت لا تشبع).. وأغلب الناس يعرفون هذا المعنى، ولكن في مقام العمل يتقاعسون!.. إن الإنسان المؤمن المتميز، لا يأكل إلا وهو يشتهي الطعام، ولا يقوم إلا وهو يشتهي الطعام.. فهناك اشتهاؤ للطعام قبل الأكل، من باب الجوع؛ وهناك اشتهاؤ للطعام بعد الأكل، من باب عدم الشبع، أي عدم التخمّة.. فالمؤمن وهو لا زال يشتهي الطعام، يرفع يده من الطعام، فيأكل فقط ما يسد رمقه، ويقيم بدنه، ويذهب عنه ألم الجوع..

بل إن المؤمن لأنه لا يعلم تحديدا المقدار المفروض تناوله، والذي يكفيه، فهو كان يحتاج إلى خمس عشرة لقمة مثلا، وزاد على ذلك، فلأنه لا يعلم المقدار المطلوب، احتياطا يعوض بالالتزام بآداب ومستحبات الطعام، قبل وأثناء وبعد، كالتسمية والحمد والشكر..

والبعض فترة ما بعد الوجبة الشهية، تمثل له لحظة عبادية متميزة، لأنه يعيش مشاعر إنعام المولى تعالى، مما يجعله يطيل في الدعاء والحمد والثناء والشكر..

ومن هنا من المناسب أن المؤمن يستغل فرصة الاجتماع على الطعام، سواء مع العائلة أو الضيوف، فإن من موارد استجابة الدعاء، هو ما بعد المائدة.. إن رب العالمين أنعم عليك بهذا الطعام والشراب المادي، وأكلته هنيئا مريئا؛

ولكن مع ذلك أيضا، هو يحب أن تدعوه، وتطلب منه طعاما مغنويا، حتى يكمل عليك النعمة؛ يحب أن تطلب منه أمورا أخرى، تطلب الرزق الحلال، التوفيق، العبادة، الخشوع..  
ولهذا فإن بعض المؤمنين بعد المائدة، له محطة عبادية من الدعاء الحثيث، دقيقتان أو ثلاث دقائق، وخاصة إذا كان في موسم عبادي؛ فالمؤمن لما يأكل مع الحجاج أو مع المعتمرين أو مع الزائرين، وهو في هذه الأجواء العبادية المباركة، لا يفوت هذه الفرصة أيضا.

إن الأرزاق المادية والمعنوية في عصر الغيبة يجريها الرزاق على يدي وليه المنتظر (ع)، كما هو مقتضى النصوص المباركة.. وعليه فإن الارتباط به (صلوات الله تعالى عليه) عاطفة وعقيدة وسلوكا، لمن موجبات مضاعفة تلك الأرزاق ومباركتها.. إذ أننا نعتقد أن رعايته (ع) للأمة كرعاية الشمس من وراء السحاب، ولا يعقل أن يهمل ولي الأمر وحجة العصر تلك النفوس المستعدة التي تطلب الكمال بلسان حالها أو مقالها، وما تحقق الفوز والفلاح في هذا المضمار-طوال زمان الغيبتين- إلا لمن أتى هذا الباب بصدق، وتوجه إلى ذلك الوجه بانقطاع.

**س1/ لماذا نرى أن مستوى التفاعل مع صاحب الأمر (ع)، ليس بالمستوى المطلوب؟..**

إن الذي ينسى ذكر ولي أمره، فهو الخاسر!.. وإلا فالإمام (ع) في غنى عنا، فهو له شغله مع ربه، وعلاقته مع ربه، وأنسه بالله تعالى يملأ كل فراغ لديه.

**والسبب في هذه الحالة من عدم التفاعل مع ذكره، هو: قلة المعرفة بموقع الإمام أولا، وبموقعه هو ثانيا..**

وكما هو الملاحظ لا نسبة بين التفاعل لسيد الشهداء (ع)، وبين التفاعل لولده الحجة (ع)، رغم أن هناك فرقا في المقام، فالإمام المهدي هو إمام زماننا، ونحشر تحت لوائه، وأعمالنا تعرض عليه، وفي ليالي القدر تنزل مقدراتنا عليه.. فهناك فرق من هذه الناحية، ولكن التفاعل مع جده الشهيد، لا يقاس بالتفاعل معه.. لأن طبيعة الحالة المأساوية لإمامنا الشهيد، وما جرى عليه، يرقق القلوب، والقلوب تتفاعل مع الأحداث.. ولهذا نلاحظ في قضية الإمام حتى غير المسلمين يتفاعلون، بل قد يكون على مصيبة الإمام.

إن العلاقة بالإمام هي في الأصل، علاقة اعتقادية؛ وذلك بالاعتقاد بأن الإمام حي يرزق، وبالمآسي التي وقعت عليه، والمآسي التي وقعت على آبائه الطاهرين.. فالذي يجعل المؤمن يتفاعل مع ذكر الإمام، هو الجانب الاعتقادي، والجانب المعرفي، بمعرفته أنه حجة الله على الأرض في هذا العصر؛ وإنه بمعصيته كما أنه خالف رب العالمين، أيضا فقد أدخل الأذى في قلب وليه..

ورد في رواية هذا المضمون: أن الإمام كان يعتب-في زمان الأئمة- ويقول بأن المعاصي من موجبات أذى رسول الله (ص).. وتوجد رواية ينقلها صاحب العروة الوثقى، تشير إلى أن الزهراء (ع) تتألم وتتأذى، ويشق عليها تصرفات بعض الموالين في زمان الغيبة.. ونحن الآن يفصلنا عن الزهراء (ع) مئات السنين.. فمعنى ذلك، إن الإمام (ع) يشق عليه كثيرا مما نعمل، وخاصة نحن المنتسبون إليه.. وأعني بالمنتسبين، لا خصوص العلماء، وإنما الذين يلهجون بذكره، الذين يُعرفون بحبهم للإمام، فهؤلاء يتوقع منهم أكثر من غيرهم.

فإذن، ملخص الجواب عن هذا السؤال:

بما أن العلاقة العاطفية بالإمام (ع) على أساس الجانب العاطفي، والجانب المأساوي، هي غير متحققة؛ فلا بد أن تكون على أساس عقائدي، بإحساسنا بإمامته وولايته.. وهذا يحتاج إلى بلوغ فكري ونظري؛ فعامّة الناس تتفاعل مع قضية الإمام الشهيد، ولكن الخواص هم من يتفاعلون مع قضية الإمام الغائب.. وهنئنا لمن وصل إلى هذا البلوغ، الذي يجعله يعيش فقد الإمام!..

والسيد ابن طاووس يصف هذه الحالة في كتابه لولده، بعبارات جميلة، يقول-بهذا المعنى-: يا ولدي محمد، لو ضيعت شيئاً من متاع الدنيا، فكم تتألم وتتأذى لفقد هذا المتاع؟!.. فكيف بك وقد ضيعت إمامك وفقدته؟!.. لو أن إنساناً في صحراء قاحلة، وكان معه الدليل الذي يعينه على تجاوز هذه الصحراء القاحلة، بأمان وسلام.. فلا شك أن هذا حياته وموته، متوقفة على هذا الدليل.. فلو مات الدليل، أو غاب عنه، هو أيضاً يموت ضياعاً.. فلك أن تتصور هذا الإنسان التائه، إذا غاب عنه الدليل، فأى مشاعر يعيش؟!.. فنحن كذلك، في زمان الغيبة، علينا أن نعيش هذه المشاعر بتمامها.

**س2/ هل للإمام (ع) عناية خاصة ببعض الأفراد، وما هو الموجب لذلك?..**

**في زمان الغيبة الإمام له عناية أولاً، لعالم الوجود، (ببمنه رزق الورى ويوجوده ثبتت الأرض والسماء)..**

وله عناية بكافة البشر، حتى من غير المسلمين.. أسوة بجده أمير المؤمنين، الذي عندما بلغه نبأ الاعتداء على الزميمة تألم كثيراً.. وله أسوة بأمه الزهراء، كما ورد عنه..

وله عناية بالمسلمين، ممن يشهد الشهادتين.. فمن المعلوم أن من شهد الشهادتين، فقد حقن دمه وماله.. بخلاف البعض الذين لا يراعون حرمة لمن شهد الشهادتين، لمجرد خلاف في مسألة فرعية أو في مسألة فقهية.. فالإمام له عناية بهؤلاء، فهم من أمة جده ولو كانوا عصاة..

**قيل للجواد (ع): آية آية في كتاب الله أرجى?.. قال: ما يقول فيها قومك?.. قال: يقولون: ليا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.. قال: لكننا أهل البيت لا نقول ذلك.. قال: فأى شيء تقولون فيها?.. قال: نقول: {ولسوف يعطيك ربك فترضى}.. الشفاعة، والله الشفاعة، والله الشفاعة.**

**فالنبي (ص) يشفع، حتى لا يبقى في النار موحد.. فمن يشهد الشهادتين، هذا لا يخلد في النار..**

وله عناية بالمؤمنين الذين يعتقدون بآبائه.. فهناك فرق بين من يشهد الشهادتين ويقف، وبين من يعتقد بالاثني عشر الذين بشر بهم النبي (ص)، وهو على رأس الأئمة الاثني عشر، بمعنى هو ختامهم، والمتمم لهم..

وله عناية بخواص المؤمنين المتوجهين إليه من مواليه، الذين يعتقدون بإمامته، ويحملون هم غيبته، ويدعون لفرجه..

وإذا أراد المؤمن أن يعلم مدى حبه لإمامه، فلينظر إلى لسانه وهو متوجه للدعاء، في مواطن الإجابة.. فمثلاً هو كان في حالة الازدحام في الحج، ووصل إلى الحجر، أو وصل إلى الحطيم-فمن المعلوم أن الإنسان عادة في مثل هذه المواقف أنه يقدم أهم الحوائج لديه، فالذي له ولد مبتلى بمرض خبيث، فإنه أول ما يصل إلى الحجر، فمن الطبيعي أنه يسأل الله تعالى شفاء ولده- فإذا وصل لهذه المواطن الشريفة، ولهج بذكر إمامه، بالدعاء له بالفرج، فإنه يعلم من ذلك، أن له علاقة متميزة بإمامه.

ومن أحب إنسانا حبا حقيقيا، وذلك الإنسان علم بحبه له، فإنه يبادل له الحب، إلا أن يكون جاهلا، أو غافلا.. والإمام (ع) حاشا أن يكون غافلا عنا، فمن كان في قلبه هذه الجدوة من الحب المهدوي، فقطعا إن الإمام سيبادل له هذا الحب، وشتان بين حبا له، وبين حبه لنا!.. فهو ولي الله الأعظم، السبب المتصل بين الأرض والسماء، الباب الذي منه يوتى، ودعوته لا ترد.. وهنيئا لمن شملته دعوة إمام زمانه!..

### س3/ كيف يمكن أن ينمي الإنسان المؤمن علاقته العاطفية، مع صاحب الأمر (عج)؟..

إن هناك عدة أمور يقوم بها المؤمن، لتقوية الارتباط بينه وبين الإمام، منها:

#### الالتزام بدعاء العهد:

إن الذي يلتزم بدعاء العهد أربعين صباحا، يرجى أن يكون ذلك، سببا لأن يلتفت إليه الإمام (عج).. ولا يقال إن هذا الالتزام، ليس فيه مجاهدة كبيرة!.. فإن التوفيق لذلك، قد يكون علامة من علامات الارتضاء-إن شاء الله تعالى- وليس بنحو العلية فقط.. فالالتزام بدعاء العهد، سببا للالتفاتة، وعلامة الارتضاء.. ولهذا ترى البعض يلتزم، وفي اليوم الأخير يغلب عليه ما يغلب من النعاس وغيره.

فإذن، إن دعاء العهد دعاء مناسب وبلغ، وخاصة إذا وصل لهذه الفقرات: (اللهم!.. اجعلني من أنصاره وأعوانه، والذابين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه، والمتمثلين لأوامره، والمحامين عنه، والسابقين إلى إرادته، والمستشهرين بين يديه..)؛ فإن عليه أن يلهج بها، ويقف عندها، ويتأمل فيها، ليعمق معانيها في فؤاده.

#### الالتزام بدعاء الندبة:

إن الوارد استحباب هذا الدعاء في الأعياد الأربعة: كل جمعة، وعيد الفطر، والأضحى، والغدير.. وفي خصوص هذه الأيام من المعلوم أنها أيام فرح، والمؤمن له فرحة متميزة في يوم العيد.. ولكن المؤمن مطلوب منه، لا فقط أن يذكر إمامه في هذه الأيام، بل أن يندبه.. والندبة فيها حالة حزنية، وحالة بكائية، وكلمات فيها إثارة عاطفية: (عزيز علي أن أجاوب دونك وأناغي!.. عزيز علي أن أبكيك ويخذلك الوري!.. عزيز علي أن يجرى عليك دونهم ما جرى!.. هل من معين، فأطيل معه العويل والبكاء؟!.. هل من جزوع، فأساعد جزعه إذا خلا؟!.. هل قذيت عين، فسأعدتها عيني على القذى؟!).. العويل والبكاء، هذا في يوم الفطر، في يوم الأضحى، في الغدير، في كل جمعة.. ولا شك أن امتزاج هذه الحالة من الندبة والحزن على الإمام (عج)، بحالة الفرحة في يوم العيد، إن هذه الحالة من موجبات الارتباط المتميز.

#### الالتزام بدعاء الفرج:

إن علينا بالإكثار من دعاء الفرج، وخاصة في مواطن الإجابة، وفي قنوت الصلاة.. وليس لازما أن يلتزم به في كل قنوت، ولكن على الأقل ينبغي أن لا تخلو الفرائض الخمسة من وقفة دعاء مهدوية.



إن البعض يلتزم بدعاء يكرره بشكل رتيب، ففي كل صلواته-مثلا- يقول: **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**.. وهذا دعاء جيد، ولكن مع التكرار فإن الإنسان قد لا يتفاعل.. والمؤمن له خزانة من الأدعية، يحفظ-مثلا- فقرات من مناجاة التائبين، ودعاء أبي حمزة، ودعاء الفرج.. فيحفظ أدعية مختلفة في ذهنه، وفي الصلاة يختار حسب مزاجه، بعض هذه الأدعية الشريفة.

### الالتزام بزيارة آل يس:

وهي من خصوص الزيارات التي يحبها الإمام المهدي (عج)، كما نفهم من قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم.. لا لأمره تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون!.. حكمة بالغة، فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون!.. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين!.. إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا، فقولوا كما قال الله تعالى: سلام على آل يس..).

ومن المناسب أن المؤمن بعد أن ذكر إمامه بهذه الزيارة الجميلة، ورق فؤاده، أن يستغل هذه الحالة في التوسل بالإمام (ع) عند الله تعالى، في سؤال ما يريد.. ومن المناسب جدا الدعاء بالدعاء الوارد بعد الزيارة، فالبعض يكتفي بالزيارة، ويهمل هذا الدعاء.. ثم إن مضامين الدعاء مقسمة بين الدعاء للإمام (ع)، والدعاء للزائر.. فالداعي بهذا الدعاء، يدعو للإمام (ع)، ويدعو لنفسه أيضا، حيث يطلب من الله تعالى أن يعطيه الهبات المتميزة في هذا المجال.

## 25. التأثر الشعوري

إن التأثر الشعوري بمصائب أهل البيت (ع) في مختلف المناسبات، من مصاديق التولي، وإحياء الأمر، ومودة ذوي القربى.. وهذه العناوين لها دورها الحاسم في التسديد والمباركة، بشرط الالتزام بحالة التأسى التي يفترضه الولاء والمحبة الصادقة.

إن مما لا شك فيه أن هذا التأثر- وخاصة العميق منه- لا يأتي من الفراغ، بل هو كاشف عن نوع ارتباط وتجانس مع تلك الأرواح الطاهرة.. ومن المناسب أن نؤكد في هذا المجال أن لا ينتظر الإنسان المواسم أو المجالس التي تحرك الإنسان في هذا المجال، بل يبتكر الأساليب المؤثرة في إثارة العواطف، وخاصة في الخلوات.

كما ذكرنا في أول الحلقات: إن قيمة هذه الحلقات، هو في الجانب التطبيقي.. وإلا فليس الهدف من هذه الحلقات، الجانب التثقيفي المجرد؛ فنحن نتعلم الخطة، لنمشي عليها؛ ونتعلم الخارطة، لنسلك فيها.

**س1/ ما هو دور التفاعل الشعوري مع ذكر أهل البيت (ع)، في عملية التكامل الأنفسي؟..**

أولا لا اثنيانية بين التفاعل مع أهل البيت (ع)، وبين التفاعل مع رب العالمين.. لأن هؤلاء من شؤون المولى، هؤلاء العبيد المتميزون للمولى تعالى، فمن أراد أن يتقرب إلى الله تعالى، فهؤلاء هم الوسيلة، كما نقرأ في الزيارة الجامعة: **(من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم)..**

إن رب العالمين هو أمرنا بمودتهم، فكل مظهر من مظاهر المودة والتحبب إليهم، يعود إليه تعالى.. وإذا نحن بالغنا في إظهار المودة، فليس هذا على حساب رب العالمين، بل يعود إليه تعالى.. أنت عندما تأمر أحدا بإكرام ولدك، فإذا هو بالغ في الإكرام فإنك- ما دامت المبالغة في ضمن الإطار الشرعي- لا تدمه على هذه المبالغة، بل إنك كم تسعد وتفرح بهذا الإكرام!..

وأي تعظيم أعظم من السجود!.. إن رب العالمين أمر الملائكة بالسجود لآدم، لافي جهة آدم، ولا على جسم آدم، إذ قال تعالى: **{إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}**.. ومن المعلوم أن هذه العملية لا نقوم بها حتى لأئمة أهل البيت (ع)، حتى النبي المصطفى (ص)، لأن هذا أمرا من الله تعالى كان خاصا لآدم (ع)، مع أن آدم (ع) دون النبي (ص)، في الفضل والرتبة..

فالقضية قضية مترابطة، ومن هنا من مستثنيات البكاء المبطل للصلاة- كما في الرسالة العملية- البكاء من خشية الله تعالى، والبكاء على مصيبة الحسين (ع).. بشرط أن يكون البكاء يعود إلى الله تعالى، فإن كان البكاء على الإمام الحسين (ع)، كإنسان قتل مظلوما، فلم يعد إلى الله تعالى.

أضف إلى أنه من يتمرن على التفاعل، أو من له عاطفة جياشة تجاه أهل البيت (ع)، فهذا الإنسان متفنن أكثر في إبداء العواطف لرب العالمين.. فإن القلب العاطفي الذي يحمل شحنة عاطفية، أقدر من باقي القلوب، على أن يتفاعل مع رب العالمين.. ولهذا نلاحظ أن بعض محبي أهل البيت (ع)، في المشاهد الشريفة، لما ينتهي من

الزيارة، ويقرأ دعاء كميل، فإنه يتفاعل بما لا يتفاعله منكرو مقامات أهل البيت (ع).. فبعض صور المناجاة والتفاعل الإلهي، في مشاهد أهل البيت (ع)، قد لا نراها حتى في المسجد الحرام.. وهذه دلالة على أن الذي يأنس بأهل البيت (ع)، ويتفاعل بذكرهم، ويحمل مودتهم، هذا أقدر من غيره على حمل المودة الإلهية.. لأن القلب هو القلب، فأنت عندما أحببت النبي وآل النبي (ص)، فهذا القلب صار قلبا عاطفيا؛ وما عليك إلا أن توجه هذا القلب العاطفي إلى الله تعالى، فأنت أقدر من غيرك على ذلك.

ولهذا من المناسب أن نستغل الفرصة في ختام مجالس إحياء ذكر أهل البيت (ع) عزاء وبكاء، لمناجاة رب العالمين، فهي أفضل فرصة، إذ العاطفة تحركت، وجرت الدمعة على مصيبة الإمام (ع).. فهذه الدمعة الولائية، حولها إلى دمعة توحيدية، فهذه الدمعة كانت في مصيبة الإمام (ع)، فحاول أن تجعلها في مصيبة نفسك، بأن تعيش حالة التقصير، وأنت العاصي المقصر، وأدم هذه الحالة البكائية في هذا الوادي الآخر.

### س2/ ما هي العوامل الأساسية، لإيجاد هذا القلب العاطفي المتفاعل والمتأثر شعوريا لأهل البيت (ع)؟..

إن الإنسان الذي يريد أن يكون عاطفيا، مع من يحب، فأول خطوة لابد أن يكون مطيعا، لهذا الذي أحبه، قال تعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}**.

هناك نظرية تقول: إن الذي يعاني في حب الحبيب، يترسخ حبه.. إن الإنسان عندما يحب الله تعالى، ثم يعذب في سجون الظالمين لطاعته لله تعالى، ولدعوته إلى الله تعالى، فإنه عندما يخرج من السجن، يرى في قلبه حبا جما مضاعفا.. إن الإنسان الذي يتجشم الغناء في طاعة الله تعالى ورسوله (ص)، كما كان في أيام قديمة لما كانوا يذهبون لزيارة الحسين (ع)، كانت تقطع الأيدي والأرجل في سبيل الزيارة، أو يتحملون الأذى، حتى هذه الأيام هناك أذى في الزيارة.. فعندما يمشي إلى مقام الإمام (ع) مسافات، ويتحمل ما يتحمل، فإنه عندما يصل لا يجد حلاوة فقط، وإنما يجد حبا مضاعفا في قلبه.. لأن تحمل المشاق في سبيل الوصول إلى المحبوب، لمن موجبات ترسيخ محبة ذلك المحبوب.

### س3/ كيف يمكن استصحاب حالة التفاعل والتأثر العاطفي المتميزة، التي تكون في الأماكن والمشاهد المقدسة، خارج هذه الأماكن؟..

إن هذا الأمر ممكن، ولكنه يحتاج إلى جهد مضاعف.. وينبغي أن لا ننسى أن ما نراه من التفاعل والبركات المعنوية، حول البيت، وفي الحائر، وفي المشاهد، وفي الروضة؛ فهذا من موجبات الضيافة.. لو أن إنسانا جائعا، وذهب إلى أحد المطاعم، فلأن المطعم هو مكان للإطعام، فيعطى طعاما.. فهو إذا خرج من المشهد، فقد انتهت الضيافة، ولا بد أن يبحث عن معاملة ثانية..

وإن الفخر كل الفخر، أن يصل الإنسان إلى درجة يستجلب هذه الضيافة، وهذه العناية، خارج الموسم، وخارج المكان.. هو خارج الحج، وخارج محرم وصفر، وخارج مكة والمدينة والمشاهد، وهو في بيته، فكيف يستنزل هذه الرحمة أو هذه النظرة؟..

إن هذا يحتاج إلى عمل دؤوب على النفس.. هو عندما زار المعصوم، أو زار البيت الحرام، فزيارته هذه أوجدت أرضية لتلقي الفيض، فهو بإمكانه أن يقوم بتهيئة هذه الأرضية من دون زيارة، عن طريق المناجاة القلبية، وعن طريق إبداء الحب الباطني..

ولهذا نحن نلاحظ في زيارات النبي (ص)، هناك زيارة من قرب، داخل الروضة.. وزيارة من بعد، وأنت على جبال الهملايا مثلا.. فما دام هناك زيارة من بعد، بمعنى التفاعل الشعوري، والالتفات إلى المزور، فإن العناية التي تعطاها في الروضة، تعطاها وأنت في القطب الشمالي مثلا، ما دمت أنت متوجها إلى رسول الله (ص).. فإن المؤمن له قدرة على تجاوز المكان والزمان، وهذا نتيجة المجاهدة لسنوات طويلة.

#### س4/ هل للتفاعل مع مصيبة سيد الشهداء (ع) بالخصوص، تأثير على الحركة الروحية؟..

بلا شك!.. لأن قضية سيد الشهداء خرقت القوانين.. فكل الطاعات الجزاء عليها له عداد، إلا إذا كانت هذه الطاعات مرتبطة بسيد الشهداء (ع).. فكما أنه هو قدم كل ما عنده، فكذلك كأن قضية الجزاء لما يرتبط به تخرج عن الموازين.. ولكن كل شيء له حساب، وله موجب، ولا نريد أن نكسر القواعد العامة..

الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء، قدم كل ما عنده، من النساء، من الطفل الرضيع، والشاب والكبير، حتى الخاتم الذي كان بيده سلب يوم عاشوراء، أوذي حيا وسلب شهيدا.. هو وهب كل ما عنده، فلو أن الله تعالى أباح جنته للإمام، وأعطاه ما أعطاه من الملك، لكان الأمر في محله.. فلو أعطي كل ما فيه نعيم الله تعالى، وقيل للإمام أنت قسيم الجنة والنار كأبيك المرتضى، لما كان الأمر غريبا.

فعلية، إن الذي يريد القرب من رب العالمين، فإن سيد الشهداء من الأبواب الكبرى: **(كلهم سفينة النجاة، وسفينة الحسين أسرع.. وكلهم أبواب الهدى، وباب الحسين أوسع)**.. فالذي يريد اختصار المسافات القريبة، عليه أن يقوي علاقته بالإمام (ع).. وبعبارة أخرى، بإمكانك أن تقول للإمام (ع): يا مولاي!.. أفض علي، مما أفاض الله تعالى عليك من المقامات.. فالذي وصل المقامات من خلال الصيام في الصيف، والقيام في الشتاء، فإنه بنظرة حسينية وولائية، من الممكن أن يعطى هذا المقامات بعينها، تفضلا وتكرما.

يحتاج العبد إلى محطات عبادية متميزة في كل عام، متمثلاً بالحج، والعمرة، أو زيارة إحدى المشاهد المشرفة، إذ فيها خروج عن المألوف من الحياة المادية، إضافة إلى التعرض للنفحات المركزة في تلك المشاهد.. ولكن هذه الأجواء العبادية المباركة تعطي ثمارها الكاملة، عند الالتزام بشروطها كأية عبادة أخرى، فالتقصير في المعرفة النظرية لأصحاب تلك البقاع الطاهرة، أضف إلى الغفلة العملية أثناء التواجد في تلك المشاهد، مما يوجب الحرمان من الفيوضات المتاحة لمستنزلي الفيض.

### س1/ كيف يمكن الجمع بين التفاعل العاطفي والتفاعل النظري، في مشاهد أهل البيت (ع)؟..

في حلقة سابقة كانت لنا محطة، تكلمنا فيها فيما يتعلق بجانب الارتباط العاطفي، بأئمة أهل البيت (ع)، وفي هذه الحلقة سنركز الكلام فيما يتعلق بمشاهدهم وزيارتهم.. لأنه لا يخلو مؤمن من المؤمنين في هذه الأيام، إلا وله في السنة-على الأقل- زيارة أو زيارتان، لهذه المشاهد المباركة.

إن الذي ينكر تأثير هذه المشاهد في الربط العاطفي والنظري، فإنه بجانب للحقيقة.. كما أن الله تعالى جعل البركات في الحج والعمرة، لتقوية الجانب التوحيدي، وأمرنا بزيارة النبي (ص) ومسجده، للربط الرسالي بالنبي وآله (ص).. كذلك فإن زيارة المشاهد لها دور كبير في ترسيخ الجانب الروحي في الإنسان، وخاصة إذا كانت الزيارة مقترنة بحالة من حالات الاعتكاف، ولم يكن الغالب على سفرته للزيارة الجانب السياحي، والانشغال بأمور الدنيا.. نحن لا نقول بعدم اصطحاب الأهل والولد، فهذا لا بأس به، بل إنه من موجبات البركة.. ولكن من المناسب بين وقت وآخر أن ينوع المؤمن في الزيارة، فمرة يجعل له زيارة مع العائلة، وأخرى زيارة فردية.. فهو عندما يذهب-مثلاً- للعمرة منفرداً، فإنه قد يعيش بعض المشاعر، التي لا يعيشها عندما يذهب مع القوافل في جو جماعي، والذي قد يكون مشغلاً وملهياً..

إن الذي يشد الرحال للزيارة، بنية الاعتكاف، كأنه يقول: يا رب!.. أنا أريد أن أخلو معك، في سفري هذا.. لا أريد أن يشغلني عنك شاغل!.. لا أريد أحداً غيرك!.. لا أريد أنسا إلا أنس قريك!..  
وكم هو جميل أن يوفق الإنسان للخلوة الروحية، في هذه الأماكن المقدسة، وينقطع عن الخلق مع الحق: صلاة، ودعاء، وزيارة..

ثم إنه من الفرص المناسبة، المكث في المشاهد-وخاصة عند قبر المعصوم، وخاصة عند الرأس الشريف، أو تحت قبة ذلك الإمام المعصوم- لمراقبة مجمل مسير الحياة العام: (رحم الله من علم من أين، وفي أين، وإلى أين!).. فالإنسان في وطنه وهو على فراش النوم أو في مكتبه مثلاً، قد لا يوفق لتقييم مساره العام، خلال المراقبة اليومية: هو إلى أين وصل؟.. ما وزنه في العبودية؟.. شبابه فيم أنفق؟.. عمره فيم أبلاه؟.. ما مستوى رقيه الباطني والفكري؟.. ولكن عندما يكون عند البيت، أو في الروضة، أو في المشاهد، فإن هذه فرصة ذهبية للتقييم العام، لأن الصفاء الموجود متميز.

بالإضافة إلى أنه يمكنك وأنت في حضرة المعصوم، طلب المدد.. فهؤلاء أحياء يرزقون، وهم أئمة الشهداء.. فما المانع أن تقول: يا رسول الله!.. سل الله تعالى أن يلهمني من أنا، وإلى أين وصلت، وما هي عيوبي.. ورد في حديث عن النبي (ص): **(إذا أراد الله بعبد خيرا، زهده في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصره بعيوب نفسه)..** فما المانع أن تقول: يا رب!.. بصرنى بعيوبي.. وإن الرب-لو أراد- له طرقه في أن يبصرك.

إن الذي يريد أن يزور النبي (ص) وأهل بيت النبي (ع)، فقبل أن يذهب إلى المشهد، من المناسب جدا أن يأخذ دورة فكرية، حول ذلك المعصوم، قراءة لسيرته ومواقفه.. ومن المتعارف هذه الأيام عند البعض من هواة السياحة والسفر إلى الدول الأوروبية مثلا، أن يراجع معالم البلد، وخصوصيات البلد، ومساحة البلد.. ولكن كيف يكون من المؤمن أن يزور الإمام الرضا (ع)، وهو لا يعلم شيئا عن سيرته؟!.. لماذا ذهب إلى أرض خراسان؟!.. ما الذي جاء به هناك؟!.. ولا يعلم كلماته الحكمية، وأخلاقه، وتعامله مع من حوله!..

إن من المناسب جدا أن يصطحب معه في زيارة سامراء مثلا، كتابا حول حياة الإمام الهادي والعسكري (ع).. وفي ضمن موسوعة (بحار الأنوار) هناك مجلدات حول حياة المعصومين من النبي الأعظم (ص) إلى الإمام المهدي (ع)، أو كتاب (كشف الغمة) أيضا فيه ذكر المعصومين جميعا، أو كتاب (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) للمحدث القمي.. إن من المناسب أن يكون الإنسان معه شيئا، من سيرة ذلك الإمام المزور.

وكم من الجميل في ساعات الاستراحة في الحرم، وهو في حائر الحسين - إذا كان الإنسان عنده حالة من حالات الإدبار، فلا يقرأ القرآن، ولا يصلي - أن يقرأ سيرة الإمام وهو بجانبه.. فبالإضافة إلى الجانب التفاعلي، فأنت عندما تقرأ سيرة المعصوم وأنت بجواره وملاصقا له، وفي حضرته، ثم تزوره؛ فإن هذه الزيارة ستكون فيها مسحة تفاعلية زيادة، عما لو زرته وأنت جاهل بسيرته.

**س2/ إن الملاحظ أن للزائرين للمشاهد المقدسة درجات متفاوتة، في تلقي العطاء من المعصوم المزور.. فلماذا هذا التفاوت؟..**

كما قال أمير المؤمنين علي (ع): **(القلوب أوعية، وخيرها أوعاها)..** إن الزيارة القلبية ليست كالزيارة البدنية واحدة للجميع، فكل زائر يدخل ببذنه عند المعصوم، سواء كان وليا، أو إنسانا عاصيا.. فإن الزيارة القلبية، تتوقف على سعة الإناء، بأن يكون الإنسان له قلب ذاك، وله بعد عاطفي مميز، ومراقب.. كبعض الناس الذي يدخل إلى المشهد، ويخرج من المشهد، وإلى أن يصل إلى المنزل، وهو يعيش حالة واحدة.. بل هو عندما خرج من المنزل من وطنه - لا من محل إقامته - كان يعيش حالة من حالات الذكر المستمر والمراقبة.. فمثل ذلك الإنسان المراقب، لا شك أنه غير البعض الذي بمجرد أن يخرج من باب الحرم الشريف، وإذا به يضحك ويمرح ويقهقه، وقد يغتاب ويقول ما لا يحسن قوله..

فالذي له مراقبة متصلة في بلده، وفي منزله، وفي الطريق إلى المنزل، وفي السفر، وفي محل إقامته، وفي الطريق إلى الزيارة.. فإن هذا لا شك أنه يعطى من العطاء ما لا يعطى ذلك الذي يدخل الحرم، وهو يعيش حالة السهو والغفلة.

### س3/ ما هي علامة قبول الزيارة، للمشاهد المشرفة؟..

إن علامة القبول ليس توقع مناما طريفا، ولا توقع إجابة الدعوة.. فإجابة الدعوات ليست بالضرورة أنها من علامات القبول.. فمثلا: إذا زار إنسان الإمام المجتبي (ع)-المعروف بأنه كريم أهل البيت (ع)- في البقيع، والتجأ إليه في قضاء حاجة ملحة له، في شفاء ولده مثلا؛ فرب العالمين-ببركة الإمام (ع)- من الممكن أن يعطي هذا الإنسان الحاجة، ولكن القبول معنى آخر.. القبول أن يصبح الإنسان مرضيا عند المزور، لا مقضي الحوائج.. فهناك فرق بين الإنسان مقضي الحوائج، وبين الإنسان المقبول.

وإن من أهم علامات القبول، هو التغير الجوهرى.. فمثلا: إنسان كان مبتلى بالحدة، وذهب للزيارة، ولما رجع وجد نفسه إنسانا هادئ المزاج..

أو إنسان كان يعاني في المجاهدة مع شهوة النساء، فكان يجاهد ومرة ينجح ومرة يفشل، ولما رجع من الزيارة، صار لا يرى إغراء في نفسه.. وإن الشاب إذا وصل إلى مرحلة أنه لا يغرى بالحرام، فإنه تقريبا دخل عالم العدالة العالية، أو العصمة النازلة.

فإن، إن الذي يرى زهدا في الحرام، وزهدا في الدنيا، وهدوءا في المزاج، وسرعة لتلقي المعلومات.. كان يقرأ الرسالة العملية فلا يحفظ، وينسى، ويصعب عليه الفهم، ولما رجع من الزيارة، صار تلقية للمعلومات بشكل سلس وأقوى، فهذا علامة من علامات القبول.. وإن شاء الله تعالى، الكل يعطى هذه العلامة، بمنه وكرمه.

## 27. كتمان الحالات

كتمان الحالات الروحية المتميزة عن عامة الخلق، من دواعي إبقاء تلك الحالات، إضافة إلى تجنب صاحبها من آفة الرياء المقترن بالعمل، أو العجب اللاحق للعمل وكلاهما من محبطات الأجر.. ولا ينبغي الخروج عن قاعدة الكتمان إلا في ظروف استثنائية: كإخبار ذوي البصيرة في شؤون النفس وتقلباتها، أو تشجيع طالبي الكمال بذكر بعض التجارب المشجعة في هذا المجال.

س1/ إن من النصائح التي توجه للسالك، ضرورة لزوم كتمان الحالات.. فهل المطلوب الكتمان عن الغير بشكل مطلق، أم أن هناك استثناءات؟..

إن الدافع والمرجح لكتمان الحالات، هو خوف الإنسان من الوقوع في المطبات المهلكة، كالوقوع في الرياء، أو شبهة طلب منزلة من منازل الدنيا عند الغير، أو العجب بالنفس وإن لم يكن يطلب شيئاً من الغير..

إلا إذا كان الإبداء، من أجل تصحيح الحالة، أو تقييم الحالة، أو من باب الشكوى إلى من له الخبرة في هذا المجال.. وهم الأقلون عدداً في هذه الأيام، فينبغي الحذر من المدعين والمتطفلين والمتشبهين، أو كما يعبر عنهم في الروايات بقطاع الطرق إلى الله تعالى..

فإذا كان الإنسان المقصود للشكوى، ينظر بنور الله تعالى، ولا يبتغي إلا رضا الله تعالى في تقييمه، فإن مراجعته أمر راجح.. فمراجعة أهل الخبرة، لها من الضرورة في عالم الأنفس، كضرورة مراجعة الأطباء في عالم الأبدان، للخلاص من الآفات.

فعلى سبيل المثال: إن أغلب الذين يمشون في أوائل الطريق، أول ما تنتابهم من الحالات، حالة التثاقل من المخلوقين، وحب التقوقع والعزلة عن الناس، وهذه ظاهرة مطردة.. إن هذه الحالة قد تكون مرضية شيطانية، وقد تكون رحمانية.. فقد تكون رحمانية، من باب أن العزلة ضرورية للسالك في أول الطريق، لتقوية علاقته بربه، والتلذذ في الحديث معه، وإن رب العالمين يزدهد في معاشرته الناس لذلك.. وقد تكون شيطانية، للفرار وترك الواجبات الاجتماعية..

فعليه، لتشخيص هذه الحالة، أنها شيطانية، أو رحمانية؟.. أنها مقدمة لتكامل، أو مقدمة لتسافل؟.. لا بد من مراجعة أهل الحل والعقد، والخبراء في هذا المجال.

س2/ إن التوفيقات الإلهية للسالك: عبادة، أو عملاً صالحاً، لا شك أنها توجب حالة الارتياح.. ولكن كيف يمكن التفريق بين حالة الارتياح التي تصاحب العمل، وبين حالة العجب؟..

**العجب هو:** أن يعيش الإنسان حالة في نفسه، بأن عمله مما يلفت النظر، ويعطيه وزناً مبالغاً، وكأن عمله الأكمل، وكأنه لا أحد مثله في هذه القدرة، وكأنه وصل غاية الكمال، غافلاً عن القبول الإلهي لعمله هذا!..



والعجب لا خلاف في أنه مذموم، فهو من قبيل الالتفات للنفس لا للرب، والانشغال بالنعمة عن المنعم.. ومن هنا هو يعد من الآفات الصادة عن الطريق، ومن المحبطات للعمل، ومزيل للنعم، ومن موجبات عدم القبول الإلهي.. وكفى بالأخير خسرانا، لأنه لن يرى أثرا لجهد هذا!.. **{وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}**.

**أما الارتياح فهو:** حالة في النفس، توجب للإنسان الاطمئنان برضا الرب عنه، فيما يقوم به من عمل، وتحفزه ليشد الهمة أكثر، ويواصل قدما إلى الإمام.. والارتياح يدخل في باب قوله تعالى: **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}**..

فبعض الناس بعد فترة من السير والمجاهدة، والمحاسبة الدقيقة، يشك في قابلياته، هل أنه أهل لأن يكون من السائرين إلى الله تعالى أم لا؟.. وهذه الحالة من الشك في القابلية، لا شك أنها من موجبات الإحباط، وقد تؤخر السالك في حركته إلى الله تعالى..

ولكن هو عندما يرى التوفيقات الإلهية، فإنه يرتاح، من باب أن الله تعالى أعطاه إشارة غيبية، لا من باب أنه يعول عليها.. فمثله مثل إنسان واقف عند باب، وأخذ يطرق ويترق حتى كاد أن ييأس، وإذا بالباب يفتح.. فانفتاح الباب لا يثير العجب، لأنه ما يزال خارجا لم يدخل؛ ولكنه يثير الارتياح، لأنه مقدمة للدخول.

وعليه، فإن بعض ما يراه الإنسان من التوفيقات، هو بمثابة التشجيع، وإعطاء الأمل لتحقيق وبلوغ المراد في المستقبل، وأنه على الطريق الصحيح، وإحساسه بحالة من حالات الارتضاء الإلهي.

ومن المناسب أن يطلب الإنسان من ربه علامة.. فهذا نبي الله إبراهيم (ع)، مع أنه خليل الله تعالى، وله ما له من المزايا، مع ذلك نلاحظ أنه طلب من الله تعالى علامة توجب له الاطمئنان، كما قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}**..

والمؤمن ليس بأقل من هذا المستوى؛ فليطلب من الله تعالى أن يريه بعض العلامات والإشارات، التي توجب له حالة الاطمئنان، بأنه دخل دائرة الجاذبية الإلهية.

س3/ إن السالك بعد فترة من المجاهدة، قد يعطى بعض المشجعات الغيبية.. فما هو الموقف الصحيح تجاه ذلك؟.. **إن مزايا عالم الغيب على قسمين:**

**التجليات الأنفسية:** وهي ما يراه السالك من حالة الارتياح، والاطمئنان، والثقة بالنفس..

**والتجليات الآفاقية:** فقد يتفق أن السالك يرى بعض الأمور الغيبية حتى المادية، على نحو تجليات نورية وغيرها.. ولكن لا بد من التثبت، لأن عالم الوهم والخيال، أيضا واسع في هذا المجال.

وبشكل عام ومختصر، بالنسبة لهذه المشجعات، نقول: ينبغي للمؤمن عدم التعويل على هذه الأمور..

وبعبارة أخرى، كما قلنا حول بركات المشاهد بأن المؤمن لا يغتر بهذه البركات، لأنها من لوازم المشهد، من لوازم الكعبة والروضة، من لوازم الضيافة، وهذه الضيافة مؤقتة، ما دام المؤمن في المكان المقدس.. كذلك نقول: إن بعض الهبات الغيبية، هي من لوازم الذكر الإلهي الكثير.. فمن قرأ سورة الحمد ألف مرة مثلا، في أيام، فإن هذا العمل له أثر، وله نور، ومن الممكن أن يرى بعض الآثار المادية.. ولكن هذا أثر العمل لا أثر العامل، هذا أثر الذكر لا أثر الذاكر..

فعليه، إن المؤمن إذا عمل عملا، ورأى الامتيازات؛ فلا ينبغي أن يغتر بذلك.. فمثلا: من المعلوم أن قراءة سورة الحمد سبعين مرة على المريض، من موجبات الشفاء.. فإذا قرأها وشفى المريض بعدها، فلا يجعل ذلك في خاتمه هو، بل إن هذا في خاتمة الحمد، وفي خاتمة القرآن الكريم.. فالاستشفاء بالقرآن الكريم أمر وارد، إذ رب العالمين جعل فيه الشفاء، وإن هو جرى على لسانه، وقد يكون عاصيا قبل الاستشفاء وبعد الاستشفاء، فلا ينبغي الخلط بين العالمين.

مراجعة سير الصالحين- وخاصة المتأخرين منهم- في العصور القريبة، يمنح العبد الأمل المشرق، وخاصة مع بداية حالات اليأس.. لأن هؤلاء الصالحين شقوا دروبهم في ظروف مشابهة، من حيث المقتضيات والموانع.. ولا شك أنهم حجج على باقي العباد يوم القيامة، لنلا تبقى حجة للمتذرعين: بجبر البيئة، ومقتضى الزمان، وغلبة الأقران.

فالبعض يعفي نفسه من التأسى بالمعصوم (ع)، بدعوة استحالة التأسى بهم؛ فليتأس بمن يشترك معهم في الصفات البشرية المشتركة!.

س1/ إن من الأمور الموجهة للسالك، والمشجعة له في السير، الاطلاع على سير الصالحين والافتداء بهم.. ولكن ألا يخشى من ذلك، الصنمية والتعبد بقول الغير، وخاصة مع عدم العصمة?..

نحن عندما نقول بالافتداء بسير الصالحين، فنعني بذلك، الافتداء بهم بعد أن تثبتنا أن سيرتهم موافقة لما جاءت به الشريعة، ونحن لسنا في مقام أخذ أصل التشريع منهم..

مثلا: إن من الصفات التي يحسن بالمؤمن التحلي بها صفة الزهد، وهي صفة أخذت من الشريعة، من الكتاب والسنة.. فإذا أردنا أن نعرف معنى هذه الصفة، وكيف أن البعض لا يملكه شيئا، وهو يملك كل شيء، فإننا عندما نرى تاجرا له ما له من الأموال، وهو متعال عنها، غير أسير لها؛ فإن رؤيتنا لهذا المعنى في حياته، درس عملي لنا، ومشجع لنا في أن نتأسى بهذه الصفة، التي وردت في الكتاب والسنة.. وبعبارة أخرى، نحن نبحث عن المصاديق للأوامر الشرعية، لا أننا نوجد أمرا شرعيا، وإنما من باب (اعرف الحق تعرف أهله)..

إن الافتداء العملي بسير الصالحين، غير التقليد للمجتهد الأعلم العادل.. لأن ما يقوله المجتهد ينطقه عن الله تعالى، بمعنى من المعاني؛ فهو حجة الإمام علينا، والإمام (ع) حجة على الأمة، وعلم الإمام (ع) موصول بالسماء عبر النبي المصطفى (ص).. فإذاً، إذا كان الإفتداء بهذا المعنى، فلا يخشى من الصنمية..

ولكن ينبغي الانتفات، والافتداء بالصفات الحسنة فقط!.. فإن البعض عندما يعجب بإنسان في جهة من الجهات، مثلا: يعجب بحلمه، أو بصبره، أو بزهده، سواء كان هذا الإنسان عالما اصطلاحيا، أو كان من عامة الأمة، فإنه يتعدى من صفاته الإيجابية إلى باقي الصفات، فيأخذ حتى الصفات السلبية الأخرى!..

إن الكثير من الزاهدين، والعابدين، وأهل الملكات الطيبة، وأصحاب العبادات الكثيرة، والتجليات والحالات الروحية، يميلون إلى التفوق، والابتعاد عن النشاط الاجتماعي؛ لأن هؤلاء لا شعوريا، تصبح عندهم حالة من احتقار الناس.. ونلاحظ أن الذي ليس له هذا الخط، من البعد الروحي والعاطفي، له ما له من النشاط.. وذاك الذي له هذا البعد الجيد، ليس له ذلك النشاط..

فالمؤمن الحاذق اللبيب الفطن، يأخذ من المقتدى به الجهة الإيجابية، ولا يعطيه الدرجات الكاملة في كل المواد.. إن المؤمن مثله مثل النحلة، يأخذ من كل زهرة رحيقها.. والمؤمنون بمثابة الزهور، وأزهار المؤمنين عادة فيها شيئا من الأشواك، وذلك من لوازم عدم العصمة؛ فترى مؤمنا متميزا في كل الأخلاقيات، إلا أنه حاد المزاج.. ومن هنا ينبغي للمؤمن، أن يحاول أن يفرق بين الذات، وبين الصفات؛ فالصفات يأخذها، ولكن الذات ما دامت ذات غير

معصومة، فإن هذا الإنسان ممن تنطبق عليه الرواية: (إياك!.. أن تنصب رجلا دون الحجة، فتصدقه في كل ما يقول).

س2/ إن الملاحظ في هذا العصر، قلة المتميزين من الرجال والنساء، رغم انتشار وسائل الثقافة بدرجة كبيرة، لم تعهد سابقا.. فما هو السبب في ذلك?..

إن من المعلوم أنه لا تلازم بين انتشار الإنترنت والفضائيات، وبين التميز؛ لأن هذه الأجهزة الحديثة، مثلها مثل الكتب قديما.. والقرآن الكريم في سورة الجمعة يعبر تعبيرا لاذعا، عندما يقول: **لَمَثَلِ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**.. الذي لا يعمل بعلمه، مثله مثل الحمار يحمل أسفارا!.. والآن بدل الأسفار، الفضائيات، والإنترنت!..

ففي يوم من الأيام لم يكن هناك تلازم بين الثقافة والعمل، إنما هنالك وسيط، أو حلقة مفقودة بين الثقافة والعمل، وهي الإرادة، بأن نريد أن نعمل بما علمناه.. فهذه الإرادة مرتبطة بعالم الفؤاد، والفؤاد عندما يريد، فما في عالم الذهن، يتحول إلى عالم الجوارح.. أي أن عندنا ثلاثة عوالم: عالم الجوارح، وعالم المدركات، وعالم الجوانح.. فالمدرِك إذا دخل الجانحة، وتغلف بغلاف الإرادة، فغندئذ يتحقق عندنا المراد في عالم الجوارح.

فإذن، إن عدم وجود التميز، لأن الإرادة غير متحققة.. ولهذا فإن أزمة الساقطين أو المتساقطين في هذه الحياة، ليست أزمة الجهل، وإنما أزمة ضعف الإرادة.. فمن أراد التميز، لا بد أن يكون طائرا بجناحين: الثقافة، والإرادة.

وإن الأوامر الشرعية: كالصيام، والحج، والزكاة، إن هذه أمور-تقريبا- على خلاف المزاج، وتقوي الإرادة.. فمثلا: أن يدفع الإنسان خمس ماله، أمر يحتاج إلى إرادة، وقهر لذاته المحبة للمال.. وكذلك أن يصوم الإنسان عن الملذات، أو أن يتحمل المشقة في الحج.. فالذي يعمل بمجمل أوامر الشريعة، فإنه يرجى أن يصل إلى هذه الدرجة، من الإرادة المتميزة؛ والإرادة المتميزة، تستوجب الأعمال المتميزة أيضا.

س3/ إن الملاحظ أن أغلب المتميزين على مر العصور، هم الرجال دون النساء.. فما هو سر قلة المتميزات من النساء?..

أولا ليست عندنا إحصائيات منذ أن خلق الله تعالى آدم إلى الآن، في هذا المجال!.. إن الرجال-وخاصة العلماء- تميزهم يظهر، باعتبار رجولتهم.. ولكن المرأة بحكم الأنوثة، والحواجز الشرعية، كما يتبين في الأمر الإلهي من قوله تعالى: **{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}**؛ ليس بإمكانها أن تبرز كل قابليتها كالرجال.. وإلا قطعاً هنالك شريحة كبيرة من النساء المتميزات.. ومن الممكن هذا الحكم بقلة المتميزات، هو لعدم علمنا نحن بهن.

ولكن أيضا لا ننكر هذه الحقيقة: إن النساء رغم تفرغهن، ورغم وجودهن في بيئة محافظة بشكل عام، واستمتاعهن بمزايا كثيرة، منها-كما ورد- أن **(الجنة تحت أقدام الأمهات)**.. ولكن لا نلاحظ كثرة المتميزات؛ لغلبة الجانب العاطفي، والتبرم من عدم الوصول، والاستعجال في قطف الثمار، والجلوس مع الغافلات من المجتمع النسائي، والالتهاؤ بالحلي والحلل وأثاث المنزل... فطبيعة المرأة أن شغلها مع الجزئيات، والمفردات، أو كما يقال في علم

الأخلاق (بعالم الكثرات)، أي الأمور المتنوعة الصغيرة.. والرجل عادة لا يبالى بأمر البيت والمطبخ والأثاث، وشؤون الأولاد الجزئية وغيرها.. فانشغال المرأة بهذه الجزئيات، من الممكن أن يفقدها شيئاً من التركيز، في عالم الترقى الروحي.

تكثر موجبات الالتهاة في الحياة اليومية، سواء في مجال: المسكن والملبس والمأكل، يكتف الحجب على النفس، ويدفع العبد إلى حالة من اللاتركيز، في وقت يكون أحوج ما يكون فيه إلى التركيز، في تقربه إلى المولى المتعال.. إن الروايات المختلفة تؤكد على أن العبد في هذه الحياة، بمثابة ضيف حلّ بدار وهو يعلم بالرحيل عنها بعد حين.. فهل رأينا عاقلا ينشغل بتزيين دار، وهو يعلم أنه سيرحل عنها في أية لحظة، من دون سابق إنذار؟!..

س1/ في الوصية ورد ذكر تشبيه جميل للدنيا، يبين حقيقتها وواقع الحياة فيها.. نرجو توضيح هذا التشبيه؟.. إن هذا التشبيه مأخوذ من روايات أهل البيت (ع).. وروايات أهل البيت (ع) مليئة بمثل هذه التشبيهات، التي تبين واقع الحياة الدنيا، ومتاعها الزائل.. وقد ورد عن النبي الأكرم (ص) أنه يشبه الإنسان في هذه الدنيا، بمثابة إنسان استظل تحت ظل شجرة ساعة، ثم رحل عنها.. دخل عمر على رسول الله (ص)، وهو على حصير، قد أثر في جنبه، فقال: يا نبي الله!.. لو اتخذت فراشا.. فقال: (ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظلّ تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها).

إن الإنسان مثله في هذه الدنيا، كمسافر أقام في مكان مدة قصيرة، ثم ما يلبث أن يعود إلى وطنه.. لو أن إنسانا سافر للعمرة أو للزيارة، واستقر في سكن يقيم فيه مدة سفره.. لو رأيت هذا الإنسان متشاغلا بتزيين هذا السكن وصبغه، ماذا تحكم عليه؟!.. ألا تتهمه بفقد العقل؟!.. هو جاء لهذا المكان، لهدف يقوم به، والمدة قصيرة، يوم أو يومان، فكيف يضيع وقته في مثل هذا؟!.. وترى أصحابه يذهبون للطواف والزيارة، وهو لا يخرج من المكان الذي هو فيه، لأنه يريد أن يجمل مكانه!.. إن مثل هذا الإنسان، ألا يقال له: إن هذا سكن استراحة وتزود، لا سكن تمتع!.. وأنت إنما جئت لهذا المكان، لأداء مهمة، فأين أنت عن ما جئت لأجله؟!..

وعليه، لا ينبغي للمؤمن الانشغال بهذه الدار عن دار القرار، فإن (المؤمن يتزود، والكافر يتمتع).. وإن الذي ينظر إلى الحياة الدنيا بهذا المنظار، بأنها محطة استراحة وتزود؛ وأنها مزرعة للآخرة، وأن الإنسان لا يجمل مزرعته، بمقدار ما يتزود منها؛ إن الذي يرى هذا المثال في حياته واضحا، فإنه يتحول تلقائيا إلى إنسان مثابر، ومستعد لآخرفته.

ومن المناسب التأمل في هذه الآية: **{وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}**؛ فإنها تزعزع الإنسان من الأعماق!.. ولتوضيح معنى هذه الآية، يمكن تشبيه عمل الإنسان في الدنيا، بمثابة إنسان يمشي في الطريق، وبيده كيس فيه بذور، ويرمي هذه البذور خلفه.. فهذه البذور إذا نبتت لن تنفعه شيئا، لأنه تجاوز عنها.. ولكن لو أنه بعث البذور للأمام لتزرع، فإنه إذا وصل إليها سيجدها وقد صارت أشجارا، ينتفع بها.. هلا تأملنا هذا المعنى!.. إن هذا معنى التقديم لغدا!..

ولكن بعض الناس حركته حركة تأخير، لا حركة تقديم!.. فالإنسان الذي يعمل للدنيا، ثم يترك إرثه للغير، كأن هذا الإنسان ترك البذور خلفه.. فهو لما يكون في عالم البرزخ، فإن أمواله تكون في عالم الدنيا، والدنيا هي خلف البرزخ، وأتى به حينئذ الانتفاع بها؟..

بينما المؤمن عندما يذهب للبرزخ، فإنه يلتقي بأعماله الصالحة؛ وكأن الذي كان بيده في الدنيا رماه للأمام، وعندما وصل رآه أمامه حاضرا.. فالمؤمن يعمل بسياسة التقديم، لا بسياسة التأخير، وإن العاقل من يقدم ما يريد أمامه!.. فمن يستوعب حقيقة هذا المثال، فمن الطبيعي أن لا يتعامل مع الدنيا إلا بهذا المضمون الروائي: **(الدنيا دار ممر لا دار مقر، فخذوا من ممرها إلى مقرها).**

**س2/ إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا، مجبور ومجبور على التعامل مع عناصرها المختلفة.. فكيف يضمن المؤمن التعامل معها، بدون الانتهاء بها؟..**

إن التعامل مع الدنيا بدون التهاء، أمر في غاية الصعوبة!.. إن الإنسان مثله في التعامل مع الدنيا، مثل الناظر إلى المرأة المزينة بالنقوش الجمالية؛ إذ ينتهي بالنظر إليها، عن مقصوده بالنظر بها.. فرب العالمين أراد منا، أن ننظر بالدنيا، لا أن ننظر إلى الدنيا.. وإن الأمر يحتاج إلى التفات، وإلى مراقبة دقيقة، وأن يتعامل الإنسان مع الدنيا على نحو الآلة الموصلة للمقصود، لا على نحو الهدف..

مثلا: إن الطعام لا بد منه للإنسان، فإذا هو لم يأكل لن يعيش.. ومن المعلوم أن ساعات الجلوس على المائدة، هي ساعات كثيرة من العمر.. فلو جعلنا في اليوم ساعتين للطعام، لكانت هناك نسبة معتد بها، فجزء من اثني عشر جزء من أجزاء اليوم، وأنت في حال الأكل طوال العمر!..

فمن المناسب عندما يجلس الإنسان على المائدة ليأكل، أن يستحضر هذه النية، يقول: يا رب!.. أنا لست في مقام الانتهاء بالطعام، كالتهاء البهائم، لست كهؤلاء الذين ألحقهم بذك، إذ قلت: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}**.. أنا في مقام التقوي على عبادتك، فلولا الأكل، لما قدرت على أن أعبدك.. وكذلك لما يريد أن ينام، يقول: يا رب!.. لولا النوم هذه الليلة، لما أمكنني قيام الليل في ساعة السحر.. وهكذا المؤمن في كل حركة يقوم بها، يحاول أن يربطها بهدف مرضاة الله تعالى، ولا يقصدها لذاتها.. فالمؤمن ينظر إلى كل هذه العناصر الدنيوية، على أنها عناصر مساعدة لنيل المآرب الآخروية.

**س3/ هل أن التنوع في المتاع الدنيوية، والانشغال والتعلق الزائد بها، له تأثير في عدم تحقيق التكامل؟..**  
بلا شك!.. ولهذا نلاحظ أن المتميزين في هذا العصر قليلون، قياسا للسنوات السابقة.. فقبل قرون-كما نلاحظ- هنالك فطاحل، سواء في عالم التزكية، أو في عالم التعليم.. إن سعة الدنيا في هذه الأيام، وتنوع المتاع الدنيوي: في المأكول، والمشروب، والملبوس، والسكن، ووسائل الاتصال، ووسائل النقل؛ بالتأكيد إن لذلك التأثير البالغ، ومن موجبات عدم التميز.. إن هذه الأيام كل شيء في مد وفي تكامل مادي، والذي ينتهي بعناصر الدنيا، لا بد أن يختلف عن الذي كان يعيش في القرى، حيث بساطة العيش قبل عشرات السنين.. ويلاحظ هذا الفرق، من يذهب إلى بعض

القرى النائية، في أعالي الجبال، أو في بعض البلدان الفقيرة، حيث يستشعر شيئا من التحرر من وسائل المعيشة المتعارفة الآن.

ولهذا من المناسب أن يعود الإنسان نفسه على شيء من الخشونة والبساطة في العيش، وابتعد عن الترف والرفاهية الزائدة، وإن كان متمكنا من امتلاك النعيم.. نلاحظ أن بعض المؤمنين لا تقل ثروته عن كبار أهل الدنيا، ولكنه مع ذلك يحب أن يعيش البساطة في العيش، ولا يريد أن تكون له حالة البذخ، أو كما يعبر عنه بالحالة القارونية..

ثم إن الإنسان الذي يخفف من العناصر الدنيوية في حياته، لا شك أنه يريح نفسه من كثير من التعلقات، ويقوى عنده التركيز.. ولهذا تلاحظ هناك فرقا بين الصلاة في الأماكن الفاخرة، والصلاة في غرفة صغيرة، خالية من الأثاث والزينة.. فقلة العناصر، من موجبات التركيز، وحتى في عالم التفكير، ينصح الذي يريد أن يؤلف كتابا، أو يقدم رسالة علمية، أن يذهب إلى مكان خال من عناصر مشوشة من الزينة وغيرها.

فإذن، إن من موجبات التميز وسرعة السير، التخفف من متاع الدنيا، ليتخلص المؤمن من أنواع الملهيات، التي تصده عن الله تعالى.



### 30. الإكثار من القول

الإكثار من القول يعرض صاحبه للإكثار من الخطأ، وهو بدوره من موجبات قسوة القلب وموته أخيراً.. فالصمت عن ما لا يعني العبد، هو الحالة الطبيعية التي لا يؤاخذ عليها العبد، بينما الكلام يحتاج إلى دليل، وعندها يكتب العبد محسناً أو مسيئاً.. وليعلم أخيراً: أن موارد المواظبة على الكلام-يوم القيامة- لا تقاس بمراد المواظبة على الصمت.

س1/ إن البعض يرى أن الكلام الكثير، من موجبات تخفيف الاحتقان الباطني.. فهل هذا يعد مبرراً مقنعاً، للكلام الكثير؟..

إن هذه الوصية هي من الوصايا المهمة.. لأن من موجبات تأخر الكثيرين في تحقيق الأهداف المعنوية لهم، هو عدم مراقبة القول، والإكثار من القول: الحرام، والحلال الغير هادف.. فالكلام فيما لا يعني، ليس بالضرورة أن يكون حراماً، بل قد يكون مما لا نفع فيه.. والإنسان الذي يكثر من الكلام، فإنه لا يأمن من الوقوع في الزلل، كما قال أمير المؤمنين علي (ع): **(ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار).**

إن الذي يريد أن يخفف ما في الباطن من ضغوط، بالكلام الكثير-أو ما يعبر عنه عرفاً (بالفضفضة)- فليس هذا هو السبيل الصحيح!.. بل إن السبيل الوحيد، هو أن يرجع إلى من بيده مقاليد الأمور.. إن مشاكلنا إما هي مشاكل بدنية، أو نفسية، أو مالية.. أوليس رب العالمين من بيده خزائن السموات والأرض، وأمره بين الكاف والنون؟.. لماذا لا نجعل هذه (الفضفضة)، مع رب العالمين، الذي هو أرفأ بالعبد من كل أحد، وهو الأقدر على حل أزماته؟..

س2/ هل هناك علاقة وطيدة بين الصمت، والحكمة التي تلقى على العبد؟..

بلا شك!.. إن كان لكل دواء مكونات، فإن الصمت والجوع والسهر، هي من مكونات الحكمة الأساسية، فهي الأرضية، وبعد ذلك يأتي التفضل الإلهي.

إن الإكثار من الصمت، لمن موجبات أن يعيش الإنسان حالة من حالات التركيز الباطني.. فالإنسان وهو يتكلم مع أحد، لابد أن يلتفت إليه، وهذه الالتفاتة تأخذ من توجه الذات..

ولهذا فإن أولياء الله الصالحون عندما يتحدثون مع أحد، فهم من يمنون على الطرف المقابل.. فهم يرون أنفسهم في غنى عن الحديث مع الغير، بدعوى التخفيف عما في الباطن أو غيره، فهؤلاء لهم ما يشغلهم، وعندما يتحدثون يعطون شيئاً من جهدهم ومن ساعات أعمارهم الثمينة.. رأيت كيف أن البعض لو أعطى أحداً من ماله، ألا يعيش المنة في داخله؟.. كذلك الولي، فإنه عندما يتكلم مع أحد، وخاصة إذا كان الكلام طويلاً، يعتبر أنه قد أعطاه قطعة من وجوده.. ولهذا إذا أعطاه من وقته، فإنه لا يعطيه من الكلام إلا بمقدار الضرورة واللازم.

ولهذا إن المؤمن حذر من كثرة الزيارات، لأن الزيارات عادة تلازم الكلام الكثير.. فهو أولاً لا يزور إلا من يستحق، لئلا يتورط في الكلام الكثير.. وإذا زاره لا يطيل، بل يقتصر بالحد الأدنى.. فإن المؤمن حريص على وقته، أشد

الحرص، فالوقت الذي يضيع مع الجلوس اللاهاف مع الغير، هذا الوقت يمكن أن يعمل فيه الأعمال الكبرى، سواء عبادية: كالصلاة، وقراءة القرآن.. أو فكرية: كالتزود العلمي..

فإذن، إن المؤمن إذا أراد أن يعطى الحكمة، التي أعطيت للقمان، فإن من روافد حكمة لقمان-كما ورد في الروايات- هو كثرة الصمت.. ومن المعلوم أن صمت المؤمن، يختلف عن صمت المعقدين نفسيا، وقد ورد في الروايات هذا المضمون: **(إن المؤمن صموت، وإذا تكلم بذ القائلين)..** فهو كثير الصمت، ولكن إذا لزم الأمر لأن يتكلم، تفوق على كل أقرانه، لأنه يعيش حالة من حالات التعبئة الباطنية، أي يلقن الحكمة، فإذا تكلم تنفجر ينباع الحكمة، من قلبه على لسانه.

### س3/ ما هي الضوابط والموارد الصحيحة للصمت؟..

إن الصمت حركة من الحركات، التي لابد أن تنطبق مع الأوامر الإلهية.. فكما أن الكلام في غير محله ممنوع ومذموم، فالصمت في غير محله أيضا ممنوع ومذموم.. ومن مصاديق الصمت المذموم، ما يكون داخل الأسرة.. فإن كان ولا بد من الصمت، فلا ينبغي للمؤمن أن يطبق هذا على عائلته في أول الأمر، فليطبق على الأجانب.. لأن العائلة تحتاج إلى الموانسة بالحديث، والإرشاد والتوجيه.. وليس كما نلاحظ عند بعض النساء، التي يكون مقدار كلامها مع الزوج، لا يقاس بمقدار كلامها مع الصديقة مثلا!..

ومن هنا نعلم لماذا أن **(الساكت عن الحق شيطان أخرس)!**.. هو إنسان صامت، ولكن صمته هذا، يدخله النار!.. فلا بد أن نجعل الكلام والصمت في محله.. ونعلم كما أن الكلام حركة، والمتكلم له فعل، قد يكون حسنا وقد يكون سيئا.. فالصمت كذلك حركة، والصامت له فعل، قد يكون حسنا وقد يكون سيئا.. فالإنسان وإن كان هو صامتا، فقد يعد هذا الصمت مداهنة، أو إمضاء لمنكر، أو إهانة للجالس.. فمثلا: إذا كان إنسان مؤمن سأله سؤالا، فهو عندما يسكت ولا يتكلم، فكأنه يقول له: أنت لست في مستوى أن أتكلم معك!..

فعلية، لابد من الحذر أيضا من الصمت، لئلا يقع فيما يوجب له العقوبة الإلهية.

### س4/ لو أراد شخص كان مبتليا بكثرة الكلام وتوابعه من الوقوع في الزلل، أن يعود نفسه على الصمت.. فما هي الخطوات الأساسية لذلك؟..

أولا عليه قبل أن يتكلم أن يفكر فيما يريد قوله، لئلا يقع في المحذور.. وقد ورد عن الإمام علي (ع): **(لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه)..** فالعاقل لسانه تابع لقلبه، أي يفكر أولا ثم يتكلم.. بينما الأحمق قلبه متبوع للسانه، أي يتكلم ثم يفكر فيما قاله، هل كان صائبا أم لا!..

فالذي يريد أن يحترز من سلبيات الكلام، عليه أن يجيل الفكرة في ذهنه أولا: هل يقوله أم لا؟.. وبأي مقدار؟.. ومع من؟.. أي يدرس كل العناصر: الفكرة، والمتكلم، والمتكلم معه، والظرف، والزمان، والمكان؛ عندئذ إذا خرج بقرار أن ما أراد قوله مناسباً يتكلم، وإلا فلا..

وإن من المناسب أن نذكر هذه الحقيقة:

إن الالتزام بالصمت، لا ينافي كون الإنسان ودودا واجتماعيا.. فالمشكلة أن البعض يخلط بين المعنيين، فيرى بأن الإنسان إذا طال صمته، صار ثقيلًا على الغير، وإنسانا غير اجتماعي، ومنبوذا، وإن مثل هذا الإنسان لا يتحمل!.. والحال بأنه ليس دائما هكذا!.. فنحن عندما نراجع سيرة أئمتنا (ع)، نلاحظ بأنهم كانوا أكثر الخلق أنسا بالآخرين، مع التزامهم بالصمت.. فالإنسان المؤمن يتكلم بأسارير وجهه، وقد تكون ابتسامة من مؤمن حكيم، حلیم صموت، تغنيك عن الكلام الكثير!.. وهو ما يعبر عنه بالتأثير الأنفسي أو التأثير التكويني للمؤمن على الغير.. فالبعض يؤثر على الغير بمجرد وجوده، لا من خلال اللفظ..

لهذا من المناسب أن يسأل المؤمن ربه، أن يجعله كهؤلاء الأولياء، بأن يجعل له أنسا للخلق، بمجرد وجوده وإن هو كان ملتزما بالصمت.

**س5/ إن من الأمور التي يتمناها كل إنسان، أن تكون له خاصية التأثير بالقول.. فكيف يصل الإنسان إلى هذه الدرجة؟..**

إن هذه الخاصية مرتبطة بالصمت.. فالإنسان الذي يكتر من الصمت، ويشغل نفسه بالذكر بدل الثثرة، فإنه عندما يكون في أجواء الغافلين، ويلزم الأمر أن يتكلم، يكون رب العالمين وراء كلامه.. إن رب العالمين كما يعطي العباد الصالحين مودة القلوب، كما قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}**، أيضا يعطيه قوة التأثير في كلامه.. ولهذا نلاحظ أن بعض الخطباء والوعاظ، أنه عندما كان يخطب ويعظ، كان يبكي جميع من حوله.. ففوة التأثير في الكلام، هذه من مصاديق المباركة الإلهية للعباد الصالحين.

إن الأب الذي أعطي هذه الخاصية، كم يرتاح في تعامله مع أسرته!.. فإنه لن يحتاج إلى أن يفتح معارك مع زوجته أو مع أولاده، بل إنه قد تكفيه النظرة!.. وقد كان النبي (ص) إذا لم يعجبه شيئا، يعرض بوجهه، ولا يحتاج إلى كلام كثير.. وكان بهذه الحركة، يرجع الطرف المقابل إلى الصواب، وينقلب عن ما كان عليه.. كما قد ورد في رواية: إن النبي (ص) مر على أحدهم، فرأى ما لا يرضيه، وكان هذا الصحابي قد بنى بناء متميزا بحسب ذلك الزمان، فأعرض النبي (ص) بوجهه عنه، ولم يعامله كما هو معتاد.. فالصحابي أدرك أنه قد ارتكب خطأ، فهدم البناء الذي بناه.

أرأيت كيف كان يتعامل النبي (ص) مع أصحابه؟.. إن الذي يتعامل بهذه الطريقة، كم يريح نفسه من كثير من الغناء، في مواجهة الطرف المخطئ!.. فهو إذا كان حريصا على إرجاعه إلى الصواب، فإن هذه من موجبات النجاح لمقصوده، حتى في الدائرة الأسرية.

### 31. البرمجة الدقيقة

إن عصرنا يتسم بالتخطيط والبرمجة حتى في أبسط الأمور، ولكن عندما يصل الدور إلى تربية أئقء كيان في الوجود، نرى البعض يتوقع النتائج الباهرة، من خلال: الفوضى والتسيب وقلة البال وعدم الإصرار والمواصلة، وغيرها من المعاني التي تضاد البرمجة.. فأمر المؤمن (ع) عندما يوصي بنظم الأمر، يريد نظم الأمر بمعناه الشامل لكل فروع الحياة.

س1/ إن البرمجة في الشؤون الحياتية المادية، أمر ميسور.. ولكن كيف يمكن لنا أن نبرمج حياتنا

المعنوية؟..

إن البرمجة في الأمور الحياتية المادية، كبرمجة الإنسان لمنزله، أو شركته؛ هذا أمر ليس ميسورا.. ولكنه مناسب للمزاج الأولي، باعتبار أن الإنسان موجود مادي، والحياة أيضا حياة مادية.. فبرمجة المادة للمادة، أمر في دائرة الحدود الممكنة..

ولكن عندما تختلف النوعية: فالمبرمج إنسان محكوم بالأمور المادية، أي بالحواس الخمس؛ والمبرمج هي روحه الإلهية- هذه الروح التي نسبها رب العالمين إلى نفسه في خلقه آدم- فالأمر يكون فيه مخالفة للطبيعة الإنسانية التي تميل للمحسوسات المادية.. ومن هنا فإن برمجة العالم الباطني بأدوات غير باطنية، أمر صعب جدا.. وإن الذي يريد إصلاح الباطن، بأمر غير باطني، كمن يريد أن يجري عملية جراحية، لإنسان لا يراه!.. فإذا كان المريض غير مرئي، فكيف تُجرى له عملية جراحية؟!.. مثلا: إنسان يريد أن يستأصل الحسد من وجوده، وهذا أمر غير مرئي، والروح غير مرئية؛ فكيف يمكنه ذلك؟!.. فالأمر فيه شيء من الصعوبة!..

والحل: أن يترقى الإنسان، بأن يعيش شيئا من العوالم الباطنية، كمعاشته للعوالم المادية، فإن (من عرف نفسه، عرف ربه).. إن المؤمن باعتبار أن شغله مع بواطن الأمور، فهو في كل يوم يصلي، وصلاته ليست عبارة عن ركعات وهذه السجدة واستقبال القبلة، بل إن صلته معراج المؤمن، إن صلته ترق وعروج وانقطاع إلى عالم الغيب.. فهو في اليوم خمس مرات، يتمرن على الدخول في عالم الباطن، أو يتمرن على التحليق في أجواء المعراج العبادي الصلتي.. ولهذا فهو بعد فترة يصبح محترفا لهذا العالم، ولهذا الجو.. وكلما أراد أن يدخل في عالم المعنى وعالم الباطن، كان الأمر ميسورا لديه..

وعليه، فهو عندما يرى خلا باطنيا، فإنه يمكنه معالجته.. مثلا: رأى في باطنه أنه لما رأى أو سمع بنعمة على أحد، تأثر تأثرا سلبيا؛ فيعلم أن هذه بدايات الحسد.. ثم إنه لكونه يتعامل مع الغيب في اليوم خمس مرات، فإنه يسهل عليه التعامل مع هذا الغيب أيضا.. فرب العالمين غيب الغيوب، وروحه من الغيب النازل، وإن الذي ترقى للغيب الأعلى، فمن باب أولى أن الغيب الأسفل مقدور عليه، وفي سيطرته..

بخلاف غير المؤمن، الذين هم كما يعبر عنهم القرآن الكريم: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}**.. فغير المؤمن حياته حياة بهيمية، فعينه على المأكل والمشروب، والمشموم، إلى آخره.. ولهذا

هو لا يكاد يصدق أنه مبتلى بمرض باطني، وإذا صدق لا يمكنه العلاج-كما ذكرنا في المثال- لأنه مثله مثل من يريد أن يقوم بعملية جراحية لمريض لا يرى.

فإذن، إن المؤمن له القدرة على أن يبرمج باطنه، كما يبرمج ظاهره.

**س2/ إن مشكلة البرمجة أنها تحتاج إلى رصيد من الإرادة الجازمة.. فكيف نمتلك هذه الإرادة، لتحقيق الأهداف التي نخططها؟..**

إن المؤمن الملتزم له من خلال الممارسات العبادية، القدرة على أن يقول لنفسه: (لا).. وهذا هو الفرق بين المؤمن الملتزم، والمؤمن غير الملتزم!.. إذ أن لكل واجب هنالك مبطلات ونواقض ومحرمات، كتروك الإحرام في الحج، ومبطلات الصوم، ومبطلات الصلاة.. فالذي تعود على الالتزام بالأوامر الشرعية، فهو في كل خطوة يعيش نهيا، ويرى نهيا، أو يسمع ما ينهى عنه، وخاصة هذه الأيام حيث أن الفساد ظهر في البر والبحر والجو.. ولهذا فالمؤمن إذا أراد أن يقول: (لا) لنفسه، فلأنه تمرن تمرينا تدريجيا، فيسهل عليه هذا الأمر..

بمثابة الرياضي في النادي، فهذا يبدأ يمرن نفسه، فيحمل الثقل الصغير ثم الأكبر فالأكبر، إلى أن يصل لدرجة أنه يحمل ثقلا لا يحمله الآخرون.. ولكن هذه القدرة ما جاءت من الفراغ، وإنما مع الممارسة والتكرار، وصل إلى هذه القدرة، بأن يحمل الأشياء الثقيلة..

إن المؤمن له إرادات، بحسب المحرمات.. فهو كلما رأى حراما، قال: (لا) لنفسه.. وتكرار هذه العملية، توجب له هذه القوة، من أن يقول: (لا) لنفسه متى ما أراد.

**س3/ هنالك مقولة تردد دائما، وهي: (إن الله تعالى يربط على قلوب البعض).. فكيف يكون ذلك؟..**

إن الربط على القلوب، هذه حقيقة قرآنية.. ولها مصاديق متعددة، منها:

**حالة فراغ القلب والاطمئنان:**

ومثاله الواضح-غير الأنبياء- هي قضية أم موسى (ع).. فإن رب العالمين ربط على قلبها، بحيث كانت لها هذه الحالة، التي ذكرت في القرآن الكريم: **{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**.. وهناك كلام حول معنى فراغ قلبها، ومن المعاني: هو فراغ قلبها من كل هم وغم، نتيجة رميها لولدها في البحر.

**تزيين الصالحات والطاعات للعبد:**

إن رب العالمين إذا رأى عبده ساعيا، فإنه يحببه بطريقته إلى الطاعات، كما قال تعالى: **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ** الإيمان ورزقته في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون}{.. وإلا فإن الإنسان بطبعه الأولي متناقل إلى الأرض، ولا يميل إلى مخالفة الهوى.. ومن هنا نقول هذه الحقيقة المخيطة، وهي: إن الوصول إلى المقامات العليا في عالم الباطن، محض التفضل الإلهي، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**

وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.. ولكن هذا الفضل الإلهي له موجب، ولا يعطى جزافا، فالمؤمن عليه أن يهيب الأرضية، فإذا היא الأرضية، فإن رب العالمين يجتذبه ويلهمه.

### التسديد بالملك الملهم:

كما أن الله تعالى يقبض شيطانا للبعض، كما قال تعالى: {وَمَن يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}، فما المانع أن يقبض ملكا من ملائكته لبعض المؤمنين، يرافقه في حياته.. ومن المعلوم أن التفضل الإلهي أعظم من الانتقام، وسبقت رحمته غضبه.. ولكن المؤمن لا يرى شيئا، كالملائكة التي تنزل في ليالي القدر ونحن لا نراها.. بينما الملك المسدد يراه، كالملكين المحاسبين الكاتبين، اللذين يريان العبد المطيع والعاصي.. ما المانع أن الإنسان في مرحلة من مراحل حياته يصل إلى درجة، أن يكون معه ملكا مسددا، لا موحيا، فهذا الأمر خاص للأنبياء.. وهذا المعنى موجود في مضامين الروايات: (إن على الأذن الباطنية للمؤمن، ملك يسدده).. ولهذا نسمع أن كثيرا من المؤمنين يقول: أنه لما هم بأمر، فكأن هنالك من حدثه، وقال له: اترك هذا الأمر.. وقد يكون هذا الأمر مباحا، وتركه، وإذا به يعلم أن هذا المباح كان مقدمة للحرام.. وهذا معنى من معاني القول الوارد: (عرفت الله بنقض العزائم، وفسخ الهمم).. وهنينا لإنسان قبض له هذا الملك، فسوف يكون على الجادة المستقيمة!..

وإن الذي قد يستغرب هذا الأمر أو ينكره، فليتأمل: ما معنى أن نقرأ في سورة الحمد في كل يوم: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}؟.. ومن المعلوم أن الصراط المستقيم يكون في كل شيء، لا في أصل الإسلام.. وإن الذي يقول هذه العبارة، هو مسلم وورع وتقي، فما معنى قولها إذن؟.. بل حتى في ساعة الاحتضار، إن الإنسان يحتاج إلى الصراط المستقيم، فلأن يعرف كيف يتصرف في اللحظات الأخيرة من عمره، فهذا يحتاج إلى ملك مسدد وملهم، أن قل: هكذا في اللحظات الأخيرة.. أو اعمل هكذا في السنة الأخيرة.. ولهذا من الملاحظ أن من أحسن أشهر السنوات، هو شهر الموت، والذي لا يعلم هو متى.. فبعض الناس تراه تلقائيا ينتظم في حياته، ولا يضحك، وأخذ يدفع الحقوق الواجبة، ويصبح إنسانا ملتزما إلى درجة أنه يثير الاستغراب فيمن حوله، وإذا بهم يفاجأون بأنه قد مات بعدها مباشرة.

إن المؤمن يطلب من الله تعالى، أن يأخذ بيده في كل مراحل حياته.

## 32. الثمار المعجلة

قد يصادف العبد في سيره إلى الحق المتعال، بعض البركات الظاهرية المتصلة بعالم الغيب، وقد تكون هذه-إذا لم تكن وهما- بعض الثمار المعجلة؛ تشجيعا لصاحبه على السير.. إلا أن العبد الملتفت، عليه أن لا ينشغل بها، لأنها ليست من العبودية في شيء، فهمّ العبد أن يصلح ما بينه وبين ربه، ولا يهمله ما العطاء بعد ذلك.. إذ التدخل في شؤون الرب الحكيم، نوع من سوء الأدب الذي قد لا يغفر لصاحبه، وخاصة إذا كان في المراحل العليا من التكامل.

س1/ إن الملاحظ في أحاديثكم، التركيز على عدم الاعتناء بالهبات المعطاة.. ولكن كيف يمكن إنكار واقع التشجيع في دفع العبد إلى الأمام؟..

إن التركيز على بعض المفاهيم، لأن البعض لا يصدق بهذه الأمور أساسيا، لكونها غائبة عنه، لأنه لم ير إلا المحسوسات، والأمور المادية.. ولأن البعض وصل لهذا الأمور، ولكنه وقع في فخ الشيطان، وذلك في الانشغال بالهبات عن الواهب جل وعلا.

إن علينا أن نفرق بين الهوى المرضي والملائم للذات، وبين الهدى مراد المولى تعالى.. فإن البعض من أهل الدنيا مشغول بالمتع الزائلة، ومغرم بها.. ولكن البعض أيضا، ممن يطلب الآخرة، مشغول بالمتع الباطنية؛ ولكن لأن هذه المتع ليست مادية، فقد يغش نفسه، ويقول بأنه ليس من عشاق الهوى، بل من عشاق الهدى.. إن البعض يقصد هذه العوالم الغيبية، ويبحث عن المزايا الباطنية، ويريد انكشاف الأمور، ويريد معرفة رموز العالم، ويريد معرفة الأسرار في الطبيعة، ويريد معرفة ما في نفوس الناس، ويريد أن يجري على يديه شفاء المرضى.. إن البعض يجعل هذه الأمور من الأهداف، ويخلط بين هواه الذاتي، ومراد المولى تعالى.. والحال بأن هذه كلها من تبعات النفس.. وبتعبير أحدهم يقول: البعض يربي عجل باطنه إلى بقرة!.. فهو له عجل صغير في باطنه، ويريد أن يكمل هذا العجل فيجعله عجلا كبيرا!..

إن الهدف ما دام يدور مدار النفس، وإضافة مزايا للنفس، فإنه لا علاقة له بالمولى تعالى.. ولكن لا يخفى أن الذي يبحث عن اللذائذ الباطنية، أرقى ممن يبحث عن اللذائذ الحسية، وإن كان كلاهما لا يلتفتان إلى المولى تعالى.. ويمكن تقسيم الناس في هذه الدنيا، إلى ثلاثة أقسام: قوم طلبوا الأولى-الدنيا- وقوم طلبوا الآخرة، وقوم طلبوا المولى تعالى.. فالمولى تعالى، لا هو دنيا ولا هو آخرة.

إن الذي يريد مشجعات، فإن أفضل مشجع، أن يحقق حالة العبودية لله تعالى، وليس الوصول إلى الأمور الخارقة والغيبية!.. إن الذين يبحثون عن كتب الختومات والأورد والكتب القديمة، لتحقيق بعض المزايا، فليكن معلوما أن هذه التي يسعى لتحقيقها ليست من العبودية في شيء!.. إن الإنسان الذي يقوم بأعمال عبادية، حتى يطلع على قلوب الناس، ما هو إلا إنسان مستثمر وتاجر، يريد استعمال المقدسات للكسب ولمصالحه الذاتية!.. فإذا رأيت أحدا الغالب عليه الذكر والورد والختومات، فلا تعجب به حتى تعلم كيف عقله.. والروايات تؤكد على عدم الحكم على

البواطن، للظواهر العبادية، وقد قال الإمام السجاد (ع): **(وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام، فرويدا لا يغرنكم!.. فإنّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو (أي يرجع) عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة، فيأتي منها محرّما.. فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويدا لا يغركم حتى تنظروا ما عقده عقله!)..**

وإن كان ولا بد من جائزة في المقام في البين، فلتكن هي جائزة العبودية لله تعالى.. ليقول: يا رب!.. أنا أريد أن أكون لك عبدا.. ولكن لا ينبغي أن يشغل نفسه بما يعطى للعبد من مزايا، فهذا لا شغل له به، وليس من شؤونه.. أنت تعلم أنك إذا صرت عبدا، فإنك تعطى بعض المزايا، ولكن هذا المزايا لا تلحظها، ولا تسع إليها.. وكم جميل أن تردد هذا الدعاء: **(إلهي!.. كفى بي عزا أن أكون لك عبدا، وكفى بي فخرا أن تكون لي ربا.. أنت كما أحب، فاجعني كما تحب)..** فإن هذه أكبر جائزة للإنسان، بأن يكون على حسب ما يريده المولى تعالى منه.

س2/ إن الذي يداوم على قيام الليل، يرجى له أن يحقق المقام المحمود، كما ذكرت الآية: **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}**.. ما هو تفسير المقام المحمود؟..

إن عظمة صلاة الليل، هو في إبهام الجزاء، للذي يداوم عليها.. ففي غيرها من الأعمال، هناك ذكر للجزاء، كما نلاحظ في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلْلٌ أَشْدُّ ظِلْمًا لَّهُمْ فِيهَا نَضْرَشُ ثِيَابًا وَنُحَلُّوا بِهَا وَنُصَلِّونَ فِيهَا فِي مَقَامٍ غَيْرٍ مُّبِينٍ}**.. أما في صلاة الليل ذكر الجزاء، المقام المحمود المبهم؛ حتى الكل يسعى نحوها، لأنه إذا بهم الأمر تكون فيه الداعوية قوية.

ولعل معنى المقام المحمود، هو: أن يصل الإنسان إلى درجة يكون هو في المقام المحمود وفي المرتبة المحمود، بمعنى أن كل شيء فيه يحمد.. ومن المعلوم أن معنى اسم النبي محمد (ص)، هو: أنه يُحمد على كل شيء، حمدا بعد حمد.. وهو أحمد الموجودات، بمعنى أكثرهم أهلا للثناء..

وعليه، إن المقام المحمود-والله العالم- هو: ذلك المقام الذي يكون فيه العبد، قد وصل إلى درجة من الدرجات، لا يبقى فيه شيئا لا يُحمد.. وبعبارة أوضح، رب العالمين يملأ ذرات وجوده، فيصبح الوجود إلهيا، فقلوه وفعله وتقريره وتخليه، وحتى خواطره-أي جوارحه وجوانحه- كلها إلهية.. ومن المعلوم أنه إذا وجد النور الإلهي، ذهب ظلمة الشياطين، فإنهما ضدان لا يجتمعان.. هذا تقريبا شيء من ملامح المقام المحمود.

س3/ هل من المانع أن يطلب الإنسان من الله تعالى العافية، كجائزة؟..

نحن أمرنا أن نسأل الله تعالى العافية، بأن نقول: اللهم!.. **إني أسالك أن تطيل عمري، في خير وعافية..** ولكن سؤال العافية، لا بما هي عافية، إنما لتكون معينة على طاعة الله تعالى، ولعدم الانشغال بالمنغصات عن القربات.. إذ أن الإنسان المريض، أو الفقير، أو السجين، أو المبتلي اجتماعيا، أو المطارد؛ إنسان مشغول بما هو فيه من البلاء، ومحروم من عمل الكثير من الطاعات.. ولهذا نلاحظ أن نبي الله موسى (ع)، لما خرج خائفا يترقب، دعا ربه: **{فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}**.. أي أنه أظهر رغبته في أن يكون مؤمنا، وإن رب العالمين استجاب له، فزوجه بابنة شعيب، وصار آمنا مستقرا، آكلا شاربا..



فإذن، إن طلب العافية للعافية، أو طلب طول العمر لطول العمر، أو طلب المال للمال؛ إن هذا ليس هدفا مقدسا.. بل لأن الدنيا مزرعة الآخرة، وإن هذه الأمور إذا استثمرت في هذا الجانب، فهي خير معين للإنسان المؤمن.. ومن المعلوم أنه كلما اتسعت رقعة المزرعة، زاد الحصاد في الأخير.

إن الشيطان أخبر الخبراء في إغواء العباد، وهو العالم بنقاط ضعف كل عبد تفصيلاً، لأنه واكب حياة العبد من أولها إلى آخرها.. وعليه، فعلى العبد أن يكتشف نقاط ضعفه بنفسه، سواء في مجال الشهوة والغضب أو غيره، ليقطع الطريق على العدو الذي أقسم بعزة الحق إلى إغواء الجميع إلا المخلصين، وأين هم؟!.

وصلنا تقريبا إلى أواخر الوصايا، وإن شاء الله تعالى بعد إكمال هذه الوصايا، نرجو أن تكون الخطة واضحة.. ولكن من المعلوم أن وضوح الخطة شيء، والتوفيق للسير شيء آخر.. وإن كان وضوح الخطة باعث على الارتياح، وشد الهمة في السير.. وبتعبير أحدهم يقول: لو أن الإنسان تاه في الطريق، ثم بعد جهد جهيد رأى منزله من مكان بعيد، فإنه-على الأقل- يرتاح نفسياً.. فهو وإن كان ما زال يحتاج إلى بذل الجهد ليقطع هذه المسافات، ولكنه لأنه رأى منزله-ولو من بعد- يشعر بالارتياح، وكأنه وصل.

**س1/ من المعلوم أن السبيل الوحيد للخلاص من الشياطين، أنه لا بد من الدخول في زمرة المخلصين.. فكيف السبيل إلى ذلك؟.. وما هو الفرق بين المخلصين والمخلصين؟..**

إن المخلصين والمخلصين، بينهما فتحة وكسرة، ولكن بين الفتحة والكسرة بعد المشرقين!..  
**المخلص، هو:** ذلك الذي يحاول أن يكون مخلصاً.. أي الذي يسعى لأن يكون في دائرة المخلصين، بسيره في طريق الإخلاص.. فهو من ناحيته يخلص، ولكنه لا يعلم ما هي نظرة الذي يخلص له إليه.  
**بينما المخلص، هو:** الذي قطع طريق الإخلاص، وحاز على مرتبة قبول من يعمل له، بأن يكون في دائرة عنايته. وهذا المثال يوضح الفكرة:

إن من المتعارف في أيام الامتحانات الثانوية النهائية، أن يحضر الطلاب في قاعة الامتحان، وأن الكل يريد أن يكون من الناجحين.. ولكن الملاحظ أن البعض منهم من يحقق الدرجات العالية، التي تؤهله للقبول والدخول في الجامعة.. فالطالب الذي لم يحضر قاعة الامتحان، هو خارج الدائرة، ولا يعد مخلصاً ولا مخلصاً.. ولكن أيضاً ليس كل من دخل قاعة الامتحان، فهو مؤهل لأن يدخل الجامعة..

إن العباد العاصين والفجار والفساق، هؤلاء لم يدخلوا حلبة السباق في ساحة الإخلاص أصلاً.. بينما المؤمنون دخلوا الحلبة، وحاولوا أن يكونوا من المخلصين.. ولكن من المعلوم أن المخلصين على خطر عظيم، فإن رب العالمين لا يقبل كل من دخل في الدائرة، بل إنه يقبل البعض، فيعطيهم وسام المخلصين..

فمرتبة الإخلاص هي مرتبة صعبة، وليس الكل يظفر بهذه المرتبة لعدم تحقق الشروط.. فالإخلاص لا بد أن يتغلغل في كل حركات العبد وسكناته.. فمثلاً: في روايات أهل البيت (ع)، هنالك إشارة إلى إحدى علامات المخلصين، وهي: إن المخلص هو ذلك الإنسان الذي يتساوى عنده المدح والذم.. فمن منا وصل لهذه الدرجة: لو مُدح أو ذُم، لكان الأمر عنده سواء؟!.. وذلك لأنه يعتقد بأن المدح والذم عبارة عن كلام الغير، وكلام الغير قد لا يكشف عن الواقع.. وإن كان يكشف عن الواقع، فالتأثر للواقع، لا للكلام الذي قيل مدحا كان أو ذما.

فإذن، إن المخلصين هم الذي انتجهم رب العالمين.. ومن الملفت أن النبي الأكرم (ص)، وأمير المؤمنين (ع)، والإمام الحسن (ع)، ألقابهم تدور في هذه الفلك.. فالنبي (ص) اصطفاه الله تعالى، فهو المصطفى؛ وأمير المؤمنين (ع) ارتضاه الله تعالى، فهو المرتضى؛ والحسن (ع) اجتباه الله تعالى، فهو المجتبي.. والإمام الحجة (ع) هو المهدي، لا الهادي فقط، لأن الله تعالى انتجبه لأن يكون هاديا، كما اصطفى نبيه (ص)، وكما ارتضى أمير المؤمنين (ع).

وإن على المؤمن أن يكون همه أن يصل إلى هذه الدرجة، بأن يكون يوما ما من المخلصين.. والبعض قد يقول: أنا يئس من مرحلة المخلصين، فلماذا لا أطمح لأن أكون مخلصا وحسبي!..  
والجواب: إن من المعلوم في عالم السباق أو التكامل الديني، أن الذي يروم أن يصل إلى القمم العليا، فإنه يرجى له أن يكون في وسط الجبل.. أما الذي يروم أن يصل إلى وسط الجبل، فإنه يكون في السفح عادة.. فعلينا دائما أن نرفع مستوى الطموح والهمة، ليكون الحاصل أيضا شيئا يعتد به.

**س2/ من المعلوم أن الشياطين نشاطهم يتركز في مجالي الشهوة والغضب.. فكيف السبيل لكشف مكائد الشياطين في هذين المجالين؟..**

إن أمهات المعاصي تعود إلى هاتين السلبيتين: الشهوة، والغضب.. وإن هذا سبب اعتراض الملائكة عندما **قَالُوا** **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}..** فالإفساد إشارة إلى القوة الشهوية، وسفك الدماء إشارة إلى القوة الغضبية.. وأي منكر إما هو يعود إلى القوة الغضبية، أو القوة الشهوية.. فمثلا الزنا، والنظر الحرام، يعود إلى الشهوة.. والقتل، وسب الغير، يعود إلى الغضب.. وهناك بعض الأشياء تعود إلى قوة ثالثة، وهي القوة الوهمية، مثل الخيالات الباطلة، وسوء الظن.. فالإنسان مركب من هذه القوى الثلاث: الغضبية، والشهوية، والوهمية.  
وإن حديثنا نركزه في القوة الغضبية والشهوية، لأنه من سيطر على الشهوة والغضب، فإن الوهم تقريبا بشكل متلازم يتحدد.. فالإنسان عندما يغضب على أحد، فإنه يتوهم فيه الباطل، ويسيء الظن فيه.. وعندما ينظر للحرام، فإنه يتخيل الشهوات.. فإذا رفعنا الغضب والشهوة من الحياة، فإن الذهن تلقائيا يصفو.. فمثله مثل الحوض الذي يصب فيه رافدان ملوثان.. فلو انقطع هذان الرافدان الملوثان، فإن الحوض يبقى نقيا صافيا.

إن الطريق للكشف عن مكائد الشيطان، واستغلاله لنقاط ضعف الإنسان، هو ما ذكره القرآن الكريم: **{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}..** فإن الخطوة الأولى مقدور عليها، أما الخطوات اللاحقة غير مقدور عليها.. فمثلا: عدم النظر إلى الحرام أمر مقدور عليه، بغمض العينين، أو إسدال الجفنين على العينين، أو بغض البصر بمعنى أن ينظر وهو لا ينظر.. ولكنه إذا خالف هذه الوصية الإلهية: **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}**؛ فإن الحب القلبي يتمكن منه، فيقول: لا يمكنني أن أصرف النظر عن هويته!.. لا يمكنني أن أخرج حبها من قلبي!.. وقد تكون التي تعلق قلبه بها متزوجة، وهو صادق في قوله.. ولكن الخطوة الأولى هي النظر، وكان مقدور عليها، وكان يمكنه التلافي، ولكنه هو من أوصل نفسه إلى هذه المرحلة غير الاختيارية.

وكذلك الذي يغضب، فإن غضبه كان بيده، أما إذا تجاوز على الطرف المقابل وضربه أو قتله أو جرحه، فقد خرج الأمر عن دائرة الاختيار والسيطرة.

فإذن، إن التوصية في الإجابة عن هذا السؤال: أن نحاول السيطرة على الخطوات الأولى، وإن رب العالمين يجنبنا آفات الخطوات اللاحقة.

**س3/ من المعلوم أن الشيطان غاية ما يمكنه، أنه يوسوس للإنسان.. فهل له قدرة غير الوسوسة؟..**  
إن القرآن الكريم ذكر أن الشيطان لا قدرة له على الإنسان إلا بالوسوسة، حيث قال تعالى: **{الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}..** وإن الأمر الذي يقابل الوسوسة، هو التصرف العملي في الأبدان والجوارح.. ونحن لم نعهد أن الشيطان في يوم من الأيام، دفع الإنسان إلى مكان فعل الحرام، دفعا ماديا إجباريا!.. فالشيطان ليس له عمل ضد بني آدم إلا أنه يوسوس له.. ولهذا ففي يوم القيامة، لا يمكن أن يدعي أحد أن الشيطان أغواه بمعنى ألزمه وأجبره على العمل بما أغواه به.. إنما الحقيقة هي ما ذكرها القرآن الكريم، في قوله تعالى: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}..**  
فالسُلطان المباشر منتف، ولكن الوسوسة إذا صارت قوية جدا، والوسوس له صار ضعيفا جدا، فإنه تصبح للشيطان حالة من السلطنة.. فإن مثل الشيطان مع الإنسان الضعيف، مثل من بيده جهاز تحكم عن بعد، ويقلب القنوات، وليس هنالك من صلة مادية مباشرة.. فالشيطان بالنسبة للبعض لا يلمسه أبدا لمسا مباشرا، ولكنه بوسوسة يحركه في أي اتجاه يشاء!.

إن النوافل اليومية- وخاصة صلاة الليل- وكذلك صلاة الجماعة، من المستحبات التي قلما ورد التأكيد في مستحب مثلها.. ومن هنا لزم الالتزام قدر الإمكان بهذين النذيين، إذ أنهما من موجبات النظرة الإلهية الخاصة بالعبد، ولطالما يحتاج العبد إلى هذه النفحات التي توجب له الطفرة في السير.. إن التواجد في الأماكن التي تمارس فيها الطاعة بشكل جماعي، من مصاديق استنزال الرحمة، التي قد لا تنزل في الحالة الفردية لممارسة العبادة.

س1/ إن النوافل مع أنها متصفة بعدم الوجوب، إلا أن لها دورا كبيرا في عملية التكامل.. فكيف يمكننا الجمع بين عدم الوجوب، والضرورة للتكامل؟..

إن من المناسب مراجعة حديث قرب النوافل، فهذه من الروايات التي وردت في كتب الفريقين وبكثرة، وبصيغ مختلفة، وهي رواية ليس فيها ما يثير الرفض أو الإنكار، بل مطابقة للعمومات..

عن النبي (ص) أنه قال: (ما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه.. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه.. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولأن استعاذني لأعيزه)..

ومن الملفت في الرواية: أن الذي يقرب العبد إلى الله تعالى، هو العمل بالفرائض، ولكن المحبوبة تأتي من المداومة على النوافل، وإن كان الحديث سمي بحديث قرب النوافل.

وللتقريب نذكر هذا المثال: إن من المعلوم أن الصواريخ تحتاج- لترتفع إلى الفضاء الخارجي- إلى محركات قوية، تخرجها من دائرة الجاذبية الأرضية.. ثم إنها عندما تستقر في نقطة معينة، تحلق وتبحث وتسير في الفضاء الخارجي..

فيمكن أن نقول أن الفرائض هي بمثابة المحركات، التي تخرج الإنسان من دائرة الهوى إلى دائرة الهدى، من دائرة التثاقل إلى الأرض إلى دائرة التعالي في مدارج الكمال.. ولهذا فإن المعنى بقوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، من هو على غير خط الهدى.. فإذا استقر الإنسان، بمعنى أنه صار مطيعا، ويأتي بالفرائض، ويترك المحرمات، فهو يريد حينئذ أن يتفنى في القرب..

وللتقريب نذكر مثالا آخر: لو أن إنسانا لا يسمح له بالدخول إلى قصر السلطان، ولكنه تمكن أن يدخل بقيامه ببعض الأعمال.. فهو بعد أن دخل، يريد أن يتفنى في التودد إلى السلطان، والتقرب منه، فتارة بالمديح، وتارة بالشعر، وتارة بالخدمة..

فالفرائض بمثابة الأعمال التي تمكن من الدخول إلى قصر السلطان.. والنوافل بمثابة التفنى في التودد والتقرب من السلطان.

فإذن، إن النوافل هي غير ضرورية من جهة، وضرورية من جهة أخرى.. فإنها غير ضرورية؛ لأن الإنسان لو مات وهو مقتصر على أداء الواجبات، دخل الجنة قطعا.. فليس هناك من يقول أن دخول الجنة، متوقف على النوافل..

ولكن الذي يريد الوصول إلى الله تعالى، لابد له من قيام الليل، كما ورد عن الإمام العسكري (ع): **(إن الوصول إلى الله تعالى سفر، لا يدرك إلا بامتطاء الليل)..** فللوصول إلى مملكة المولى تعالى، هناك مسافات، لا تقطع إلا بامتطاء الليل.. وكأن الليل مركب يركبه السائر إلى الله تعالى، وكلما داوم على القيام قطع المسافات حتى يصل.

س2/ إن الملاحظ أن البعض يمتنع عن حضور صلاة الجماعة، بغض عدم وجود حالة الإقبال.. فما تعليقكم على ذلك؟..

إن صلاة الجماعة من أهم المستحبات.. وإذا أردنا أن نعمل جردا للمستحبات التي ورد فيها تأكيدا، فنجد أنه قلما ورد التأكيد على شيء، كما ورد في التأكيد على نافلة الليل، وصلاة الجماعة. وهما تقريبا عبادتان متعاكستان.. فنافلة الليل تؤدي في المنزل، وفي جوف الليل في الستر؛ وصلاة الجماعة تؤدي في بيوت الله تعالى، أي في العلن.. فيبدو أن المؤمن يحتاج إلى الصفتين: الخلوة مع رب العالمين في سره، والخلوة مع رب العالمين في جهره.. فصلاة الجماعة أيضا خلوة، فمن يصلي فهو في صلواته يختلي مع الله تعالى، ولكن في ضمن صفوف الجماعة.

ولكن الشيطان-كما هو معروف- وسوسته لكل فنة بحسبها.. فوسوسته للفسقة، هي: بشرب الخمر، والزنا وغيره.. ووسوسته للمؤمنين، هي: بتثبيطهم عن العمل المرضي لله تعالى.. فتراه-مثلا- يثبط البعض عن صلاة الجماعة، بدعوى أن هذا يحتاج للخروج من المنزل، وهو يعيش في جو معين، ويقرأ كتابا، وإذا خرج فمقدمات الاستعداد للصلاة والطريق، تحرمه من قراءة هذا الكتاب.. أو أنه يواجه العصاة في المسجد، وقساة القلوب، ويخشى من العدوى..

ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلماذا رسول الله (ص) دعا للجمعة والجماعة إلى درجة كبيرة، وقد ورد في مضمون رواية: **(إن ركعة من صلاة الجماعة، لا يحصي ثوابها إلا الله تعالى)؟!..** إن هذا تسويل شيطاني، وينبغي الحذر!.. وما المانع أن يجمع المؤمن بين جوه الذي يكون في المنزل، وصلواته في المسجد جماعة.. صحيح أن هناك جمعا من الناس، ولكن أنت عندما تصلي فوجهك للقبلة، ومن بجانبك لا يرى ماذا تعمل.. وأنت في حال السجود مثلا، ما الفرق بين سجودك في المنزل، وسجودك في المسجد؟!.. إن المؤمن بإمكانه أن يعيش جوه المنزلي الذي في صلاة الليل مثلا، أن يعيشه في صلاة الجماعة في المسجد، وإذا انتهى من الصلاة عاد إلى جوه الاجتماعي..

فلا بد أن نكون كرسول الله (ص)، الذي كان إذا دخل وقت الصلاة، كان كأنه لا يعرف أحدا، ولكنه بعد أن يصلي يعود إلى ما كان عليه.. كما ورد عن إحدى زوجاته: **(كان النبي (ص) في بيته هاشا، باشا وكان ضحاکا في بيته، وكان يجلس معنا يحدثنا ونحدثه.. فإذا أدن للصلاة، كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه)..**

وقد كان النبي (ص) لما كان يصلي-وما أدراك ما صلواته!.. إنها معراج بكل معنى الكلمة- ويحس أن هناك من بجانبه له سؤال أو له حاجة، يعجل في صلواته ويختمها بسرعة، ليقضي حاجة المؤمن.. فنلاحظ حتى وهو في قمة الانشغال مع رب العالمين، لا ينسى حوائج الناس.. وكذلك المرتضى (ع) كان كأخيه، وكما نعلم في قضية ذلك

السائل الذي سأل المسلمين، فقدم له الخاتم.. فهم في قمة الانشغال بالحديث مع رب العالمين، ولهم خلوتهم الروحية، ولكنهم لا يغفلون عن الواجبات الاجتماعية.

### س3/ هل من السائع أن ينقل المؤمن بركات صلاة الجماعة إلى منزله؟..

لا مانع من ذلك، ولكن للمؤمن الذي يوثق بعدالته.. ومن المعلوم أن قمة العدالة، هي عدالة الإنسان أمام عائلته؛ لأن الزوجة والأولاد، هم أخبر الناس بالإنسان، وبأحواله في الخلوات، وهنينا لمن كان عادلا عند زوجته!..  
فما المانع إذا أحرزت العدالة، وصحت القراءة، وباقي الشروط، أن يحول الإنسان المؤمن البيت إلى مسجد.. وخاصة أن البعض قد يوفق أن يصلي الظهرين والعشائين في المسجد جماعة، ولكنه في خصوص صلاة الفجر يحرم من ذلك.. فما المانع أن ينقل البركات إلى منزله، وخاصة إذا اتخذ مصلى في منزله، كالبعض الذي يتخذ في المنزل مصلى، ويفرشه بطريقة تشبه المساجد، بحيث يكون له هذا السجاد القصير، وله محراب، ويضع فيه مصحفا، وكتاب دعاء؛ فيجعل له مسجدا مصغرا في غرفة من غرف المنزل، ويصلي فيه على هيئة الجماعة.. وإن المؤمن ليتفنن في طرق القرب إلى الله تعالى، ومنه هذا العمل.

طول الأمل من روافد الخسارة الكبرى، فإن المتبقي من العمر وإن بدا للوهلة الأولى طويلا، إلا أن كَرَّ الليل والنهار، يطوي صفحة الحياة بسرعة، وخاصة أن فرص التعالي الروحي، تزامن فترة النشاط البدني، وهي المرحلة المتوسطة من العمر.. نعم في المرحلة المتقدمة من الحياة، تتم عملية التنضيج والتثبيت لما قد بُني أساسه في المرحلة السابقة.. وقلما وجدنا حالات الطفرة والإنابة واليقظة في المراحل المتقدمة من العمر، بل الشيطان يمسح على وجهه-بعد تكاثر الذنوب- قائلا: "هذا وجه لا يفلح أبدا".

وصلنا بحمده تعالي إلى الحلقات الأخيرة، وأوشك أن نكمل الأربعين وصية بإذن الله تعالي.. وهنا أحب أن أؤكد مرة أخرى على أن هذه الوصايا-إن شاء الله تعالي- عبرة لمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا.. إن البعض يريد أن يستمزج الأمور استمزاجا، أو لأنه عنده حوائج ومشاكل، ويريد أن يقضي على هذه المشاكل، بالتقرب إلى رب العالمين.. فإذا أعطي الحاجة، عندئذ يقف عن حركته في التقرب لله تعالي، ولا وجه بعد ذلك لأن يكون من المتقربين، لأنه حصل على جائزته!..

ولكن الذي يعيش هاجس العبودية، وأن الهدف من الخلقة أن يكون لله تعالي عبدا، فإن هذا لا شك يحب أن يتلمس معالم الطريق.. ونحن بفضل الله-عزوجل-، نرجو أن نكون قد ساهمنا في هذا المشروع، على إيضاح معالم الطريق، ليُعلم الزيف من الحقيقة.

**س1/ لا خلاف أن طول الأمل قاد الكثيرين إلى حافة التهلكة، وأعقبهم الخسارة الكبرى، حيث جرههم إلى الركون إلى الدنيا، والاشتغال بها إلى درجة الالتهاة عن هدف الخلقة.. وكأنا خلقنا لهذه الحياة، وليس هنالك من حياة أخرى وحساب وعقاب ينتظرنا!.. ولا يخفى أن السبب هو الجهل وضعف حالة اليقين، فما هو الطريق لترقية اليقين؟..**

إن الذي يكسر طول الأمل-كما هو المستفاد من الروايات- ذكر هادم اللذات، ألا وهو الموت.. وذلك بأن يعرف أن الموت هي حقيقة مصاحبة له، وليست بحقيقة مستقبلية.. فكما أن النوم ممتزج بحياة بني آدم، فالموت كذلك، إذ من الممكن أن يطرق بابه في أي لحظة من اللحظات.. بل إن الموت أقرب وأوضح إليه من النوم، لأن النوم يأتي في ساعات معينة، بينما الموت لا يعلم له وقتا، وإن الإنسان مرشح في كل لحظة لأن يكون في عداد عالم الأموات.

ولكن-مع الأسف- إن الموت الذي لا شك فيه ولا شبهة فيه، لا نتعامل معه بما يستحق من اليقين!.. فليس هناك يقين كالموت، كثر فيه الشك!.. إن البعض لا يزور المقابر، ولا يذهب للمستشفيات، ولا يذهب للفواتح، بل فإن أي شيء يذكره بالموت ينفر منه ويفر منه!.. إن الذي يريد أن يحقق النهايات السعيدة، لا بد أن يكون من الذين يفكرون في النهايات وهو في البدايات.. لا بد أن يسعى في أن يرقى هذا العلم النظري، إلى علم متغلغل، ويترقى من حالة علم اليقين إلى عين اليقين، ثم إلى حق اليقين.



وإن هذه المشكلة ليست في الموت فقط، بل في كل الأمور النظرية غير المادية، أي في كل أنواع الغيب بدءاً من غيب الغيوب واجب الوجود، إلى باقي الغيوب كالمعاد والملائكة والروح.. فإن اليقين بهذه المغيبات، يحتاج إلى حالة من حالات البلوغ الباطني.. إن الطفلة المراهقة التي بلغت التسع سنوات، رغم أنها مكلفة، وكما يقولون لا فرق بين سن التاسعة وسن التسعين، في مقام التكليف.. ولكن مع ذلك، فإنه لا يمكن لابنة التاسعة أن تعلم لذائد الحياة الزوجية، ولذة الأمومة وغيرها، لأنها لم تصل إلى مرحلة تلمس هذه المعاني.. إن بعض الناس ليس عنده هذا البلوغ، الذي يوهله إلى أن يلتفت إلى عالم الغيب.

**ومن أسباب ترقية الإنسان، والطريق إلى كشف الحقائق:**

**أولاً: التخفيف عن المشتبهات:**

إن توغل الإنسان في التلذذ بالماديات، يبعده عن إدراك لذة عالم المعنى.. ولهذا نلاحظ أن رب العالمين، جعل ليلة القدر في شهر رمضان.. لأن أنسب الشهور لدرك حقيقة ليلة القدر وللعبادة، هو في ذلك الشهر، الذي يكف فيه الإنسان نفسه عن الطعام والشراب.. فالصائم بكفه عن الماديات، وباقي المفطرات، كأنه يوهل لمناجاة الله- عزوجل-، مناجاة بليغة في تلك الليلة، وليس هناك ليلة طوال السنة مثلها في التمحض العبادي.

**ثانياً: البحث النظري:**

إن المعرفة النظرية دائماً مهينة وليست علة تامة، لتصعيد مستوى اليقين.. ولهذا فالبعض الذي له إيمان فطري بالله- عزوجل-، أي إيمان تعبدية، فإنه عندما يأخذ دورة في العقائد: في الصفات الإلهية الجلالية والكمالية، وفي الأسماء الحسنى، وفي أدلة وجود الخالق، تلاحظ أن هذا اليقين الذي كان عنده يزداد تجلياً. والأمر كذلك بالنسبة للصلاة، فالحركات الظاهرية للصلاة من الركوع والسجود، لهو أمر مرتبط بعالم الأبدان.. ولكن الخشوع والتفاعل القلبي في الصلاة، أمر معنوي غيبي، وهذا التفاعل لا يلمس، لا يدرك، لا يرى، لا يشم.. ولكن الذي يقرأ كتاباً في الصلاة الخاشعة، أو يأخذ دورة في الصلاة الخاشعة، فهو عندما يصلي- وإن كان خاشعاً فطرياً لربه الله عزوجل-، فإنه يزداد تألقاً في هذا المجال.

**س2/ إن الذي يحرك الإنسان في هذه الحياة، ويجعله يسعى ويكافح ويتحمل المشاق والألم، هو الأمل.. ولكن كيف نفرق بين هذا الأمل المحمود، وبين طول الأمل المذموم؟..**

إن طول الأمل هو أن يفترض الإنسان لنفسه، وجوداً أبدياً في هذه الحياة، أو جوداً ممتداً، وبيالغ في الاشتغال بأمور الدنيا، والسعي في تأمين الرزق، زيادة عن حاجته، غافلاً عن الآخرة.. إن بعض الأثرياء لو أراد أن يعيش من دون عمل، لكان بإمكانه أن يعيش منتهي سنة.. ومن المعلوم أن يسعى الإنسان، ويبرمج زيادة عن العمر الطبيعي، زيادة عما هو مطلوب منه، إن هذا ليس من الطموح، وليس من الأمل المحمود!..

إن الإنسان المؤمن يبرمج حياته، ويعمل من باب أن يكون خليفة الله- عزوجل- حقاً، وأن يكون وارثاً لله- عزوجل- في أرضه، وأن يكون من الذين يستثمرون الدنيا للآخرة.. وكلما عمل في هذه الدنيا أكثر، تحققت منه حالة

العبودية.. ومن حالات العبد الإنفاق، فالفقير لا يمكنه أن ينفق، والذي يبرمج ويخطط، وله آمال وطموح، فإنه يصبح غنيا، ومن ثم يستغل ما عنده في الإنفاق، تقربا إلى الله-عزوجل-.. ولكن هذا كله يعد خيرا للعبد المراقب، وإلا فإن الكفاف خير للمؤمن، إن (ما قل كفى خير مما كثر وألهى).. ولعل الفقر خير للفاسق، لأن المادة بيد الفاسق، أداة للفسق.. ولكن المؤمن يبرمج ويطلب أمله في الحياة الدنيا، بهذه النية التي أشار إليها الإمام علي (ع): (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا).

### س3/ كيف نجعل ذكر الموت، ذكرا فاعلا في حياتنا؟..

إن البعض ينظر إلى الموت نظرة سلبية، وأنه انقطاع عن ما هو متعلق به من زينة الحياة الدنيا، والموت عنده إعدام، ولا يتشوق إلى ما بعد الموت.. وحتى التعبير بالإعدام، تعبير غير دقيق!.. فليس هنالك من إعدام في البين، بل هنالك إزهاق وإخراج للروح من البدن..

وبالتأكيد، فإن حال هذا الإنسان بهذه النظرة العدمية للموت، غير الذي ينظر إلى الموت على أنه نقلة للقاء الإلهي، والاستمتاع بمتع ما وراء الحياة الدنيا.. لأن المؤمن يعتقد بأنه (إذا مات ابن آدم قامت قيامته)، ومن المعلوم أن المتع في عالم البرزخ، وفي جنان الخلد لا تقاس بمتع الدنيا.. فإذا كان من باب المتع، فيتمنى الموت ليستمتع.. وإذا كان من باب الحب الإلهي، فيتمنى الموت ليلتقي بالله-عزوجل-، اللقاء الذي يناسب ذلك العالم.. فالموت بالنسبة للمؤمن، يعتبر انتقالا من عالم موحش إلى عالم مؤنس، من عالم ضيق إلى عالم واسع.

إن الإنسان مثله في هذه الدنيا، كمثل الجنين في بطن أمه.. فالجنين لو خير بين الخروج للدنيا، والبقاء في رحم الأم، فإنه يفضل البقاء في مكانه، لأنه يرى مكانه مريحا، وغذاءه مؤمنا، والجو ملائم والحرارة مناسبة.. فهو مأنوس بما هو فيه، ولا يعلم أن هناك مكان أوسع من العالم الضيق الذي هو فيه، ولا يعلم ما أعدته له هذه الأم من فراش وثير، ومن صدر فيه اللبن السائغ..

فنحن نعيش في رحم الدنيا، ولو علمنا بما بعد هذه النشأة من المتع، لزهدنا في الدنيا كما نزهد في بطون الأمهات!.. نحن الآن عندما نتصور الرحم، وبطن الأم، نكاد نستوحش من هذا المكان الضيق.. ولكن هذا الاستيحاش لم يتحقق إلا بعد الانتقال.. وإن المؤمن قبل أن ينتقل من الدنيا، يعيش هذه الحالة من الوحشة، من ضيق الدنيا، وعدم اتساعها.

وإن العبد الذي يريد أن يصل، ويحقق هذه الحالة من الاستيحاش من الدنيا ومتاعها الزائل وهو في الدنيا، فإن عليه أن يطلب من ربه، أن يزدهه في الدنيا.. وقد ورد عن الرسول الأكرم (ص): (إذا أراد الله-عزوجل- بعبد خيرا؛ فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره بعيوب نفسه).

والأمر يحتاج إلى جذبة إلهية، تلهيه عن متاع الدنيا، عندما تتجلى له بعض أنواع التجليات الإلهية، من ذلك العالم.

إن من الخطأ الفادح أن نحصر السعي المركز لحيازة رتب العبودية العالية بفئة من الناس؛ فإن الحق المتعال وعد بعدم تضييع عمل عامل من ذكر أو أنثى.. فالمهم أن يكون العبد عاملاً لا خاملاً، والشريعة إنما جاءت لتكامل الجميع.. فالتلقين النفسي أن العبد دون مستوى حتى التفكير بهذه الأمور، من السبل الشيطانية لتثبيط العبد.. والتاريخ يعرض لنا صوراً بليغة من التكامل سواء في مجال: النساء أو الرجال، الأحرار أو العبيد.

س1/ إن الملاحظ في أحاديثكم تأكيدكم على أن التكامل للجميع.. ومن المعلوم- كما في كتب الأخلاق والسير والسلوك- أن السير إلى الله تعالى لا يوفق له إلا القليل.. فكيف نوفق بين الأمرين؟..

إننا نؤكد على مسألة التكامل للجميع، لأن البعض عندما نتكلم عن التكامل والسير، يعزل جانباً، ولا يهتم بهذا الكلام، ويقول: إن هذا الكلام يخص العلماء مثلاً، وأما الشاب حدث السن المشغول بالدنيا ومتاعها، أو المرأة ربة البيت المشغولة بشؤون الأسرة والزوج والأولاد؛ فإن هذه أمور لا تعنيهم!..

ولكن نحن نلاحظ أن القرآن الكريم يؤكد على ذلك، في آيات متعددة.. وإن القرآن الكريم هو الذي يؤسس المفاهيم، وهو الدستور، وهو المسطرة التي لا بد أن نمشي عليها.. ومن الأمور التي يؤكد عليها القرآن الكريم، مسألة لزوم الكدح، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}**.. ومن المعلوم أن الكدح أعلى من السير، فالكدح هو السير بإصرار وبتعب.. وأيضاً، نلاحظ الحث على الفرار إلى الله تعالى، قال تعالى: **{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}**.. وفي آية أخرى، الحث على اتخاذ السبيل: **{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}**.. فهذه التعابير كلها، تدل على أن المؤمن في عملية انتقال من النقص إلى الكمال..

إلا أننا عادة نخلط بين التكامل وبين العبادة الجوارحية.. فترى إنساناً قد يصلي أربعين سنة، ولكنه لم يحقق التكامل.. فإن **(الصلاة معراج المؤمن)**، والذي لا ينتقل إلى ملكوت الصلاة، فهو لم يتكامل، وإنما أسقط التكليف، وفي يوم القيامة لا يعاقب عقاب تارك الصلاة.. فإن البعض يظن أن سلوك طريق التكامل، خاص لفئة من الناس، ولكن- كما قلنا- إن الآيات القرآنية والروايات التي تدعو لذلك كثيرة، قال تعالى: **{وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}**.. وعن الإمام الكاظم (ع): **(ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)**..

فالمستفاد من الروايات والآيات، أن الكل مطالب بأن يسعى للتكامل، وأن يكون من أهل الكمال.. وإن المطلوب أن يبدأ من ساعة البلوغ، لا أن يلهو ويلعب على أمل أن يعود إلى ربه في سن الأربعين!.. إنما من ساعة التكليف هناك مطالبة ببدء عملية التكامل.. وإن كانت هذه الحركة التكاملية، قد تكون حركة بطيئة، للبنات المكلفة التي في سن التاسعة، وكذلك بالنسبة للشباب البالغ.. ولكن هذه العملية لا بد أن تبدأ، لتعطي ثمارها بعد أربعين سنة.

ولنتأمل جيدا في قوله: **{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}**.. إن من المعلوم أن المساءلة الإلهية يوم القيامة، هي للجميع.. والملفت أنه لم يقال في الآية: (مآخذون)، أو (معاقبون)، بل (مسؤولون)، أي في موقف المساءلة!.. ويفهم من بعض النصوص، أن في عرصات القيامة كما أن هناك معاقبة للبعض، أيضا هناك معاتبة للبعض!.. فالمكروهات التي كان يمكن للمؤمن التغاضي عنها، ولم يفعل، فإنه يقال له: لماذا ارتكبت ما لا يرضي رب العالمين؟.. أو لماذا تسامحت في المستحب الفلاني؟.. وإن كانت المساءلة من باب العتاب الذي لا يستتبع عقابا، إلا أن عتاب رب العالمين يوجب الخجل والاستحياء.. وإن كان في نار جهنم هناك خجل في أوجهه وبأشده، ولكن المعاتبة في ترك المستحبات وفعل المكروهات، أيضا توجب الخجل.. وإن التفكير في هذا الموقف، لمن موجبات أن يرتدع المؤمن في هذا المجال أيضا!.

### س2/ ما الفرق بين التكامل الأنفسي والتكامل العبادي؟..

إن التكامل في الجانب العبادي، بمعنى إتقان الجانب العبادي، إنما هو الإتيان بهيكل العمل.. ولكن العبادات كلها لها ظاهر، ولها باطن، كما يستفاد من الروايات المختلفة، كحديث الشبلي وغيره.. فالصوم له حقيقة واقعية، ما وراء كف النفس عن الطعام والشراب؛ والحج هو لقاء الله تعالى، لا مجرد الطواف والسعي؛ وكذلك الصلاة والإنفاق..

وإن الذي لا يفكر في تحويل العبادات إلى رتبة باطنية في عالم الأنفس، فهذا الإنسان سوف يبقى في عالم العمل الجوارحي.. ولهذا فلا نستغرب، أو لا نستبعد، أن نرى من كان-وما زال- يواظب على صلوات الجماعة دهرًا من عمره، أنه عند المال الحرام لا يستنكف، ولا يرتدع.. بل إنه يعلم من ذلك، أن العبادات إن لم تقترن بهذه المراقبة الجوارحية، فإنها لا تعطي ثمارها كاملة.

### س3/ إن البعض يشتكى من صعوبة السعي للتكامل، لبعض المعوقات الملازمة له، وخاصة في المجتمع النسائي.. فما تعليقكم على ذلك؟..

إن النساء من ناحية هن أكثر قابلية من الرجال في مجال التكامل الأنفسي، ومن ناحية أخرى هن أقل قابلية..

**فأما الجانب الإيجابي عند النساء، فمن الممكن أن نحصره في أمرين:**

#### **الأول: الرقة العاطفية:**

إن من المعلوم أن قلب المرأة سريع التعلق، فإنها من الممكن أن تحب بسرعة وبسهولة.. ولهذا نلاحظ بأن المشاكل الشبابية في هذه الأيام-في كثير من الحالات- سببها المرأة، فهي التي تنصب الفخ للرجل، وتوقعه في شباكها، في دائرة الحرام.. ولذا نحن نقول: إن هذا الخيط الذي خرج من القلب، بدلا من أن يربط بالباطل وبالفانيات، فيربط بالمأ الأعلى، كآسيا، ومريم، ومولاتنا فاطمة الزهراء (ع).. إن هذا القلب الذي يمكن أن يحب بسرعة وبسهولة، لماذا لا نجعله محطة ومحلا للحب الإلهي؟.. عن الإمام الصادق (ع): **(القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله).**

## والثاني: الفراغ:

إن من مثبطات الهمم، ومن العقبات في الطريق إلى الله تعالى، هو انشغال الرجال بزحمة الأسواق، وغيره من بيئ العمل.. ولكن المرأة معفية من هذا المجال، إذ يأتيها الرزق رغدا من الزوج، أو من الإرث، أو من أولاد صالحين، أو غيره..

فإذن، إن الرقة العاطفية، والفراغ الذي لدى النساء، هذان عنصران مساعدان.

## وأما الجانب السلبي، فهو الانشغال الزائد بالأمر الدنيوية:

إن اهتمام المرأة بجانب الزينة والزخارف، وجزئيات المتاع الدنيوي، لمن موجبات التأخر عن ركب التكامل.. فإن المرأة التي تجعل همها في الحلي والحلل، ومتاع الدنيا: الملبوس، والمأكول، والمشوم، فإن قلبها يُحجز بهذا المتاع، وبمقدار ما حُجز القلب لا يمكن للتجليات الإلهية أن تجد طريقا إليه.

إن رب العالمين أنواره أنوار عزيزة، (جل جناب الحق أن يكون شريعة لكل وارد).. إن رب العالمين لا يجعل التجليات المتعلقة به، وبالنظرة المرتبطة به، وأنواع النعيم المرتبط به، في القلب المشغول ولو كان الانشغال لصنم واحد: حب الأولاد، أو حب المنصب، أو حب الرئاسة.. فما دام هناك صنم، فإن القلب يتحول إلى معبد للأصنام.. فليس من اللازم أن يكون المعبد مليئا بالأصنام، بل ما دام فيه ولو صنم بمقدار أملة، فإن هذا معبد، وما دام هو معبد لا يصح أن يكون مسجدا!..

إن هذا القلب إذا شغل بغير الله تعالى، لا يمكن أن يكون لله تعالى.. وكما في مضمون بعض الروايات: (إن الله خير الشريكين).. فمثلا: لو أن إنسانا عمل عملا صالحا، يريد به وجه الله تعالى، وخالطه بشائبة الرياء، وبالرغبة في ثناء الآخرين.. ولو كان هذا العمل بنسبة تسعين بالمئة لله تعالى، وعشرة بالمئة لغيره، فإنه غير مقبول ومردود.. فإن رب العالمين يقول: أنا لا أريد هذا العمل، وما عملته لي سأعطيه للشريك الآخر!..

فإذن، علمنا لماذا أن النساء في هذا المجال لهن قابلية من جهة، ولهن موجبات ضعف من جهة أخرى.. وفق الله تعالى الجميع لأن نكون على درب أوليائه الصالحين، من الذكور والإناث.. والتاريخ مليء بالعناصر المتميزة.. ففي عالم النساء هناك المتميزات، وعلى رأسهن سيدة نساء العالمين على الإطلاق فاطمة الزهراء (ع)، وسيدة نساء زمانها مريم (ع).. وفي الرجال هناك الأنبياء والأوصياء، والأولياء والصالحين.. وعلينا أن نتأسى بهم، لنحقق-إن شاء الله تعالى- ذلك اللقاء والرضوان، الذي نريده في الجنة.

إن التفكير في المشاكل اليومية، يوزع اهتمام العبد كثيرا.. والحل الأمثل في مثل هذه الحالات، هو تفويض الأمر إلى الخبير القدير، مع عدم الإتيان بما ينافي رضاه في المجال الذي فوض الأمر إليه على الأقل، فهو الذي يرزق بغير حساب، وهو الذي يجعل للعبد المخرج بما لا يخطر على البال.. فالاضطراب النفسي تجاه أمور الدنيا والمعاش، لا يدع مجالاً للتركيز الشعوري والذهني لما يعود إلى المبدأ والمعاد، وخاصة بعض المشاكل التي تشكل عنصر توتر دائم في الحياة: كالمشاكل الزوجية والعائلية والاجتماعية.

س1/ ذكر في الوصية أن توزيع الاهتمام والانشغال بالأمور الحياتية، من العقبات المؤخرة للسالك في طريقه إلى الله تعالى.. فكيف يمكن أن يوحد العبد همه في المولى تعالى أو في العقبى-الدار الآخرة- مع اختلاف أصناف العباد، والانشغال القهري بالأمور الحياتية؟..

إن الذين يعبدون الله تعالى، ينقسمون إلى قسمين: فمنهم من يعبد الله تعالى لذاته، حبا له.. ومنهم من يعبده للأخرى، أي العقبى، طلبا لجائزته.. ولولا المسامحة واللطف الإلهي، لكان رب العالمين له الحق أن يقول: إن الذي عبدني لا لذاتي بل لجوائزي، فإنه ما عبدني حقا، فلا أعطيه حتى الجائزة!..

وإن البعض قد يقول: هل أن هناك من يعبد الله تعالى لذاته، حبا له؟!..

فأقول: إن هذا المعنى متعارف في حياتنا لغير الله تعالى!.. فإنك ترى حب الأم وحنانها، واهتمامها بابنها المعاق، والذي لا يرجى منه الخير مستقبلا، وأن يكون عوناً للأبوين في يوم من الأيام.. وإنك ترى بعض الأولاد البارين، يخدمون الأبوين، رغم انتفاء أي فائدة وانتفاع منهما، بل أحيانا حتى الإرث المادي منتف منه.. فنحن في عالم التعامل الدنيوي نرى هذا الحب الصادق، من الحب للذات، لا للانتفاع.. أما عندما يصل الأمر إلى مسبب الأسباب ورب العالمين، فالبعض يقول: لا، إن هذا لا يمكن، إلا أن نحبه لجنته وللحور وللقصور!..

أما بالنسبة لتوزيع الاهتمام، فإن الإنسان الذي يعيش الهواجس المتضاربة المختلفة، فهذا الإنسان لا يمكنه التركيز فكريا ولا شعوريا، وذلك في علاقته مع المولى تعالى.. فالذي له هم الوظيفة، وهم الدراسة، وهم الزوجة، وله مع هذه الهموم هم إلهي، فإن هذا من الطبيعي أن يكون إنسانا موزع الهموم، وقليل التركيز، ومن الصعب أن يحقق التميز.. ولهذا يقال إن طالب العلم الذي له شؤونات مختلفة من تدبير شؤون العائلة، أو بناء بيت وغيرها من الأمور الشاغلة؛ فإن هذا لا يصبح عالما متميزا، لأنه لم يجعل طلب العلم همه الأوحد..

إن الإنسان الذي له هم المولى تعالى، ولكن في جانب الهموم الأخرى، كهم الولد والزوجة، فهذا الإنسان سوف لن يصل إلى درجات متميزة، وإن كان هو خير من غيره الذي لا يحمل هم المولى أبدا.

**الطريق إلى توحيد الهم:**

**أولا: الإحساس بعظمة المولى تعالى، من نحمل همه:**

إن الذي يعتقد بحقيقة واجب الوجود، وإن كل البركات في عالم الخلق راحة من رشحاته، وإن هذا الجمال سواء كان جمالا بشريا، أو في الطبيعة، يعود إليه في آخر الأمر.. إن الذي يعتقد بترشح أصل الوجود، وبركات الوجود، من هذا الوجود العظيم، فسوف يجعل همه منحصرا به.

**ثانيا: معرفة أن الثمار المرجوة من كل أمر، هي بيده تعالى:**

نحن لماذا نوزع الهموم؟.. إننا نوزع الهموم، لكي نقطف الثمار في مختلف الحقول؛ فالذي يتزوج يريد أن يقطف ثمرة الولد الصالح؛ والزارع الذي يزرع الأرض، يريد أن يقطف ثمار ما يزرعه من الأشجار؛ وكذلك التاجر وهكذا.. فالذي يعلم أن هذه الثمار بيد رب العالمين- إن شاء وجودها أوجدها، وإلا فلا وجود لها- كيف يوزع نظرتة هنا هناك، بدلا عن النظر إلى من بيده مقاليد الأمور كلها؟..

وإن رب العالمين يريد منا أن نلتفت إلى هذه الحقيقة، فيقول تعالى في سورة الواقعة: **{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ \* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}**.. فالزارع ما كان دوره إلا أنه بذر البذور، وتعهدها بالسقاية والرعاية، وشذب الأوراق.. ولكن رب العالمين هو الذي فلق الحبة، ونحن عندما نناجي رب العالمين نقول: **(يا فالح الحب والنوى!)**..

فعليه، إن معرفة أن كل الثمار التي يسعى الإنسان لتحقيقها، بيد الله تعالى؛ يوجب توحد الهم.

**س2/ هل يمكن إعطاء معادلة للقضاء على المشاكل الحياتية، أو على الأقل للتخفيف منها؟..**

إن نظرة الإنسان للأمور هي الأساس، فإن صغرها صغرت، وإن عظمها عظمت.. فمثلا: إن الذي يعجب بناطحات السحاب، ويراه عظمة، عندما يستقل طائرة، وتحلق الطائرة على ارتفاع ثلاثين ألف قدم مثلا، كم يراها صغيرة، حتى تكاد لا ترى أصلا!.. ولكنه وهو في الطائرة رآها بعينه صغيرة- لا في قلبه- ولما ينزل على الأرض يراها بعظمتها!..

ولكن المؤمن من صفاته، أنه ممن **(عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم)**، فإن هذه هي نظرتة للأشياء، ولا يحتاج إلى أن يصعد الطائرة، ويراه من الطائرة صغيرة!.. إن المؤمن له هذا الهم الأوحى، ولا يكاد يرى شيئا في هذا الوجود سواء يلفت نظره!.. فإن كل ما في الوجود يراه صغيرا، إلى جنب عظمتة!.. بل- وإن الوصول إلى هذه الحقيقة يحتاج إلى توفيق رباني- إن حقيقة التوحيد، هي **(أن لا ترى في الوجود أحدا سواه!)**.. لا أن يرى الشيء صغيرا، بل لا يراه أصلا!.. إن المؤمن يصل إلى هذه الدرجة، لأنه يجعل المحدود بجوار اللامحدود.. ولا تفاضل بين المحدود واللامحدود، فالتفاضل بين الممكنات بين المحدودات.. ولهذا عندما نقول: **(الله أكبر)**، ليس المعنى أن الله أكبر من زيد وعمر، فرب العالمين لا يجعل بجانب غيره، **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**..

فإن، إن الحل لتوحد الهموم، هو هذه الحالة، من تقوية التوحيد بكل أبعاده.

**س3/ ذكر في الوصية عدم الانشغال الشديد بالمشاكل الحياتية، وتفويض الأمر لله تعالى، فهو الذي يجعل المخرج لعبده.. ولكن البعض قد يقول: إننا طالما دعونا الله تعالى، فلم نر المخرج.. فما تعليقكم في هذا المجال؟..**

إن من المستحيلات أن يدعو الإنسان ربه في طلب حاجة، ولا يعطاها!.. وإن البعض قد يستغرب ويقول: أي مستحيل هذا، ونحن في حياتنا معظم الحوائج لا نحصل عليها بالدعاء!..  
فنقول: إن المشكلة أن الإنسان لم يعمل بقاعدة الدعاء!.. لو أن إنساناً أراد أن يركب جزيء ماء، وأتى بذرة أوكسجين وذرة هيدروجين، فهذا لا يحصل على مطلوبه، فالماء يحتاج إلى ذرتين أوكسجين وذرة هيدروجين..

### شروط استجابة الدعاء:

لو تأملنا في هذه الآية الكريمة: **{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**؛ لوجدنا ضالتنا المنشودة الموجبة للتحقق الدعاء، ومن ثم الاستجابة القطعية.. فإن الآية تشير إلى شرطين أساسيين، وهما:

### أولاً: معرفة من ندعو:

إن الدعاء يحتاج إلى توجه والتفات، إلى الجهة المدعوة.. والتوجه فرع معرفة المتوجه إليه، فالذي ندعوه، وهو الله تعالى لا بد وأن نعرفه.. فالذي لا يعرف الله تعالى بعظمته وبجلاله، ولا يستشعر حالة الحب له، فإنه في الحقيقة - وإن دعا، ورفع يديه إلى السماء- لم يحقق شرط الدعاء، بل إن دعاءه حديث مع مجهول.. فكيف للإنسان أن يدعو من هو مجهولاً عنده؟!..

### ثانياً: استشعار حالة الطلب:

إن الدعاء طلب، وحالة في القلب، وليس مجرد لقلقة باللسان.. فهناك فرق بين الدعاء، وبين قراءة الدعاء!.. إن البعض في ليالي الجمع (يقراً) دعاء كميل، وفي ليالي شهر رمضان (يقراً) دعاء أبي حمزة، لا أنه (يدعو)، فالدعاء لم يتحقق، لأن القراءة غير الدعاء..

فإذا تحقق الشرطان، أي أن الإنسان كان عارفاً بربه، محباً له، وعاش حالة الدعاء؛ يتحقق الطرف الآخر من المعادلة، وهو الاستجابة.. وإن من المستحيل أن يخلف رب العالمين وعده، لأن خلف الوعد صفة قبيحة، ورب العالمين منزّه عن كل قبيح..

فالاستجابة محققة قطعاً مع تحقق الشرطين، ولكن بحسب حكمة الله تعالى، فقد تكون في الدنيا عاجلاً أو آجلاً، أو في الآخرة في عرصات القيامة.



إن الفرص تمر كما تمر السحاب، فقد تمر على العبد فترة تفتح فيها شهيته لبعض الموائد الربانية، ولكن عدم التزود وعدم الإقبال على الرزق المعنوي، يزيل الشهية أولاً، ثم يوجب رفع المائدة ثانياً إلى غير رجعة.. ومن المؤسف في هذا المجال أن العبد قد لا يلتفت أصلاً إلى هذه الفرص، فلا يشعر بها إلا بعد مرورها!.

س1/ في الوصية إشارة إلى ضرورة استغلال الفرص، لنلا تمر على المؤمن وهو في خسران مبين.. ما المقصود بالفرص؟.. وما هي الفرصة الذهبية التي تمر على العبد؟..

إن المقصود من الفرص هي التجليات الخاصة التي يعطيها رب العالمين لعبده.. فتجلياته العامة لا كلام فيها، فلولا هذا التجلي، لما خرج الوجود من بوتقة العدم.. فإن رب العالمين بحكمته الباهرة، له تجليات خاصة: زمانية، ومكانية.. ومن الأمثلة على موارد تجلياته الزمانية: شهر رمضان، وشهر محرم.. وعلى تجلياته المكانية: بيته الحرام، ومشاهد أوليائه، أو عند بعض حالات الطبيعة كنزول المطر..

وإن على العبد أن يتعرف على هذه التجليات أولاً، وفي روايات أهل البيت (ع) يستفاد أن هناك ساعات معينة، تكون الدعوة فيها مستجابة.. ثم عليه أن يحاول أن يتحين هذه الفرص، للتوجه إلى الله تعالى.

والملاحظ بأن المؤمن في هذه الحالات أكثر إنسيابية، بمعنى أنه يكون أكثر توجهها وتفاعلاً ورغبة في التقرب إلى ربه، قياساً إلى غيرها من الحالات.. كالسفن الشراعية سابقاً، فإنها بلا هبات النسيم قد تمشي بسرعة، ولكنها إذا هبت الرياح تسرع من سيرها.. فإن المؤمن في تقربه إلى ربه، في سير متواصل، ولكن هذه النفحات والهبات والنسائم الإلهية قد تهب عليه، فيسرع من سيره.

وإن الذي لا يعرف هذه المواطن، بمثابة ربان سفينة غير خبير بعمله، وفي ساعة هبوب الرياح لا يكون مستعداً، وقد لف شراع السفينة.. فمثل هذا الربان، من الطبيعي أن لا تدفع سفينته للأمام، لأنه لم يبسط شراعه!..

ولكن البعض قد يقول: إن هذه فرص نادرة، فالحج في العمر مرة، وليلة القدر في السنة مرة.. فكيف تغرينا بهذه الفرص؟!..

فأقول: إن من الفرص التي لا تحتاج إلى زمان، ولا إلى مكان، ولا إلى نزول مطر وغيره، هي حالة رقة القلب.. فالذي يعطى منحة رقة القلب، فإنه أعطي أفضل فرصة من فرص الاستجابة، فهو عند المنكسرة قلوبهم.. ومع الأسف، فإن بعض العبيد لا يستغلون هذه الفرصة!.. كالإنسان المريض، فهو في معرض الرحمة والالتفاتة الإلهية، لما هو فيه من حالة انكسار قلبه، ولما يعيشه من آلام وسهر؛ ولكنه يفوت على نفسه هذه الفرصة!..

وإن من الفرص التي نفوتها نحن محبي أهل البيت (ع)، الفرص بعد مجالس ذكرهم!.. فإن البعض يكتفي بالاستماع من الواعظ، والبكاء من الناعي، ولكنه لا يستغل هذه الحالة من الرقة ختام المجلس، فيدعو بدعوة الداعي بشكل جيد!..

وقد ورد عن الإمام الرضا (ع): **(أحسنوا جوار النعم فإنها وحشية، ما نأت عن قوم فعادت إليهم)..** إن الإنسان مثلا عندما يعطى رقة في ليلة من ليالي القدر، ثم لا يعرف قدرها، بمخالفته مقتضى الحالة، بأن يعصي ربه مباشرة، فلا شك أن هذه الحالة قد تسلب إلى غير رجعة.

س2/ إن الفرص التي تمر على المؤمن، هي من النعم الإلهية، ومن المعلوم أن عدم شكر النعم يوجب السلب، وخاصة النعم المعنوية.. فما هي النصيحة في هذا المجال؟..

إن الحالات الروحية الإيجابية، هي شأن من شؤون المولى تعالى، وينبغي تقديرها كما ينبغي، وإلا فرت بلا رجعة!.. فإن رب العالمين عندما يعطي العبد حالة من الذكر القهري بعد غفلة، أو وهو في غفلة؛ فهذه علامة واضحة من رب العالمين أنه يريد من عبده أن يذكره.. والبعض لما تحصل له هذه الحالة يستغرب، ويقول: إنه كان جالسا في بيته مع أولاده، في جو من الفرح والمرح، وإذا تأتيه رقة فجائية، تدفعه دفعا للانقطاع للذكر.. وإنه قد يكون في حرم سيد الشهداء (ع)-مثلا- ولا تأتيه مثل هذه الحالة.. ولعل من معاني: **(عرفت الله بنقض العزائم، وفسخ الهمم)**، أمثال هذه الحالات الروحية الإيجابية، التي لا مبرر لها.

إن رب العالمين عندما يعطي العبد حالة من الذكر القهري، وكأنه أراد أن يقول للعبد: التفت إلي!.. أريدك أن تحدثني، من خلال الصلاة، أو تسمع حديثي من خلال قراءة القرآن الكريم.. ولكن العبد-مع الأسف- لا يلتفت لهذه الرقة، وإذا التفت إليها فإنه يلتفت لحظات، ويرجع إلى حالة الغفلة!..

وإن أقرب مثال على ذلك، ما نراه في موسم الحج، فترى بعض الناس-مثلا- أنه في حالة طواف مستحب، وله حالة من حالات الرقة، فينظر إلى الساعة، فيرى أنها الواحدة ظهرا، فيتذكر أنه وقت طعام الغذاء، ويقطع طوافه المستحب، ويقطع حالته، ليأكل لقمة من الطعام!..

فإذا كان الإنسان تعامله هكذا مع النعم الإلهية، فبالأكيد أن رب العالمين سيسلبها منه، ويقول له: أنت لا تعرف قدر ما أعطيناك، فلن نعطيك ثانية!.. وإن كان هذا المعنى قد لا يعرفه العبد إلا في القبر، وفي عرصات يوم القيامة، عندما يقال له: في موطن كذا، في ساعة كذا، كم حركناك؟!.. كم ذكرناك؟!.. كم أجرينا دمعتك؟!.. ومن الملفت أن الآية الكريمة: **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}**؛ تشير إلى هذه الحقيقة، فالتوبة من الرب هنا بمعنى الالتفاتة الإلهية للعبد، أي أن رب العالمين أولا التفت إليهم، وموجب هذه الالتفاتة أن يتوبوا، ثم إنه تعالى قبل توبتهم.. ولكن من لا يقدر عطاء رب العالمين، أو من لا يقدر التفاتته، فلا شك أنه قد يبتلى بالحرمان، وعدم إرجاع هذه الحالة مرة أخرى.

س3/ إن الذي أمضى شظرا من عمره في الغفلة والمعصية، وفاتته هذه الفرص والنفحات الإلهية، هل يمكنه التدارك؟..

بلا شك!.. إن رب العالمين مدرك لكل فوت، وإن الذي ييأس من رحمة الله تعالى في هذا الحقل، فإنه من الخاسرين!..

إن مثل من يستفيق على واقع سلبي محزن، كممثل إنسان كان نائماً في مكان قذر، فلما استيقظ إذا به يفاجأ بأنه في هذا المكان القذر، فيشمئز من نتن الرائحة، والمناظر الكريهة.. فهذا قطعاً لا يمكنه أن يبقى لحظة، فيما كان فيه، ويجد في السير ما أمكنه، لئبتعد عنه، قاصداً ذلك البستان المليء بالأزهار والرياحين!..

كذلك فإن الشاب المراهق الذي أمضى شطراً من حياته في مخالفة الله تعالى، وأرهقته الذنوب، عندما يستيقظ على واقعه المرير، ويرتدع عن ما كان يرتكبه من المعاصي، فإنه يجد في السير، وقد يقطع في شهر واحد، ما لم يقطعه العابد المطيع عشرين سنة.. لأن العابد يعبد ربه وهو مدل على ربه، وكأنه في باطنه يمن على ربه، ويقول: من مثلي يعبد ربه؟!.. أما هذا الشاب المراهق، فإنه من الممكن في لحظات، للحالة التي يعيشها من الخجل من الله تعالى، أن يصل إلى مدارج كمالية عليا..

وإن أقرب مثالين بارزين على ذلك، هما: الحر بن يزيد الرياحي، وبشر الحافي صاحب القصة المشهورة.. فالتأمل في الموقف الذي اتخذته الحر في يوم عاشوراء، يلاحظ أنه موقف قليل النظير، مع ما كان يعيشه من حالة الاستحياء!.. ومن الممكن أن نقول: إن حالة الاستحياء التي كان فيها الحر بن يزيد في يوم عاشوراء، يمكن أنه ما عاشها حبيب بن مظاهر، وما عاشها زهير، لأن هؤلاء كان لهم تاريخ ناصع.. فإن هذا الاستحياء الذي عاشه الحر، جعل الإمام (ع) يلتفت إليه التفاتة خاصة..

فالبعض حالته مع رب العالمين كالحر، ولما يرجع فحاله-كما في دعاء كميل-: **(وقد أتيتك يا إلهي!.. بعد تقصيري وإسرافي على نفسي، معذراً نادماً، منكسراً مستقبلاً، مستغفراً منيباً، مقراً مذعناً معترفاً)..** وإن هذا من موجبات تنزل الرحمة الإلهية الغامرة.

### 39. قضاء الحوائج

إن من موجبات منة الحق على عبده، هو الاهتمام بحوائج العباد الذين هم عيال الله تعالى، وإدخال السرور عليهم، سواء فيما يتعلق بالمادة أو المعنى، ومن المعلوم الأثر الأعظم لإدخال السرور على الملك الحق المبين.. وعلى العبد أن يسعى للتعرف على حوائج الخلق، قبل ابتلائهم بذل السؤال.. ومن اللازم هنا الالتفات لعظمة تأثير تفريج الكروب عن النفوس، في شرح الصدور.

س1/ إن الملاحظ في الروايات المبالغة في التأكيد على قضاء حوائج المؤمنين.. فما هو السر في ذلك؟.. إن التأكيد على قضاء حوائج المؤمنين في روايات أهل البيت (ع)، لعله يكون في الدرجة الثانية بعد التوحيد.. فالدرجة الأولى: العلاقة مع الرب الخالق، وهي علاقة الإيمان والتوحيد.. والدرجة الثانية: العلاقة مع الخلق، وهي علاقة قضاء الحوائج، بالمعنى الأعم..

**وهناك بعدان في مسألة قضاء حوائج المؤمنين:**

**البعد الأول: توقير جهة الربوبية:**

نحن إنما نقضي حاجة المؤمن؛ لإيمانه.. إن البعض يقضي الحوائج، ويؤسس المؤسسات الخيرية والإنسانية، ولكن بدوافع بشرية ذاتية، مثلاً لحبه لبني آدم.. فهذا لا يصب في خانة قضاء حوائج المؤمنين، امتثالاً لأمر الله تعالى.. وفي التاريخ هناك جماعة مغرمون بقضاء الحوائج، وهم من الأديان المنحرفة.. وبعض الفسقة لهم نشاطات إنسانية كبيرة، فمع أنه مع رب العالمين من أفسق الفساق، ولكنه يطعم الآلاف وغيره، والحال بأنه **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**.. وإن رب العالمين قد يعجل للبعض من هؤلاء الجائزة في الدنيا، فيعطيه سعة في الرزق، أو عافية..

إن قضاء حوائج المؤمنين، فيه توقير لجهة الربوبية.. وكأن العبد المؤمن يريد أن يقول لربه: يا رب!.. لأن هذا عبدك، فأنا أكرمه.. ولهذا فإن المؤمن إذا كانت له إمكانية أو فرصة محدودة لخدمة المؤمنين، فإنه يقدم الأقرب فالأقرب.. وبتعبير بعضهم يقول: أنظر إلى القلوب، فبمقدار ما لهم عند الله تعالى من نصيب، أحسن إليهم.. فلو أن ولدي جاء يستقرضني، وهناك غريب جاء يستقرضني، وأنا إمكانية محدودة، وهذا الغريب أقرب إلى الله تعالى من ولدي، فإني أقدم حاجة الغريب على حاجة ولدي.

**البعد الثاني: تحقيق الغرض الربوبي:**

إن رب العالمين يحب عباده أشد الحب، فحب رب العالمين لعباده أكثر وأبعد وأعمق، بما لا يقاس من حب عباده له.. لأن هذا الحب للمخلوق المؤمن، صادر من اللامحدود.. بينما حب المؤمن لربه، يكون بحسبه.. ومن هنا يمكن أن نقول بأن حب الله تعالى لحبيبه المصطفى (ص)، أشد من حب المصطفى لله تعالى.

إن المؤمن عندما يقع في ضائقة وشدة، فرب العالمين يحب عبده، ويحب أن تفك ضائقته وتفرج شدته، ولكن البناء العام هو على عدم خرق عالم الأسباب.. فلو أن مؤمنا-مثلا- في صحراء يكاد يموت عطشا.. فأن ينزل رب العالمين عليه ماء من السماء وغمامة، يحتاج إلى إعجاز.. ولكن لو وجد إنسان على وجه الأرض، له خيمة، وفيها ماء، وأعطاه شربة من الماء، فقد تحقق الغرض الربوبي..

فرب العالمين يريد أن يقضي حوائج خلقه، ولكن لا عبر المعجزات، فالمعجزات حوادث نادرة في التاريخ.. وعندما يأتي مؤمن، وهو يقضي حاجة العبد، كأنه قضى حاجة رب العالمين، وكأنه صار أداة لتنجيز الإرادة الإلهية. قال رسول الله (ص): **(الخلق عيال الله تعالى، فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله، أو أدخل على أهل بيت سرورا).**

س2/ هل إن المقصود بالحث على قضاء الحوائج المادية فقط، أم أنه يشمل حتى الحوائج المعنوية؟.. وهل هناك فرق بين قضاء الحوائج المادية والمعنوية؟..

إن مما يستفاد من الروايات أن إطعام الطعام، بأن تسد جوعة أخيك المؤمن، أو تسقيه شربة من الماء، من مصاديق قضاء الحوائج.. والملفت أن هناك حثا بليغا في هذا المجال، ويترتب عليه الأجور العظيمة، ولو الإطعام بالقليل، كما ورد عن الرسول الأكرم (ص)، أنه قال في خطبة عن فضل شهر رمضان: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)**.. وقال أيضا (ص): **(لا تردوا السائل ولو بشق تمرة)**.

فإذا كان الطعام المادي له هكذا من الأجر، فكيف إذا كان طعاما معنويا تكامليا، بأن أرشدته مثلا إلى صلاة الليل؟!.. لا بل كيف إذا كان طعاما معنويا، فيه قوامه، ويحدد مصيره، بأن رأيت كافرا وهديته للإسلام، أو أن رأيت مسلما ضائعا في اتخاذ اتجاه الفكر الصحيح، ووجهته اتجاه صحيحا؟!..

إذا كان الله تعالى يجعل العقاب، لمن لا يطعم المسكين، كما قال تعالى: **{مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ}**.. إذا كان إطعام المسكين بهذه الرتبة العظمى، فكيف إذا كان الأمر بهداية المسكين، وهداية اليتيم؟!.. فما لا شك أن قضاء الحوائج المعنوية، أرقى من قضاء الحوائج المادية.

وهنا نقول للذي يتفاحس عن خدمة المؤمنين، بدعوى أنه إنسان فقير، ولا وجهة له، ولا مكانة له، نقول: أليس لك لسان؟.. أليست لك حكمة؟.. أنت بإمكانك بكلمة حكيمة، أن تزيج جبالا من الهموم عن قلب أخيك المؤمن.. ولو أنك دعوته لعشرات المطاعم، وقدمت له أفرح أنواع الطعام، فإن هذا الهم لا يرتفع.. ولكن أنت بكلمة، أو بمزحة شرعية، أذهبت عنه ما هو فيه من الهم والغم.

س3/ ما هي شروط قضاء الحاجة كما يحب الله تعالى؟..

هناك الشروط الثلاثة: كتمان قضاء الحاجة، وتصغيرها، وتعجيلها.. كما ورد عن الإمام علي (ع): **(لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث: باستصغارها لتعظم، وباستكتمائها لتظهر، وبتعجيلها لتتهأ).**

**أولا: كتمان قضاء حاجة الغير:** إن من اللازم كتمان قضاء حوائج الغير، وعدم التبجح والمن، وإلا فإنه قد يذهب الأجر!.. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}..**

**وثانيا: تصغيرها:** أي أن لا ترى أن ما قمت به أمرا معتدا به.. ولهذا فإن من صفات المؤمن، أنه ينسى إحسانه لغيره، ويتذكر إساءته لغيره.

**وثالثا: تعجيلها:** إن بعض الناس يماطل في قضاء الحاجة، إلى درجة يجعل الشخص الموعد صاحب الحاجة، يعيش عذابا نفسيا!.. وإذا قضيت الحاجة ففرحه بقضائها، أقل بكثير من أذاه بالمماطلة!.. وكما يقال: **(اليأس إحدى الراحتين!)**.. فالإنسان إما أن يعد، فيفي بالوعد؛ وإما أن يكون صريحا مع أخيه المؤمن، بأنه لا يمكنه قضاء حاجته، وبذلك لا يجعله يعيش حالة الانتظار.

**ورابعا: قصد القرية إلى الله تعالى:** فبالإضافة إلى هذه الشروط الثلاثة، هذا الشرط المهيم عليها، وهو أن يقضي حاجة أخيه المؤمن، بنية أن يدخل السرور على الله ورسوله.. وبذلك يكون قضاء هذه الحاجة، واجدا لكل هذه المواصفات، التي هي مطلوبة بجمعها.

وينبغي أن نلتفت بأن التعبير الأدق بالنسبة لحوائج المؤمنين، هو أن نسعى لقضاء حوائجهم، لا أن نقضي الحوائج.. فالمطلوب هو السعي في قضاء حاجة المؤمن، قضيت أو لم تقض.. فإذا رأيت مؤمنا عنده حاجة، وهو يئس من قضائها، وهناك احتمال أنك لو أخذته للمسؤول المعين، فإن حاجته ستفرج؛ فأنت تسعى، والبقية أنت ليس مكلفا به..

أما إذا لم يمكنك قضاء الحاجة، ولا السعي في قضائها.. مثلا: مؤمن طلب منك مالا، وأنت لا تملكه، فلا يمكنك قضاء حاجته، ولا يمكنك أيضا أن تسعى لتقضى عند الغير.. ففي مثل هذه الحالة ينبغي أن تعيش هم أخيك، وتدعو له في جوف الليل، فلعل هذا الدعاء يصبح من موجبات قضاء الحاجة، أكثر من سعيك الخارجي.

## 40. هداية الآخرين

لا ينبغي الانشغال بالنفس عن الغير، وكذلك العكس، فالكثيرون لا يعرفون أوليات الشريعة في حلالها وحرامها، فشكر نعمة الهداية يقتضي الأخذ بيد من يمكن هدايته، وعلى الخصوص الأقربين.. فمن أفضل سبل التقرب إلى الحق المتعال، هو تحبيب العباد إليه تعالى: بذكر آلائه ونعمه، ومن ثم تخليصهم مما تورطوا فيه من موجبات البعد عن الحق المتعال.

س1/ إذا كانت هداية الآخرين تحتاج إلى تخصص علمي، فكيف ندعو للسعي إلى ذلك؟..

إن شاء تعالى ختامه سيكون ختام مسك!.. فإن (هداية الآخرين) جعلناها آخر الوصايا الأربعين.. ولولا هذه الحلقات بشكل عام لما توفى المتوفقون، ل طرح هذه المفاهيم.. فبهداية الآخرين، و طرح هذه المفاهيم تنتشر هذه الأمواج الطيبة، في أوساط المؤمنين..

نحن نقول: إن هداية الغير، تحتاج إلى تخصص في الشريعة، فالكلام ليس في الهداية الطيبة، ولا الهداية البيئية.. ومن ناحية أخرى نقول: إنه تكليف الجميع.. ونحن ذكرنا في إحدى الحلقات، أن التكامل للجميع، ومن موجبات التكامل هداية الغير.. فإذن، صار الكلام متناقضا، بين قولنا: (التكامل للجميع)، وقولنا: (هداية الغير تحتاج إلى تخصص)!!

والجواب على هذه الشبهة: إن كل واحد منا، عليه أن ينفق مما رزقه الله تعالى، لا في المجال المادي فحسب، بل حتى في المجال العلمي والمعنوي.. إن الصدقات عادة يدفعها الغني للفقير، ولكن حتى الفقير الذي لا يملك قوت يومه، قد تكون له شيء من الصدقات، لدفع البلاء عنه، وعن ولده المريض مثلا.. فكيف هو إنسان فقير، ويعطي مما عنده بحسبه؟!..

أيضا فإن الفقراء علميا، والفقراء إيمانيا، يمكن أن يعطوا بحسبهم.. فلنفترض أنك فقير، لم تدرس لا في حوزة علمية، ولم تقرأ كتابا، ولكن أليست لديك حكمة في الحياة؟.. إن بعض كبار السن من الأميين، ولكنهم عقلاء، ويذهبون إليهم للمشورة في الزواج وغيرها.. وهذا أمير المؤمنين (ع) الذي علمه متصل بالسماء، وفتحت له أبواب العلم، ولكن عندما أراد أن يتزوج بعد استشهاد السيدة (ع)، ذهب إلى عقيل، وطلب منه أن يدلّه على امرأة تلد له الفحول من العرب..

إن المؤمن لا يعقل أن يكون جاهلا محضا، بلا تجارب، وبلا حكم!.. وعليه، فإن على كل واحد منا أن يعطي مما أتاه الله تعالى، بحسب ما عنده من الرصيد.. وإن الذي يتعود ويستأنس بهداية الغير، فإنه يعشق الثقافة.. لأنه عندما يفرغ رصيده، يحتاج إلى أن يثقف نفسه من جديد.. فمثله كإنسان عنده خزان مائي، ويريد أن يسقي العطاشى، فعندما ينفد ما في الخزان، وهو قد أعرم بسقي العطاشى، فإنه يتزود بماء جديد، حتى يعطي الغير.

س2/ ذكر في الوصية أن من أفضل سبل التقرب إلى الله تعالى، تحبيب الخلق إليه.. فكيف يكون ذلك؟..

إن رب العالمين يحب أن يكون له عبيدا، كما نفهم من قوله تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**.. ومن ما ورد في الحديث القدسي: **(كنت كنز مخفيا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف)**.. وإن المؤمن عندما يدل العباد التائبين، إلى الطريق الصحيح، فقد صار مساهما في تحقيق هدف الخلق، ألا وهو العبودية لله تعالى، وتحبيب الناس إلى الله تعالى؛ ولهذا فإن الله تعالى يشكر له هذا السعي.

ومن اللازم أن يسعى المؤمن في تحبيب الناس إلى الله تعالى، لا أن يكون مجرد ناقل للأمر الشرعية.. فإن هناك فرقا بين إنسان ينقل مسألة شرعية لجاهل بها، بشكل جدي من غير تحبيب، فيقول مثلا: يا فلان غسل الجنابة كذا وكذا.. أو المفهوم الإسلامي حول المرأة كذا وكذا؛ وبين إنسان آخر يريد أن يحبب العبيد إلى الله تعالى..

أوحى الله تعالى إلى موسى (ع): **(حَبِّبِي إِلَى خَلْقِي، وَحَبِّبْ خَلْقِي إِلَيَّ.. قَالَ: يَا رَبِّ!.. كَيْفَ أَفْعَلُ؟.. قَالَ: ذَكَرْهُمْ آلَائِي وَنِعْمَائِي لِيَحِبُّونِي.. فَلَمَّا تَرَدَّ أَبْقَاً عَنِ بَابِي، أَوْ ضَالًّا عَنِ فَنَائِي، أَفْضَلَ لَكَ مِنْ عِبَادَةِ مِئَةِ سَنَةٍ بِصِيَامِ نَهَارِهَا وَقِيَامِ لَيْلِهَا)..**

إن هناك فرقا بين من يخاطب العقول من خلال الكلمة، ومن المعلوم أن الكلمة تخرج وتطرق طبلة الأذن، وتنتقل عبر إشارات عصبية إلى المخ، والمخ يفهم ويستوعب أن هذا حرام وهذا واجب؛ وبين من يتكلم مع القلب مباشرة.. وإن المؤمن له هذه الخاصية، أنه يتكلم بلسانه وقلبه؛ وقد يتكلم بقلبه لا بلسانه، فبنظرة فيها غضب، يفهمه أن هذا حرام.. كما هو المعلوم عن بعض الخواص من المؤمنين- ما يعبر عنهم بالكاملين- فإن هؤلاء لهم خاصية التغيير الأنفسي، بنظرة شبه ولائية مستمدة من ولاية الله ورسوله.. فالبعض منهم كان يربي تلاميذه على ترك بعض الأمور المنكرة، من خلال النظرة التكوينية..

وإن هذا ليس بأمر غريب، فكما أن الله تعالى جعل العصا تتحول إلى ثعبان لموسى (ع)، فإنه أيضا يجعل القلوب تنقاد لعبده المؤمن.. وهذا الذي حدث في الصدر الأول للإسلام، فإن رب العالمين من خلال حبيبه المصطفى (ص)، تدخل في قلوب الناس، كما قال تعالى: **{وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا}**.. فما المانع أن يقول المؤمن أيضا: يا رب!.. كما تدخلت في قلوب الأوس والخزرج والجاهليين.. يا رب!.. لين قلب زوجي وأولادي وأسرتي ومجتمعي.. ولهذا نلاحظ أن بعض الناس بكلمة موجزة، ينجز أمورا كبيرة جدا.

س3/ هل هناك توصيات عامة للحصول على قوة التأثير في نفوس الخلق؟..

إن هذا يحتاج إلى حديث مفصل ولكن إجمالا نقول:

**أولا: العمل بما يقال:**

إن الإنسان إذا كان يصلي صلاة الليل، وقد تذوق حلاوة صلاة الليل، ورأى بعض التجليات؛ فإنه عندما يعظ الناس بقيام الليل، يختلف عن إنسان لم يقم ليلة أبدا.. وكذلك إن الإنسان إذا كان غاضا لبصره، ورأى العجائب، أي كان مصداقا لهذه المقولة: **(غضوا أبصاركم، تروا العجائب)**؛ فهذا عندما يذكر سلبيات النظر، فإن كلامه يكون مؤثرا في الناس.



## وثانيا: العمل الصالح بكل أنواعه:

نحن نلاحظ في القرآن الكريم، هذا التعبير المتكرر: (العمل بالصلحاحات).. و(الصلحاحات) جمع محلى بأل، أي يفيد العموم، فالمعنى جميع الصالحات..

فالذي يريد أن يكون مؤثرا في الناس، لا بد أن لا يدع خصلة من خصال الخير إلا وقد عمل بها.. فغندئذ ينطبق عليه ممن عمل الصالحات، ويحقق التأثير المطلوب..

وهناك رأي آخر: إنه ليس المراد كل الصالحات، وإلا صرنا مقاربين لرتبة المعصومين (ع).. إنما المؤمن بناءه على أن لا يدع خصلة من خصال النبي (ص)، إلا وقد عمل بها، ولو في العمر مرة واحدة.

فالذي حقق هذا الشرط: **{إِنَّ الدِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}**، فسوف يتحقق في حقه الجزاء القرآني: **{سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}**.. والنكرة هنا تفيد التعظيم..

وقد تقول: كيف يجعل رب العالمين لهم الود؟..

فنقول: إن رب العالمين كما جعل المودة بين الزوجين، كما قال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}**؛ فإنه يجعل مودة المؤمن في قلوب الناس أيضا.. قد تقول كيف يكون ذلك؟.. إن المتزوجين هم يدركون هذه الحقيقة!.. فإنك ترى بعد العقد مباشرة، وإذا بالأجنبيين يتحولان إلى حبيبين!.. إن هذا العقد ماذا عمل؟!.. هما ماذا عملا؟!.. ما الذي جعل الزوجة تتحول إلى امرأة كأنك عشت معها دهرا؟!.. ولهذا نلاحظ الغيرة المتعارفة بين أم الزوج والزوجة، لأن الأم في ليلة تفقد ولدها بعد عمر طويل من التربية، وإذا بهذا القلب تعلق بامرأة كانت أجنبية عنه قبل العقد!.. إن الرب الذي يتدخل في قلوب الحيوانات والطيور، وبني آدم، والزوجين؛ فما المانع أن يلين قلوب الناس في عالم الدعوة إلى الله تعالى.

ولهذا أؤكد مرة أخرى على هذه الحقيقة: إن المؤمن إذا أعطي هذا الود، وأعطي حسن التأثير؛ فلا شك أنه سيصبح من كبار الدعوة إلى الله تعالى، في الظلمات التي نعيشها هذه الأيام.. كما نسمع في سيرة بعض العلماء السلف، حيث يقال: **(إن فلان رزق القبول)**، أي رزق القبول في نفوس الناس.

## 41- جولة في مجمل الوصايا

### س1/ ما هو تقييمكم إجمالاً على عرض الوصايا الأربعين في قناة المعارف المباركة؟..

كان البناء على ختم الحلقات الأربعين بالحلقة الأخيرة: (هداية الآخرين).. ولكن هذا اقتراح في محله، وذلك بأن نأخذ جولة سريعة، فيما مضى من هذه الحلقات الأربعين، التي تحدثنا فيها عن معالم الطريق إلى الله تعالى. لأن المشكلة ليست في النوايا الطيبة والهمة؛ فالبعض له همة، ولكنه في مقام العمل لا يعلم أين الطريق.. وكما يقول أحد كبار العلماء: إن الإنسان الضال عن الطريق، بمجرد أن يرى بلدته قريبة، ولو على مسافة أيام وليالٍ مثلاً، فإنه يهدأ ويرتاح قليلاً، وكأنه وصل إلى غايته.. فلا بد من وجود خطة في هذا المجال؛ وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه المستغلون، ممن يسيئون الاستفادة من هذه الرغبة الفطرية عند الكثيرين، ويحرفونهم عن الطريق.. فالبعض عندما يرى بعض السلبيات في هذه المجال، فإنه ينصرف عن أصل الحركة.

ونحن دائماً نقول: لا ينبغي الخلط بين الإسلام والمسلمين، بل وحتى بين الإسلام وعلماء الإسلام.. فإن الإسلام والإيمان عبارة عن حقائق، وهذه الحقائق تارة تكون في قلوب الرجال بشكل كامل، كالمعصومين (ع)؛ وقد يكون جزءاً منها في قلوب البعض.. فليس هنالك من يمثل الإسلام، تمثيلاً كاملاً إلا النبي (ص) والأئمة (ع) من بعده.

وأما بالنسبة إلى التقييم، فكما يقال: **(لا تنظر إلى من قال، بل انظر إلى ما قيل)**.. وإن ما قيل -بحمد الله تعالى- أرى له انعكاساً طيباً؛ فمن خلال سفراتنا لبعض البلدان والمشاهد المشرفة، نلاحظ أن البعض كأنه تلمس بعض المعالم، وروى شيئاً من عطشه.. كنا قبل فترة في زيارة لبعض مشاهد الأئمة، والبعض كان يقول لي شخصياً: أنه عندما يستمع لهذه الحلقات، كان يحرص على أن يهدأ الجميع من أولاده وزوجته، لأنه يريد أن يسمع بشكل مركز ودقيق.. فيبدو أن النفوس -بحمد الله تعالى- طيبة ومتعطشة.. وإن هذا ليس بالأمر الغريب، فالإنسان خلق على الفطرة، ورب العالمين له عناية بخلقه: **(إن لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها)**.

أنا أشكر الله تعالى على أن هناك طبقة كبيرة من الأخوة نساء ورجالاً، استثمروا هذه الحلقات، وتجلّى لهم التأثير من خلال صلواتهم الخاشعة.. والبعض يقول: إن أول مرآة انعكس فيها تأثير هذه الحلقات، هي مرآة الحديث مع رب العالمين، المتمثلة بالصلاة لرب الأرياب.

### س2/ ما هي أهم الوصايا التي تنصحون بالتركيز عليها؟..

إن من بين أربعين وصية قد يكون من الصعب أن نذكر الأهم فالأهم، ولكن إجمالاً نقول:

#### أولاً: اتخاذ السبيل:

أن يحرص الإنسان على أن يكون له هم السير إلى الله تعالى.. وفي حلقة سابقة قلنا: إن هناك فرقاً بين الرياضي المحترف في النادي، والرياضي الهاوي في المنزل.. فلو أن إنساناً مثلاً يستهوي أن يقوي عضلاته، فذهب للطبيب، وقال له: احذر السمنة، واحذر ارتفاع نسبة الدهون في الدم، واحذر كذا وكذا.. فتأثر بكلام الطبيب، واشترى جهازاً

للرياضة ليمارس الرياضة في المنزل، ولكنه بعد أيام نسي ما قاله الطبيب، وترك الرياضة، أو يمارس يوما ويترك أشهرًا.. فهل هذا يؤمل منه أن يصبح رياضيا محترفا في يوم ما؟!.. بخلاف البعض من عشاق النوادي والبطولات، الذي قد يظل عشرين سنة وهو يقضي وقته في الملاعب، وهم في هذا الأمر.. ولهذا فإنه يُرجى له بعد هذا الجهد المتواصل، والممارسة المستمرة المنتظمة لسنوات، أن يصبح بطلا-مثلا- في رياضة كمال الأجسام يوما ما..

وقياسا على ذلك نقول: إذا كانت تربية العضلات تحتاج إلى سنوات من الجهد، مع أن العضلات-كما نعلم- مآلها إلى الديدان والتراب، فكيف بمن يريد أن يربي باطنه!.. لا شك أن النفس أعقد بكثير من هذا البدن، وأن الأمر يحتاج إلى هم متميز، أو على الأقل أن يعطى من الوقت بنفس المقدار الذي يعطى للنوادي الرياضية.. فإن الذين يحملون الأثقال هذه الأيام، لهم في اليوم ساعتين أو ثلاث ساعات، وهم يتدربون في النوادي الرياضية.. فكيف بإنسان يحب أن يتكامل، وهو لا يقرأ جزءا أو نصف جزء في اليوم، ولا يصلي النوافل، ولا يقوم لصلاة الليل؟!.. إن من الأمور اللازمة لمن يريد السلوك في الطريق إلى الله تعالى، أن يحمل هم القرب إلى الله تعالى، كما يحمل هم الرزق، والزوجة والأولاد، والعمل.. وأن يجعل هذا الهم هما كبيرا في حياته، بل يجعله هو سيد الهموم، بأن يكون كما في وصف علي (ع) للمتقين: **قد (تخلى من الهموم، إلا هما واحدا انفرد به)..**

### ثانيا: هداية الآخرين:

إن من سبل التقرب العظمى إلى الله تعالى، الأخذ بيد الغير.. ولكن-مع الأسف- الملاحظ بأن البعض يتقاعس عن هذا السبيل، بدعوى عدم التميز، فقد يقول: أنا لست مؤهلا لنصيحة الناس بصلاة الليل، فلماذا أدعوهم لصلاة الليل؟!.. والحال بأن الإنسان ما عليه إلا أن يسعى ويعمل بتكليفه في إرشاد الناس، وإنقاذهم من حيرة الجهل والضلالة.. وليقل: يا رب!.. أنا أحاول التصدي لهداية الناس ووعظهم، وأدعوهم لصلاة الليل، وأنصحهم بعمل الصالحات، وأربي من يمكنني.. ولكن يا رب!.. أنت خذ بيدي، ولا تفضحني لا في الدنيا ولا في الآخرة..

ولهذا يقال عن بعض العلماء أنه إذا كان لديه ولد طالب علم، وأراد له أن يكون متميزا في الالتزام والاستقامة، فإنه يجعله إماما في المسجد بين وقت وآخر، حتى أنه عندما يؤم المصلين يستحي من نفسه، بأنه يؤم الناس، فيطور نفسه.. أو إذا كان إنسان ليست له مهارة كافية في الخطابة، فلما تزجه زجا في هذا الميدان، فإنه يعمل على تطوير قدراته.. وهذا معنى النص الشريف الذي يقول: **(إذا هبت أمرا فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه)!**..

فإن، إن الذي يتصدى لهداية الآخرين من خلال مؤسسة، أو تأليف كتب، أو إنشاء مجلس وعظي حسيني، أو غيرها من مجالات الدعوة إلى الله تعالى؛ فإن رب العالمين أيضا يعينه، في هذه المجال.

### ثالثا: العمل بالواجبات وترك المحرمات:

لو أردنا أن نلخص الوصايا الأربعين في كلمة واحدة، فإننا نقول:

**(ترك المعاصي والذنوب، وأداء الواجبات، وخصوصا الصلاة في أول الوقت)..**

أما المحرمات، فمجملة الحرام مترکز في الوجه-المثلث المشؤوم والمبارک-: العين، والأذن، والفم.. من تجنب النظر الحرام، واستماع الغناء الحرام، والكلام الحرام، والتحرز من الشهوات المحرمة..  
وأما الواجبات، فأداء الواجبات: الحج واجب في العمر مرة واحدة، والصوم واجب في السنة مرة واحدة، والصلوات الخمس بشرط أدائها في أول الوقت، بما فيها صلاة الفجر..

فإذن، إن هذه تقريبا هي الأساسيات، ويبقى: المراقبة المستمرة، والتحرز من أكل الشبهات، وصلاة الليل، والكلمة الطيبة، وقضاء حوائج المؤمنين، وإدخال السرور على الغير.. وهذه-كما يقال- مزيّنات المنزل؛ وإلا فالمنزل الإيماني يبني-بما ذكرناه- بترك الحرام وأداء الواجبات، وخصوصا التركيز على صلاة أول الوقت.

### س3/ نريد من سماحتكم كلمة ختامية أخيرة في نهاية هذه الحلقة؟..

احتراما وتوقيرا لمقام إمامنا صاحب الأمر (عج)، أحب أن أجعل الختام الحقيقي لهذه الوصايا الأربعين، مسألة الالتفات التفصيلي والعاطفي والولائي والذوياني، لمن يمينه رزق الوري..  
إن الإمام عينه على الخلق، من المجرات والأفلاك وما تحته.. وعينه على خصوص المستضعفين من الناس، ولو كانوا كافرين.. كالنبي (ص) الذي كانت له التفاتة حتى لغير المسلمين، وعلى رأس غير المسلمين كفار مكة، ومن المعلوم كيف عاملهم.. وله التفاتة لخصوص المسلمين الذين يتشهدون الشهادتين، وله التفاتة لخصوص المؤمنين..

وله التفاتة لخصوص السالكين إلى الله تعالى، فالإمام (ع) عينه على هذه الثلة القليلة، بمعنى العناية المركزة.. فإذا رأى في عبد التفاتة إلى الله تعالى، وله في جوف الليل مناجاة مع رب العالمين، وله ولاء لأهل البيت (ع): يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم.. وله التفاتة لولي أمره: يدعو لفرجه في كل صبيحة، ولو في كذا أربعينية من أربعينيات العهد؛ ولا يفوت في اليوم والليلة في صلواته إلا وقد ذكر دعاء الفرج في قنوته؛ وفي صبيحة يوم الجمعة والأعياد الأربعة، يندب إمامه باكيا عليه...؛ فإن الإمام (ع) يجعله في رعايته الخاصة..

وحيث إن هذا الإنسان إلى المربي لزوما؟!.. إن هذه أزمة من أزمت هذه الأيام!.. فالبعض يتقاعس، ولا يتحرك في طريق القرب إلى الله تعالى، على أمل أن يأتيه إنسان من جزيرة نائية ويأخذ بيده!.. لماذا أنت متقاعس؟!.. أنت الآن ابدأ الخطوات الأولى، وكن على الطريق!.. إن القطار إذا كان في الصحراء على التراب، فإنه لا يرجى منه الحركة.. ولكن أنت إذا جعلت القطار على السكة، فقد تأتي عربة وتدفعك إلى الأمام.. إن رب العالمين يقسم الأرزاق، ومنها الأرزاق المعنوية..

وقد تسأل أن الإمام (ع) كيف يأخذ بيدك؟..

إن الإمام (ع) ليس من شأنه أن يأتيك إلى باب المنزل، ويزورك ويشرب معك ما يشرب، ثم يتكلم معك.. فالإمام (ع) له طريقه، ومن طريقه: التصرف القلبي، أو الدعاء لك، أو تيسير أستاذ من عامة الخلق.. ولهذا نلاحظ أن بعض الناس يقول: إن العالم المعين إمام المسجد، له علاقة متميزة بي، ويحبني كثيرا.. فمن الذي جعل حبك في

قلب هذا العالم؟.. ولماذا اختارك هذا العالم من بين المؤمنين جميعا، بأن يخصك بالرعاية؟.. وقد يزوجك من ابنته مثلا، ويأخذ بيدك في السفرات هنا وهناك.. إن هذه عناية موجهة للإنسان الصادق، للأخذ بيده في هذا الطريق.

فإذن، ينبغي علينا الالتفاتة إلى الإمام (ع) بشكل مركز، وأن نعيش حالة الحزن على غيبته.. لنسأل أنفسنا: هل مرة عشنا هذه الحالة: **أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء؟.. أين باب الله الذي منه يوتى؟..** فلو أنك في الشهر مرة، أو في الأسبوع مرة، بكيت لفراقه، وبكيت حزنا على قلبه الذي يحمل الأحران الكبرى!.. فالإمام (ع) من الصباح إلى الليل، كم يسمع من الأخبار المؤلمة، وخاصة هذه الأيام مع وضع الأمة الذي لا يحسد عليه؟!.. وكما يحترق قلبه؟!.. وكما تجري دمعته؟!.. والإمام الكاظم (ع) في رواية يشير إلى هذه الناحية، عندما قال (ع) في وصفه (ع): **(يعتوره مع سمرته صفرة من سهر الليل)..** حيث جمع بين السمرة والصفرة: فالسمرة كما في أوصاف شمائله المباركة؛ والصفرة لسهره في إحياء الليالي في عبادة ربه، والبكاء على وضع الأمة فعلا..

وإن الذي يدعو لفرجه بحرقة، وخاصة في مواطن الاستجابة: فلما يستيقظ في جوف الليل، يدعو لفرج إمامه بلهفة.. ولما يصل للحجر الأسود في ازدحام الحج، ويضع رأسه في الحجر لثوان، فأول ما يدعو، يدعو لفرج إمامه.. ولما يصل لباب الكعبة، يدعو لفرجه.. ولما يصل إلى الحائر الحسيني، يدعو لفرجه.. فهنيئا لمثل هذا الإنسان!.. وبلا شك إن هذا الإنسان الذي يحمل هذا الود المهدوي، وهو في مقام العمل له التزام بأحكام الله تعالى، سيصل إلى المراد بإذن الله تعالى إن عاجلا أو آجلا.

ونحن أيضا نطلب من الإخوة الأعزاء والأخوات المؤمنات، إذا فتح لهم بابا من أبواب التوفيق والمعرفة أن يدعوا لكل من له دور في نشر ثقافة أهل البيت (ع).. وأن يدعوا لنا جميعا-المتكلم والمستمع- على إنجاز المهمة، والوصول إلى الرضوان الإلهي في الدنيا قبل الآخرة، والذي عبرنا عنه برحيق الجنة.. وهنيئا لمن وصل إلى هذا الرحيق قبل أوانه!..

## الفهرس

21- لحظات الخلوة	1- إخلص النية
22- الرفق بالنفس	2- وضوح الخطة
23- حلية المأكمل والمشرب	3- لزوم التحلي بالصبر
24- رعاية الولي الأعظم عليه السلام	4- التدبير والتقدير
25- التأثر الشعوري	5- الشمولية والموازنة
26- المحطات العبادية	6- الكذب في التقرب
27- كتمان الحالات	7- الأنس بالقرآن
28- سير الصالحين	8- عدم الإحساس بالتميز
29- موجبات الالتهاء	9- الكدح والمجاهدة
30- الإكثار من القول	10- تقوية البنية العلمية
31- البرمجة الدقيقة	11- المزاجية في التعامل
32- الثمار المعجلة	12- لزوم المشورة
33- خبرة الشيطان	13- حالات التذبذب
34- النوافل والجماعة	14- دور الصلاة
35- طول الأمل	15- المراقبة الشديدة
36- التكامل للجميع	16- الشكورية مع الحق المتعال والخلق
37- توزيع الاهتمام	17- الاستغفار الدائم
38- مرور الفرص	18- التثاقل من الخلق
39- قضاء الحوائج	19- الانشغال مع الغافلين
40- هداية الآخرين	20- الابتلاء من السنن
41- جولة في مجمل الوصايا	